الكشاف

عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

تأليف

أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي

٤٦٧-٥٣٨هـ

ويليه

الكافي الشاف

في تخريج أحاديث الكشاف

للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني

المتوفى ٨٥٢هـ

وبذيله

١- كتاب "الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال" للإمام ناصر الدين احمد ابن المنير الاسكندري المالكي

٢- حاشية الأستاذ الفاضل محمد عليان المرزوقي الشافعي من اكابر علماء الأزهر.

٣- "مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف"

الجزء الرابع

دار المعرفة

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجرات مدنية

وآياتها ١٨ نزلت بعد المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

﴿سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قدّمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدِمَهُ إذا تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه وأسلفه وفى قوله تعالى (لاتقدموا) من غير ذكر مفعول وجهان أحدهما أن يحذف ليتناول كل مايقع فى النفس مما يقدّم والثانى أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهى إلى نفس التقدمة كأنه قيل لا تقدّموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله تعالى هو الذى يحيى ويميت ويجوز أن يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهى الجماعة المتقدّمة منه وتعضده قراءة من قرأ لاتَقَدَّمُوا بحذف إحدى تاءى تتقدموا إلا أن الأول أملأ بالحسن وأوجه وأشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له أقبل وقرئ لاتَقْدِمُوا من القدوم أى لا تقدموا إلى أمر من أمور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما * حقيقة قولهم جلست بين يدى فلان أن يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريباً منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشىء باسم غيره إذا جاوره وداناه فى غير موضع وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذى يسميه أهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست فى الكلام العريان وهى تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة والمعنى أن لا تقطعوا أمراً إلا بعد مايحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا إما عاملين بالوحى المنزل وإما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه يدور تفسير ابن عباس رضى الله

﴿القول فى سورة الحجرات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا إلى قوله ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ وذكر فيه من النكت أنه تعالى ابتدأ السورة بإيجاب أن يكون الأمر الذى ينتهى إلى الله ورسوله متقدما على الأمور كلها من غير تقييد ولا تخصيص . قال أحمد : يريد أنه لم يذكر المفعول الذى يتقاضاه تقدموا بإطراح ذلك المفعول كقوله يحيى ويميت وحلى الكلام بمجاز التمثيل فى قوله بين يدى الله ورسوله بفائدة ليست فى الكلام العريان وهو تصور الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة وجعل صورة ذلك المنهى عنه مثل أن يجلس العبد فى الجهتين المسامتتين ليمين سيده ويساره ويوليه دبره ومعناه أن لا تقدموا على أمر حتى يأذن الله ورسوله فيه فتكونوا مقتدين فيما تأتون

(قوله إذا تقدمه فى قوله تعالى) لعله كاف (قوله أن لا يقصد قصد) عبارة النسفى أن لا يقصد مفعول والنهى متوجه إلى نفس التقدمة

عَلِيمٌ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ

عنه وعن مجاهد لاتفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله ويجوز أن يجرى مجرى قولك سرنى زيد وحسن حاله وأعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذى لايخفى سلك به ذلك المسلك وفى هذا تمهيدوتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع أصواتهم فوق صوته لأنّ من أحظاه الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص القوى كان أدنى مايجب له من التهيب والإجلال أن يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا وعليهم المنذر بن عمرو الساعدى فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل إلا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بنى سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم إلى بنى عامر لأنهم أعز من بنى سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئسما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت أى لاتعملوا شيئا من ذات أنفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مسروق دخلت على عائشة فى اليوم الذى يشك فيه فقالت للجارية اسقه عسلا فقلت إنى صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن أنّ أناسا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب أبى حنيفة رحمه الله إلا أن تزول الشمس وعند الشافعى يجوز الذبح إذا مضى من الوقت مقدار الصلاة وعن الحسن أيضا لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل فنهوا أن يبتدؤه بالمسئلة حتى يكون هو المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا أنّ ناسا كانوا يقولون لو أنزل فيه كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وأنزلها وقيل هى عامة فى كل قول وفعل ويدخل فيه أنه إذا جرت مسئلة فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبقوه بالجواب وأن لايمشى بين يديه إلا لحاجة وأن يستأنى فى الافتتاح بالطعام (واتقوا الله) فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهى عنها وعن جميع ماتقتضى مراقبة الله تجنبه فإن التقى حذر لايشافه أمرا إلا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك فى أن لاتبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لاتفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه أوّلا عن عين ماقارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه أمرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل مايضرب فى طريقها ويتعلق بسببها (إنّ الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون وحق مثله أن يتقى ويراقب إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الإنصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدب الذى المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى فى دينهم وذلك لأنّ فى إعظام صاحب الشرع إعظام ماورد به ومستعظم الحق لايدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء إلى كل خير والمراد بقوله (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لاتبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته وأن تغضوا منها

وتذرون بكتاب الله وسنة نبيه ﴿ قال وقوله واتقوا الله على أثر ذلك بمنزلة قولك للمقارف بعض الرذائل لاتفعل هذا وتحفظ مما يلصق العار بك فتنهاه أولا عن عين ماقارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل أمرك فيه لم يرتكب تلك الفعلة وكل مايضرب فى طريقها ويتعلق بسببها ﴿ وقوله إنّ الله سميع عليم أى لحقيق أن يتقى ويراقب وقوله لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى جدّد النداء عليهم استدعاء لتجديد الاستبصار والتيقظ والتنبيه عند كل خطاب وارد وتطرية للإنصات منهم لكل حكم نازل ﴿ وقوله لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى أى إذا نطق ونطقتم فلتكن أصواتكم قاصرة عن الحد

(قوله حتى يقصه على لسان رسوله) لعله يقضيه (قوله وأن يستأنى فى الافتتاح) أى ينتظر أفاده الصحاح
(قوله لايشافه أمرا) أى لايتشاغل بأمر وفى الصحاح الشغفة الشغل يقال شغفهنى عن كذا أى شغلنى (قوله بما يحدوه عليه) أى يحضه

لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ

بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لاأن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله ولاتجهروا له بالقول إنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لاتبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا فى مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى (ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله والله لا أكلمك إلا السرار وأخا السرار حتى ألقى الله وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم كأخى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر إذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لأن ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وإنما الغرض صوت هو فى نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده إلى حد يميل به إلى مايستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهى أيضا رفع الصوت الذى لايتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم فى حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو أو ما أشبه ذلك ففى الحديث أنه قال عليه الصلاة والسلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس أجهر الناس صوتا يروى أن غارة أتتهم يوما فصاح العباس ياصباحاه فأسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بنى جعدة   زجر أبى عروة السباع إذا ۞ أشفق أن تختلطن بالغنم

زعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع فى جوفه وفى قراءة ابن مسعود لا ترفعوا بأصواتكم والباء مزيدة محذوبها حذو التشديد فى قول الأعلم الهذلى   رفعت عينى بالحجا ۞ زالى أناس بالمناقب

وليس المعنى فى هذه القراءة أنهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا أن يكون مادون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت فكان إذا تكلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس أن هذه الآية لما نزلت فُقِدَ ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يارسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وإنى رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملى قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة وأما مايروى عن الحسن أنها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحمله والخطاب للمؤمنين على أن ينهى المؤمنون

الذى يبلغه صوته ليكون عاليا على كلامكم وجهره باهرا لجهركم لا أن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم ۞ وقوله ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أى إذا كان صامتا فابتدأتموه بالخطاب فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع أصواتكم بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم ۞ قال ولا يتناول النهى الرفع الذى لايتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان بينهم فى حرب أو مجادلة معاند له أو إرهاب عدو ونحوه ففى الحديث أنه قال للعباس وكان أجهر الناس صوتا لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس ويروى من جهارة صوت العباس أنه صاح فى غارة ياصباحاه فأسقطت الحوامل وفيه يقول نابغة بنى جعدة زجر أبى عروة السباع إذا أشفق أن تختلطن بالغنم وزعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن

(قوله كشية الأبلق) فى الصحاح الشية لون يخالف معظم لون الفرس وغيره وفيه أيضا اللغط الصوت والجلبة وفيه الصخب الصياح والجلبة

ليندوح المنافقون تحت النهى ليكون الأمر أغلظ عليهم وأشق وقيل كان المنافقون يرفعون أصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم فيقتدى بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه فى محل النصب أى لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفى هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه إلا بالهمس والمخافتة وإنما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة أعنى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منهم فيم بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وإن جلت عن رتبتها (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على أنه مفعول له وفى متعلقه وجهان أحدهما أن يتعلق بمعنى النهى فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أى لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا والثانى أن يتعلق بنفس للفعل ويكون المعنى أنهم نهوا عن الفعل الذى فعلوه لأجل الحبوط لأنه لما كان بصدد الأداء إلى الحبوط جعل كأنه فعل لأجله وكأنه العلة والسبب فى إيجاده على سبيل التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا (فإن قلت) لخص الفرق بين الوجهين (قلت) تلخيصه أن يقدر الفعل فى الثانى مضموما اليه المفعول له كأنهما شىء واحد ثم يصب النهى عليهما جميعاً صبا وفى الأول يقدر النهى موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهياً عنه (فإن قلت) بأى النهيين تعلق المفعول له (قلت) بالثانى عند البصريين مقدراً إضماره عند

الغنم فيفتق مرارة السبع فى جوفه قوله تعالى أن تحبط أعمالكم (قال) فيه إنه مفعول له ومتعلقه ما معنى النهى كأنه قال انتهوا كراهية حبوط أعمالكم على حذف مضاف كقوله يبين الله لكم أن تضلوا وأما نفس الفعل فهو المنهى عنه على معنى تنزيل صيرورة الجهر المنهى عنه إلى الحبوط منزلة جعل الحبوط علة فى الجهر على التمثيل من وادى ليكون لهم عدوا وحزنا قال وتلخيص الفرق بينهما أنه على الثانى يقدر انضمام المفعول من أجله إلى الفعل الأول الخ) قال أحمد هو يحوم على شرعة وبيئة إياك ورودها وذلك أنه يعتقد أن ما دون الكفر ولو كبيرة واحدة تحبط العمل وتوجب الخلود فى العذاب المقيم وتخرج المؤمن من اسم الإيمان ورسمه ومعاذ الله من هذا المعتقد فعليك بعقيدة أهل السنة الممهدة فى مواضع من هذا المجموع لجدد العهد بها وهى اعتقاد أن المؤمن لا يخلد فى النار وأن الجنة له بوعد الله حتم ولو كانت خطاياه ما دون الشرك أو ما يؤدى إليه كزبد البحر وأنه لا تحبط حسنة سيئة طارئة كائنة ما كانت سوى الشرك والزمخشرى اغتنم الفرصة فى ظاهر هذه الآية فنزلها على معتقده ووجه ظهورها فيما يدعيه أن رفع الصوت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم معصية لا تبلغ الشرك وقد أخاف الله عباده من إحباطه الأعمال بها ولو كان الإحباط مقطوعا بنفيه لم تستقم الإخافة به وأنى له أن يبلغ من ذلك آماله ونظم الكلام يأباه عند البصر بمعناه فنقول المراد فى الآية النهى عن رفع الصوت على الاطلاق ومعلوم أن حكم النهى الحذر مما يتوقع فى ذلك من إيذاء النبى عليه السلام والقاعدة المختارة أن إيذاءه عليه الصلاة والسلام يبلغ مبلغ الكفر المحبط للعمل باتفاق فورد النهى عما هو مظنة لأذى النبى عليه الصلاة والسلام سواء وجد هذا المعنى أولا حماية للذريعة وحسما للمادة ثم لما كان هذا المنهى عنه وهو رفع الصوت منقسما إلى ما يبلغ ذلك المبلغ أولا ولا دليل يميز أحد القسمين عن الآخر لزم المكلف أن يكف عن ذلك مطلقا وخوف أن يقع فيما هو محبط للعمل وهو البالغ حد الايذاء إذ لا دليل ظاهر يميزه وإن كان فلا يتفق تمييزه فى كثير من الأحيان وإلى التباس أحد القسمين بالآخر وقعت الإشارة بقوله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وإلا فلو كان الأمر على ما يعتقده الزمخشرى لم يكن لقوله وأنتم لا تشعرون موقع إذ الأمر بين أن يكون رفع الصوت مؤذيا فيكون كفراً محبطاً قطعا وبين أن يكون غير مؤذ فيكون كبيرة محبطة على رأيه قطعاً فعلى كلا حاليه الإحباط به محقق إذاً فلا موقع لادعام الكلام بعدم الشعور مع أن الإحباط ثابت مطلقا والله أعلم وهذا التقرير الذى ذكرته يدور على مقدمتين كلتاهما صحيحة إحداهما أن رفع الصوت من جنس ما يحصل به الإيذاء وهذا أمر يشهد به النقل والمشاهدة الآن حتى إن الشيخ ليتأذى برفع التلميذ صوته بين يديه فكيف برتبة النبوة وما يستحقه من الإجلال والإعظام المقدمة الأخرى أن إيذاء النبى صلى الله عليه وسلم كفر وهذا أمر ثابت قد نص عليه أئمتنا وأفتوا بقتل من تعرض لذلك كفراً ولا تقبل توبته فما أتاه أعظم عند الله وأكبر والله الموفق

أَمْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ *

الأول كقوله تعالى آتونى أفرغ عليه قطراً وبالعكس عند الكوفيين وأيهما كان فرجع المعنى إلى أن الرفع والجهر كلاهما منصوص أداؤه إلى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط أعمالكم أظهر نصاً بذلك لأن مابعد الفاء لايكون إلا مسبباً عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان فى قوله تعالى فيحل عليكم غضبى والحبوط من حبطت الإبل إذا أكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه الصلاة والسلام وإن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم ومن أخواته حبجت الإبل إذا أكلت العرفج فأصابها ذلك وأحبض عمله مثل أحبطه وحبط الجرح وحبر إذا غفر وهو نكسه وترامية إلى الفساد جعل العمل السيء فى إضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به أعاذنا الله من حبط الأعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على أمرين هائلين أحدهما أن فيما يرتكب من يؤمن من الآثام مايحبط عمله والثانى أن فى آثامه مالايدرى أنه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن أن يكون فى تقواه كالماشى فى طريق شائك لايزال يحترز ويتوقى ويتحفظ (امتحن الله قلوبهم للتقوى) من قولك امتحن فلان لأمر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وانٍ عنه والمعنى أنهم صُبُرٌ على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها أو وضع الامتحان موضع المعرفة لأن تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكأنه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هى التى فى قولك أنت لهذا الأمر أى كائن له ومختص به قال * أنت لها أحمد من بين البشر * أعداء من لليعملات على الوجى * وهى مع معمولها منصوبة على الحال أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى أى لتثبت وتظهر تقواها ويعلم أنهم متقون لأن حقيقة التقوى لاتعلم إلا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه إذا أذابه فخلص إبريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضى الله عنه أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد قال أبو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وأنشد أتت رذايا باديا كلالها * قد محنت واضطربت آطالها

قيل أنزلت فى الشيخين رضى الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به أخا السرار وهذه الآية بنظمها الذى رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسما لأن المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدإ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الإشارة واستئناف الجملة المستودعة ماهو جزاؤهم على عملهم وإيراد الجزاء نكرة مبهما أمره ناظرة فى الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض أصواتهم وفى الإعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء * والوراء الجهة التى يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وأن

* قوله تعالى إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون (قال فيه) الوراء الجهة التى يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام الخ) قال أحمد ولقد اغتر بعضهم فى تبكيت بنى تميم بما لاتساعده عليه الآية فإنها نزلت فى المتولين لمناداة النبى عليه الصلاة والسلام أو فى الحاضرين حينئذ الراضين بفعل المنادين له وقد سئل عليه الصلاة والسلام عنهم فقال هم جفاة بنى تميم وعلى الجملة ولاتزر وازرة وزر أخرى فكيف يسوغ إطلاق اللسان بالسوء فى حق أمة عظيمة

(قوله إذا أكلت العرفج) فى الصحاح شجر ينبت فى السهل الواحدة عرفجة (قوله كالداء والحرض) أى الفساد أفاده الصحاح (قوله من لليعملات على الوجى) أى للنوق النجائب والوجى وجع فى حافر الفرس كذا فى الصحاح وخف البعير كحافر الفرس (قوله وأنشد أتت رذايا باديا كلالها) فى الصحاح الرذية الناقة المهزولة من السير والجمع الرذايا وفيه الأيطل الخاصرة وجمعه أياطل وكذلك الأطل وجمعه آطال

المناداة نشأت من ذلك المكان (فإن قلت) فرق بين الكلامين بين ماثبتت فيه وما تسقط عنه (قلت) الفرق بينهما أنّ المنادى والمنادى فى أحدهما يجوز أن يجمعهما الوراء وفى الثانى لايجوز لأنّ الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولايجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذى يقول نادانى فلان من وراء الدار لايريد وجه الدار ولا دبرها ولكن أى قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والإنكار لم يتوجه عليهم من قبل أنّ النداء وقع منهم فى أدبار الحجرات أوفى وجوهها وإنما أنكر عليهم أنهم نادوه من البرّ والخارج مناداة الأجلاف بعضهم لبعض من غير قصد إلى جهة دون جهة ＊ والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الإبل تسمى الحجرة وهى فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهنّ جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل واحدة منهنّ حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم قدتفرّقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وأنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وأنهم نادوه من وراء الحجرة التى كان فيها ولكنها جمعت إجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وإن كان مسنداً إلى جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا فقد ذكر الأصم أنّ الذى ناداه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ＊ والإخبار عن أكثرهم بأنهم لايعقلون يحتمل أن يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصداً إلى نفى أن يكون فيهم من يعقل فإنّ القلة تقع موقع النفى فى كلامهم وروى أن وفد بنى تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يامحمد اخرج إلينا فاستيقظ فخرج ونزلت وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هم جفاة بنى تميم لولا أنهم من أشدّ الناس قتالا للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم فورود الآية على النمط الذى وردت عليه فيه مالايخفى على الناظر من بينات إكبار محل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما أقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وإيقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذى تبين به مااستنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الإضافة ومنها أن شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز فى المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وإماطة لما تداخله من إيحاش تعجرفهم وسوء أدبهم وهلم جرا من أول السورة إلى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بإيجاب أن تكون الأمور التى تنتمى إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير حصر ولاتقييد ثم أردف ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الأول بساط للثانى ووطاء لذكره ثم ذكر ماهو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة من أجروا إليه وجسروا عليه لأنّ من رفع الله قدره على أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والأنصار بأخى السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذى بلغ من التفاحش مبلغا ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الألباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن أبى عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية مالا

لأنّ واحداً منهم أواثنين ارتكب جهالة وجفاء فقد ورد أن المنادى له عليه السلام هو الأقرع هذا مع توارد الأحاديث فى فضائل تميم وتخليدها وجوه الكتب الصحاح ＊ عاد كلامه (قال وتأمل نظم الآية ومجيئها على النمط المسجل على الصائحين الخ

(قوله أنهم نادوه من البرّ والخارج) الظاهر أن تفسيره مابعده وفى الصحاح فى مادة برر أن البرية هى الصحراء وفى مادة ضمن فى تفسير قوله عليه الصلاة والسلام فى بعض كتبه إن لنا الضاحية من البعل ولكم الضامنة من النخل مانصه فالضاحية هى الظاهرة التى فى البر من النخل والضامنة ماتضمنها أمصارهم وقراهم (قوله حتى خاطبه جلة المهاجرين) معظم المهاجرين

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ

يحكى أنه قال مادققت بابا على عالم قط حتى يخرج فى وقت خروجه (أنهم صبروا) فى موضع الرفع على الفاعلية لأن المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس فلهذا قيل للحبس على اليمين أو القتل صبر وفى كلام بعضهم الصبر مر لايتجرعه إلا حر ﴿ (فإن قلت) هل من فرق بين (حتى تخرج) وإلى أن تخرج (قلت) إن حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها أو صدرها لم يجز وإلى عامة فى كل غاية فقد أفادت حتى بوضعها أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم أن يقطعوا أمراً دون الانتهاء إليه ﴿ (فإن قلت) فأى فائدة فى قوله (إليهم) (قلت) فيه أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم الزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم (لكان خيراً لهم) فى كان إما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو وإما ضمير مصدر صبروا) كقولهم من كذب كان شراً له (والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا ﴿ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه وهو الذى ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً ثم قال هل أزيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا إلى بنى المصطلق وكانت بينه وبينهم إحنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن أو لأبعثن إليكم رجلا هو عندى كنفسى يقاتل مقاتلتكم ويسبى ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف على رضى الله عنه وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا إليه الصدقات فرجع ﴿ وفى تنكير الفاسق والنبأ شياع فى الفساق والإنباء كأنه قال أى فاسق جاءكم بأى نبإ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولاتعتمدوا قول الفاسق لأن من لايتحامى جنس الفسوق لايتحامى الكذب الذى هو نوع منه والفسوق الخروج من الشىء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة إذا كسرتها وأخرجت مافيها ومن مقلوبه أيضاً قفست الشىء إذا أخرجته عن يد مالكه مغتصباً له عليه ثم استعمل فى الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة ﴿ فواسقاً عن قصدها جوائرا ﴿ وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والذين معه بالمنزلة التى لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل مافرط من الوليد إلا فى الندرة قيل إن جاءكم بحرف الشك وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق فى مخاطبتهم بكلمة زور (أن تصيبوا) مفعول له أى كراهة إصابتكم (قوما بجهالة) حال كقوله تعالى ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعنى جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة ﴿ والإصباح بمعنى الصيرورة ﴿ والندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام ولزام لأنه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوباته أدمن الأمر أدامه ومدن بالمكان أقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحباً ونجياً

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين ﴿ (قال فيه نكر فاسقاً ونبأ لقصد الشياع فكأنه قيل أى فاسق جاء بأى نبإ) قال أحمد تسامح بلفظ الشياع والمراد الشمول لأن النكرة إذا وقعت فى سياق الشرط تعم كما إذا وقعت فى سياق النفى والله أعلم ﴿ عاد كلامه قال وعدل عن إذا إلى إن لأن مجىء الفاسق بالكذب لرسول الله ولأصحابه مما يندر الخ ﴿ قوله تعالى ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير

لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ

وسميراً وضجيعاً وموصوفاً بأنه لايفارق صاحبه الجملة المصدرة بلو لاتكون كلاما مستأنفاً لأدائه إلى تنافر النظم ولكن متصلا بماقبله حالا من أحد الضميرين فى فيكم المستتر المرفوع أو البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى أن فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها أو أنتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهى أنكم تحاولون منه أن يعمل فى الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأى واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذى على أمثلته ولو فعل ذلك (لعنتم) أى لوقعتم فى العنت والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا أى يطلب مايؤديه إلى الهلاك وقد أعنت العظم إذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الإيقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد وأن نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وأن بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله تعالى (ولكن الله حبب إليكم الإيمان) أى إلى بعضكم ولكنه أغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من إيجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التى لا يفطن لها إلا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله (أولئك هم الراشدون) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى أولئك المستثنون هم الراشدون بصدق ماقلته (فإن قلت) مافائدة تقديم خبر إن على اسمها (قلت) القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين على مااستهجن الله منهم من استتباع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض إليه (فإن قلت) فلم قيل يطيعكم دون أطاعكم (قلت) للدلالة على أنه كان فى إرادتهم استمرار عمله على مايستصوبونه وأنه كلما عن لهم رأى فى أمر كان معمولا عليه بدليل قوله فى كثير من الأمر كقولك فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم تريد أنه مما اعتاده ووجد منه مستمراً (فإن قلت) كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة مابعدها لماقبلها نفيا وإثباتا (قلت) هى مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لأن الذين حبب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن فى حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والإمداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذى لب وراجع إلى بصيرة وذهن لا يغبى عليه أن الرجل لا يمدح بغير فعله

من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان الآية ، قال فيه الجملة المصدرة بلو لا تكون مستأنفة لأدائه إلى تنافر النظم الخ) قال أحمد من جملة هنات المعتزلة تلهم على عثمان رضى الله عنه ووقوفهم عن الحكم بتعنيف قتلته فضم إلى هذا المعتقد غير معرج عليه ما أورده الزمخشرى فى هذا الموضع من حكايات تولية عثمان لأخيه الوليد الفاعل تلك الفعلة الشنعاء عوضاً عن سعد بن أبى وقاص أحد الصحابة وما عرض به من أن بعض الصحابة كان يصدر منهم هنات فمنها مطالبتهم النبى صلى الله عليه وسلم باتباع آرائهم التى من جملتها تصديق الوليد فى الإيقاع ببنى المصطلق فإذا ضممت هذه النبذة التى ذكرها إرسالا إلى ماعلمت من معتقده تبين لك من حاله أعنى الزمخشرى مالا أطيق التصريح به لأنه لم يصرح وإنما سلكنا معه سبيل الإنصاف ومحجة الانتصاف نص بنص وتلويح بتلويح فنسأل الله العظيم بعد الصلاة على نبيه محمد خاتم النبيين أن يرضى عن صحابه أجمعين وعنا بهم آمين عاد كلامه (قال ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والإمداد بالتوفيق الخ) قال أحمد تلجلج والحق أبلج وزاغ والسبيل منهج وقاس الخلق بالواحد الحق وجعل أفعالهم لهم من إيمان وكفر وخير وشر اغتراراً بخيال اعتقد اطراده فى الشاهد وهو أن الإنسان لا يمدح بفعل غيره وقاس الغائب على الشاهد تحكما وتغلغل باتباع هوى معجبا فجره ذلك بل جرأه على تأويل الآية وإبطال ماذكرته من نسبة تحبيب الإيمان إلى الله تعالى على حقيقته وجعله مجازاً لأنه يعتقد أنها لو بقيت على ظاهرها لكان خلق الإيمان مضافا إلى الله تعالى والعبد إذاً ممدوح بماليس من فعله وهذا عنده محال فأتبع الآية رأيه الفاسد فإذا عرضت عليه الأدلة العقلية على الوحدانية والنقلية على أنه لا خالق إلا الله

(قوله إذا هيض بعد الجبر) فى الصحاح هاض العظم يهيضه هيضا كسره بعد الجبر وفيه أيضا جبرت العظم جبرا وجبر العظم بنفسه جبورا أى انجبر

وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَـٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۞ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ

وحمل الآية على ظاهرها يؤدى إلى أن يثنى عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا عن الذين أنزل فيهم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا (فإن قلت) فإن العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود (قلت) الذى سوّغ ذلك لهم أنهم رأوا حسن الرواء ووسامة المنظر فى الغالب يسفر عن مخبر مرضى وأخلاق محمودة ومن ثم قالوا أحسن ما فى الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على أن من محققة الثقات وعلماء المعانى من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بأمهات الخير وهى الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع إليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والأعضاد وغير ذلك مما ليس للإنسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول ۞ و (الكفر) تغطية نعم الله تعالى وغمطها بالجحود و (الفسوق) الخروج عن قصد الإيمان ومحجته بركوب الكبائر (والعصيان) ترك الانقياد والمضى لما أمر به الشارع ۞ والعرق العاصى العاند واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة قال أبو الوازع كل صخرة رشادة وأنشد :

وغير مقلد وموشمات ۞ صلين الضوء من صم الرشاد

و (فضلا) مفعول له أو مصدر من غير فعله (فإن قلت) من أين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل

خالق كل شىء وطولب بإبقاء الآية على ظاهرها المؤيد بالعقل والنقل فإنه يتمسك فى تأويلها بالحبال المذكورة فى التحكم بقياس الغائب على الشاهد مما له إدلاء إلى تعويج كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فالذى نعتقده ثبتنا الله على الحق أن الله تعالى منح ومدح وأعطى وامتن فلا موجود إلا الله وصفاته وأفعاله غير أنه تعالى جعل أفعاله بعضها محلا لبعض فسمى المحل فاعلا والحال فعلا فهذا هو التوحيد الذى لا محيص عنه للمؤمن ولا محيد ولابدّ أن أطارحه القول فأقول أخبرنى عن ثناء الله على أنبيائه ورسله بما حاصله اصطفاؤه لهم لاختياره إياهم هل بمكتسب أم بغير مكتسب فلا يسعه أن يقول إلا أنه أثنى عليهم بما لم يكتسبوه بل بما وهبه إياهم فانتهبوه وإن عرج على القسم الآخر وهو دعوى أنهم أثنى عليهم بمكتسب لهم من رسالة أو نبوة فقد خرج عن أهل الملة وانحرف عن أهل القبلة وهذه النبذة كفاية إن شاء الله تعالى ۞ قوله تعالى أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة (أعرب فضلا فى الآية مفعولا لأجله منتصبا عن قوله الراشدون الخ) قال أحمد أورد الإشكال بعد تقرير أنّ الرشد ليس من فعل الله تعالى وإنما هو فعلهم حقيقة على ما هو معتقده ونحن بنينا على ما بينا أنّ الرشد من أفعال الله ومخلوقاته فقد وجد شرط انتصاب المفعول له وهو اتحاد فاعل الفعلين على أنّ الإشكال وارد نصا على تقريرنا على غير الحد الذى أورده عليه الزمخشرى بل من جهة أنّ الله تعالى خاطب خلقه بلغتهم المعهودة عندهم ومما يعهدونه أنّ الفاعل من نسب اليه الفعل وسواء كان ذلك حقيقة أو مجازا حتى يكون زيد فاعلا وانقض الحائط وأشباهه كذلك وقد نسب الرشد اليهم على طريقة أنهم الفاعلون وإن كانت النسبة مجازية باعتبار المعتقد وإذا تقرر وروده على هذا الوجه فلك فى الجواب عنه طريقان ، إما جواب الزمخشرى وإما أمكن منه وأبين وهو أنّ الرشد هنا يستلزم كونه راشدا إذ هو مطاوعه لأنّ الله تعالى أرشدهم فرشدوا وحينئذ يتحد الفاعل على طريقة الصناعة المطابقة للحقيقة وهو عكس قوله يريكم البرق خوفا وطمعا فإن الاشكال بعينه وارد فيها إذ الخوف والطمع فعلهم أى منسوب اليهم على طريقة أنهم الخائفون الطامعون والفعل الأوّل لله تعالى لأنه مريهم ذلك والجواب عنه أنهم مفعولون فى معنى الفاعلين بواسطة استلزام المطاوعة لأنه إذا أراهم فقد رأوا وقد سلف هذا الجواب مكانه فصححت الكلام ههنا بتقدير المفعول فاعلا وعكسه آية الحجرات إذ تصحيح الكلام فيها بتقدير الفاعل مفعولا وهذا

(قوله حسن الرواء) فى الصحاح الرواء بالضم المنظر (قوله ما فى الدميم وجهه) فى الصحاح الدميم القبيح
(قوله والعرق العاصى العاند) فى الصحاح عند العرق سال ولم يرقأ فهو عرق عاند

ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ

الله تعالى والشرط أن يتخذ الفاعل (قلت) لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة إلى اسمه تقدست أسماؤه صار الرشد كأنه فعله فجاز أن ينتصب عنه (أو لا ينتصب * عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند إلى اسم الله تعالى والجملة التي هي أولئك هم الراشدون اعتراض أوعن فعل مقدر كأنه قيل جرى ذلك أو كان ذلك فضلا من الله وأما كونه مصدراً من غير فعله فأن يوضع موضع رشدا لأن رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام (والله عليم) بأحوال المؤمنين وما بينهم التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على أفاضلهم * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجالس الأنصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك عبدالله ابن أبيّ بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبدالله بن رواحة والله إن بول حماره لأطيب من مسكك وروى حماره أفضل منك وبول حماره أطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوما هماوهما الأوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالأيدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا * والبغي الاستطالة والظلم وإباء الصلح والفيء الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لأن الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار إلى المسلمين وعن أبي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه أن أبا عمر خفف الأولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوى تلك الخلسة فظنه قد طرحها (فإن قلت) ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن أبي عبلة أو اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين (قلت) هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لأن الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبدالله حتى يفيئوا إلى أمر الله فإن فاؤا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدته من أمر هذه الآية إن لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله عز وجل قاله بعد أن اعتزل فإذا كافت وقبضت عن الحرب أيديها تركت وإذا تولت عمل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا ابن أم عبد هل تدرى كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة قال الله ورسوله أعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيؤها ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك أن يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فإن لم تتحاجزا ولم تصطلحا وأقامتا على البغي صير إلى مقاتلهما وإما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة فالواجب إزالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فإن ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين وإما أن تكون إحداهما الباغية على الأخرى فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغى عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل إن كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وإن كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن إلا عند محمد بن الحسن رحمه الله فإنه كان يفتي بأن الضمان يلزمها إذا فاءت وأما قبل التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها فما جنته ضمنه عند الجميع فحمل الإصلاح بالعدل في قوله تعالى

من دقائق العربية فتأمله والله الموفق قوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا (قال فيه لم قال اقتتلوا عدولا الخ) قال أحمد قد تقدم في مواضع إنكار النحاة الحمل على لفظ من بعد الحمل على معناها وفي هذه الآية حمل على المعنى بقوله اقتتلوا ثم على اللفظ بقوله بينهما فلا يعتقد أن المقول في من مطرد في هذا لأن المانع لزوم الإجمال والإبهام بعد التفسير وههنا لا يلزم ذلك إذ لا إبهام في الطائفة بل لفظها مفرد أبدا ومعناها جمع أبدا وكانت كذلك لاختلاف أحوالها من

(قوله تلك الخلسة) في الصحاح خلست الشيء واختلسته إذا استلبته والاسم الخلسة بالضم

فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا

(فأصلحوا بينهما بالعدل) على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه أن يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذى ذكروا أن الغرض إماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من أعمال العدل ومراعاة القسط فإن قلت فلم قرن بالاصلاح الثانى العدل دون الأول (قلت) لأن المراد بالاقتتال فى أول الآية أن يقتتلا باغيتين معا أو راكبتى شبهة وأيتهما كانت فالذى يجب على المسلمين أن يأخذوا به فى شأنهما إصلاح ذات البين وتسكين الدهماء بإراءة الحق والمواعظ الشافية ونفى الشبهة إلا إذا أصرتا فحينئذ تجب المقاتلة وأما الضمان فلا يتجه وليس كذلك إذا بغت إحداهما فإن الضمان متجه على الوجهين المذكورين (وأقسطوا) أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به فى إصلاح ذات البين والقول فيه مثله فى الأمر باتقاء الله على عقب النهى عن التقديم بين يديه ، والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج فى الرجلين وعود قاسط يابس وأقسطته الرياح وأما القسط بمعنى العدل فالفعل منه أقسط وهمزته للسلب أى أزال القسط وهو الجور ۞ هذا تقرير لما ألزمه من تولى الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما إن لم يفضل الأخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على أنه إذا نشب مثل ذلك بين اثنين من إخوة الولاد لزم السائر أن يتناهضوا فى رفعه وإزاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما إلى أن يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالأخوة فى الدين أحق بذلك وبأشد منه وعن النبى صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه فى البنيان فيستر عنه الريح إلا بإذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم إلا القليل ۞ (فإن قلت) فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع (قلت) لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فإذا لزمت المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم لأن الفساد فى شقاق الجمع أكثر منه فى شقاق الاثنين وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج ۞ وقرئ بين إخوتكم وإخوانكم والمعنى ليس المؤمنون إلا إخوة وأنهم خاص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الأجنبية وأبى لطف حالهم فى التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك إن وقع وأحسموه (واتقوا الله) فإنكم إن فعلتم لم تحملكم التقوى إلا على التواصل والائتلاف والمسارعة إلى إماطة ما يفرط منه ۞ وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم واشتمال رأفته عليكم حقيقا بأن تعقدوا به رجاءكم ۞ القوم الرجال خاصة لأنهم القوام بأمور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه الصلاة والسلام النساء لحم على وضم إلا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو فى الأصل جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر أو تسمية بالمصدر عن بعض العرب إذا أكلت طعاما أحببت نوما وأبغضت قوما أى قياما واختصاص القوم بالرجال صريح فى الآية وفى قول زهير ۞ أقوم آل حصن أم نساء ۞ وأما قولهم فى قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والإناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور

حيث المعنى مرة جمعا ومرة مفردا فتأمله والله الموفق ۞ قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا

(قوله وتسكين الدهماء) الجماعة (قوله وهو اعوجاج فى الرجلين) فى الصحاح القسط بالتحريك انتصاب فى رجلى الدابة وذلك عيب لأنه يستحب فيهما الانحناء والتوتير اه (قوله وبثا للسفراء بينهما الخ) جمع سفير وهو الرسول والمصلح بين القوم (قوله استشن) فى الصحاح تشنن الجلد يبس واستشن الرجل هزل (قوله بقتار قدره) فى الصحاح القتار ريح الشواء (قوله على وضم إلا ما ذب) الوضم ما يوضع تحت اللحم من خشب وغيره يوقى به من الأرض على أفاده الصحاح (قوله ولا يأتى ما عليه من النهى) أى يتلهى ولا يفعل ما عليه من نهى الساخر والانكار عليه

مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ

وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لايسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وأن تقصد إفادة الشياع وأن تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وإنما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد إعلاما بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذى كانوا عليه ولأن مشهد الساخر لايكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتى ما عليه من النهى والإنكار فيكون شريك الساخر وتلوه فى تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدى ذلك وإن أوجده واحد إلى تكثير السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما . وقوله تعالى (عسى أن يكونوا خيراً منهم) كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهى عنه وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيراً من الساخر لأن الناس لايطلعون إلا على ظواهر الأحوال ولا علم لهم بالخفيات وإنما الذى يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغى أن لايجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة فى بدنه أو غير لبيق فى محادثته فلعله أخلص ضميراً وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف إفراط توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزاً فضحكت منه خشيت أن أصنع مثل الذى صنعه وعن عبدالله بن مسعود البلاء موكل بالقول ولو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا * وفى قراءة عبدالله عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى على هذه القراءة هى ذات الخبر كالتى فى قوله تعالى فهل عسيتم وعلى الأولى التى لاخبر لها كقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئاً * واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولاتلمزوا بالضم والمعنى وخصوا أيها المؤمنون أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لايدين بدينكم ولايسير بسيرتكم ففى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس وعن الحسن رضى الله عنه فى ذكر الحجاج أخرج إلى بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الأعنة فى سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول ياأباسعيد ياأباسعيد وقال لما مات اللهم أنت أمته فاقطع سنته فإنه أتانا أخيفش أعيمش يخطر فى مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لامن الله يتقى ولامن الناس يستحى فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لايقول له قائل الصلاة أيها الرجل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط ، وقيل معناه لايعب بعضكم بعضاً لأن المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لاتفعلوا ماتلمزون به لأن من فعل مااستحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة * والتنابز بالألقاب التداعى بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون

خيراً منهم الآية (قال فيه لم يقل لايسخر بعض المؤمنين والمؤمنات الخ) قال أحمد ولوعرف فقال لايسخر المؤمنون بعضهم من بعض لكانت كل جماعة منهم منهية ضرورة شمول النهى ولكن أورد الزمخشرى هذا وإنما أراد أن فى التنكير فائدة أن كل جماعة منهية على التفصيل فى الجماعات والتعرض بالنهى لكل جماعة على الخصوص ومع التعريف تحصيل النهى لكن لاعلى التفصيل بل على الشمول والنهى على التفصيل أبلغ وأوقع * عاد كلامه (قال وإنما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة للإشعار الخ) قال أحمد وهو فى غاية الحسن لامزيد عليه (قال وقوله عسى أن يكونوا خيراً منهم جواب المستخبر عن علة النهى الخ) قال أحمد وهو من الطراز الأول * قوله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان

(قوله لما جاء النهى عنه) لعل ما مصدرية ولفظ عنه مزيد من ناسخ الأصل أى لمجيء النهى وإلا أى وإلا يكن مستأنفاً (قوله وإنما الذى يزن عند الله) لعله يزين (قوله فإنه أتانا أخيفش أعيمش) فى الصحاح الخفش صغر فى العين وضعف فى البصر خلقة الرجل أخفش وفيه العمش فى العين ضعف الرؤية مع سيلان الدمع والرجل أعمش انتهى وأخيفش وأعيمش تصغير

ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ

ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهى عنه وهو مايتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيراً به وذمّا له وشيناً فأما مايحبه مما يزينه وينوّه به فلا بأس به روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه إليه ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب الحسن قال عمر رضى الله عنه أشيعوا الكنى فإنها منبهة ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة بأسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير فى الجاهلية والإسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الألقاب الحسنة فى الأمم كلها من العرب والعجم تجرى فى مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير روى عن الضحاك أنّ قوما من بنى تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب وأبى ذرّ وسالم مولى حذيفة فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس أنّ أمّ سلمة ربطت حقويها بسبية وسدلت طرفها خلفها وكانت تجرّه فقالت عائشة لحفصه انظرى ماتجرّ خلفها كأنه لسان كلب وعن أنس عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس أنّ صفية بنت حيى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إنّ النساء يعيرننى ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله ﷺ هلا قلت إنّ أبى هرون وإنّ عمى موسى وإنّ زوجى محمد وروى أنها نزلت فى ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا لى حتى أنتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد ما كان يعير بها فى الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد فى الحسب بعدها أبدا (الاسم) ههنا بمعنى الذّكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ماسما من ذكره وارتفع بين الناس ألا ترى إلى قولهم أشاد بذكره كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يذكروا بالفسق وفى قوله (بعد الإيمان) ثلاثة أوجه أحدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذى يأباه الإيمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة والثانى أنه كان فى شتائمهم لمن أسلم من اليهود يايهودى يافاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهى عن التنابز والثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة إلى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة ۝ يقال جنبه الشر إذا أبعده عنه وحقيقته جعله منه فى جانب فيعدى إلى مفعولين قال الله عزّ وجل واجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام ثم يقال فى مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظنّ وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى إلى قوله (إنّ بعض الظنّ إثم) (فإن قلت) بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة

(قال فيه الاسم ههنا الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم كأنه قال بئس الذكر المرتفع للمؤمنين الخ) قال أحمد أقرب الوجوه الثلاثة ملائمة لقاعدة أهل السنة وأولاها هو أولها ولكن بعد صرف الذم الى نفس الفسق وهو مستقيم لأن الاسم هو المسمى ولكن الزمخشرى لم يستطع ذلك انحرافا إلى قاعدة يصرف الذم إلى ارتفاع ذكر الفسق من المؤمن تحوما على أن الاسم التسمية ولاشك أنّ صرف الذم إلى نفس الفسق أولى وأما الوجه الثانى فأدخله ليتم له حمل الاسم على التسميه صريحا وأما الثالث فليتم له أنّ الفاسق غير مؤمن وكلا القاعدتين مخالف للسنة فاحذرهما وبالله التوفيق ولقد كشف الله عن

أخفش وأعمش (قوله ويقال النبز) فى الصحاح النبز بالتحريك اللقب وبالتسكين المصدر (قوله حقويها بسبية) فى الصحاح السب شقة كتان والسبيبة مثله (قوله هـذه الجرائر) جمع جريرة وهى الجناية أفاده الصحاح (قوله بعد الكبرة والصبوة) الكبرة بالفتح اسم للكبر فى السن والصبوة الميل إلى الجهل والفتوة أفاده الصحاح ولعل عبارة المفسر بعد الكبرة الصبوة بدون واو كعبارة النسفى

وبينه لوجاء معرفة (قلت) مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وإنّ فى الظنون مايجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ أحد على ظنّ إلا بعد نظر وتأمّل وتمييز بين حقه و باطله بأمارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عُرِّف لكان الأمر باجتناب الظنّ منوطا بما يكثر منه دون مايقل ووجب أن يكون كل ظنّ متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا فى تظننه والذى يميز الظنون التى يجب اجتنابها عما سواها أنّ كل مالم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه الأمانة فى الظاهر فظنّ الفساد والخيانة به محرّم بخلاف من اشتهره الناس يتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبى صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى حرّم من المسلم دمه وعرضه وأن يظنّ به ظنّ السوء وعن الحسن كنا فى زمان الظنّ بالناس حرام وأنت اليوم فى زمان اعمل واسكت وظنّ بالناس ماشئت وعنه لاحرمة لفاجر وعنه أنّ الفاسق إذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله وإذا استتر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب وقد روى من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له * والإثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته ، الأثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال

لقد فعلت هـــذى النوى بى فعلة * أصاب النوى قبل الممات أثامها

والهمزة فيه عن الواو كأنه يثم الأعمال أى يكسرها بإحباطه * وقرئ ولاتحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تحسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما أن التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما فى اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى وأنا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهى عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ماظهر ودعوا ماستره الله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق فى خدورهنّ قال يامعشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لاتتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود إنا قد نهينا عن التجسس فإن ظهر لنا شىء أخذنا به * غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهى ذكر السوء فى الغيبة . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيبة إدام كلاب الناس (أيحب أحدكم) تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدين لايحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حى ، وانتصب (ميتا) على الحال من اللحم ويجوز أن ينتصب عن الأخ وقرئ ميتاً ولما قررهم عزوجل بأنّ أحداً منهم لايحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله تعالى (فكرهتموه) معناه فقد كرهتموه واستقرّ ذلك وفيه معنى الشرط أى إن صحّ هذا فكرهتموه وهى الفاء الفصيحة أى فتحققت بوجوب الإقرار عليكم وبأنكم لاتقدرون على دفعه وإنكاره لإباء البشرية عليكم أن تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق أيضاً أن تكرهوا ماهو نظيره من الغيبة والطعن فى أعراض المسلمين وقرئ فكرّهتموه أى جبلتم على كراهته (فإن قلت) هلا عدى بإلى كما عدّى فى قوله وكرّه إليكم الكفر وأيهما القياس (قلت) القياس تعديه بنفسه لأنه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشىء فإذا ثقل استدعى زيادة مفعول وأما تعديه بإلى فتأول وإجراء لكرّه مجرى بغض لأن بغض منقول من بغض إليه الشىء فهو بغيض إليه كقولك حب إليه الشىء فهو حبيب إليه * والمبالغة فى التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده

مقاصده حتى ماتنقلب له كلمة متحيزة إلى فئة البدعة إلا إذا أدركها الحق فكلمها ولله الحمد

(قوله كالغيلة من الاغتيال) كذا فى الصحاح وفيه يقال قتله غيلة وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فيقتله فيه

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ٭ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ٭ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا

أو لانه مامن ذنب يقترفه المقترف إلا كان معفواً عنه بالتوبة أو لانه بليغ فى قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى-واتقوا الله بترك ماأمرتم باجتنابه والندم على ماوجد منكم منه فإنكم إن اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوماً فبعثاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما إداماً وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماعندى شىء فأخبرهما سلمان بذلك فعند ذلك قالا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ماتناولنا لحماً فقال إنكما قد اغتبتما فنزلت (من ذكر وأنثى) من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فما منكم أحد إلا وهو يدلى بمثل مايدلى به الآخر سواء بسواء فلاوجه للتفاخر والتفاضل فى النسب ٭ والشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الأفخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها ٭ وقرئ لتتعارفوا ولتعارفوا بالإدغام ولتعرفوا أى لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى أن الحكمة التى من أجلها رتبكم على شعوب وقبائل هى أن يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى إلى غير آبائه لا أن تتفاخروا بالآباء والأجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل فى الأنساب ٭ ثم بين الخصلة التى بها يفضل الإنسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله تعالى فقال (إن أكرمكم عندالله أتقاكم) وقرئ أن بالفتح كأنه قيل لم لايتفاخر بالأنساب فقيل لأن أكرمكم عندالله أتقاكم لاأنسبكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذى أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس إنما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعنه عليه السلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق المدينة فرأى غلاماً أسود يقول من اشترانى فعلى شرط لايمنعنى عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يراه عند كل صلاة ففقده يوماً فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد ثلاثة أيام فقال هو لمابه فجاءه وهو فى ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والأنصار أمر عظيم فنزلت ٭ الإيمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس والإسلام الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين بإظهار الشهادتين ألا ترى إلى قوله تعالى ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم فاعلم أن مايكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام وماواطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان (فإن قلت) ماوجه قوله تعالى (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) والذى يقتضيه نظم الكلام أن يقال قل لاتقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أوقل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم (قلت) أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعى فى هذا النوع من التكذيب

٭ قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا سلمنا) (قال فيه وجه هذا النظم تكذيب دعواهم أولا الخ) قال أحمد ونظير هذا النظم ومراعاة هذه اللطيفة قوله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ثم قال والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ولما كان مؤدى هذا تكذيب الله تعالى لهم فى شهادتهم برسالة النبى صلى الله عليه وسلم قدم على

(قوله عبية الجاهلية) فى الصحاح رجل فيه عبية أى كبر وتجبر وعبية الجاهلية نخوتها (قوله وهو فى ذمائه) فى الصحاح الذماء ممدود بقية الروح فى المذبوح

يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ

أدب حسن حين لم يصرّح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ما ادعوا إثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم فى قوله فى صفة المخلصين أولئك هم الصادقون تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التى هى لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالإيمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان خروجه فى معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به (فإن قلت) قوله (ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) بعد قوله تعالى قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة (قلت) ليس كذلك فإن فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى قولوا وما فى لما من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (لا يلتكم) لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال ألته السلطان حقه أشد الألت وهى لغة غطفان ولغة أسد وأهل الحجاز لاته ليتا وحكى الأصمعى عن أم هشام السلولية أنها قالت الحمد لله الذى لا يفات ولا يلات ولا تصمه الأصوات وقرئ باللغتين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه فى المعنى فلا تظلم نفس شيئا ۞ ومعنى طاعة الله ورسوله أن يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الإيمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وأنعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن نفرا من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فأظهروا الشهادة وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والذرارى يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت ۞ ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه فى الشك مع التهمة والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق منه (فإن قلت) ما معنى ثم ههنا وهى للتراخى وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للإيمان لأنه وصف فيه لما بينت، من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التى حقيقتها التيقن وانتفاء الريب (قلت) الجواب على طريقين أحدهما أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف فى قلبه ما يثلم يقينه أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثانى أن الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانه وعطف على الإيمان بكلمة التراخى إشعارا باستقراره فى الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا (وجاهدوا) يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة فى جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التى يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله تعالى (أولئك هم الصادقون) الذين صدقوا فى قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بنى أسد أو هم الذين

ذلك مقدمة تلخص المقصود وتخلصه من حوادث الوهم ونوائبه فقال بين الكلامين والله يعلم إنك لرسوله ثم قال بعد ذلك والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فتلخص من ذلك أنهم كذبوا فيما ادعوه من شهادة قلوبهم بالحق لأن ذلك حقيقة الشهادة لا أنهم كذبوا فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول من الله وكان المخلص من ذلك قوله جلّ وعلا والله يعلم إنك لرسوله

(قوله ولا تصمه الأصوات) إن كان من الوصم فالمعنى لا تصدعه الأصوات ولا تعيبه وإن كان من الصمم فالمعنى لا تجد أصمّ وفى الصحاح الوصم الصدع والعيب وفيه أصممته وجدته أصمّ

الصَّادِقُونَ ۞ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞

سورة ق مكية

إلا آية ٣٨ فمدنية وآياتها ٤٥ نزلت بعد المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۞ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا

إيمانهم إيمان صدق وإيمان حق وجدو ثبات يقال ماعلمت بقدومك أى ماشعرت به ولا أحطت به ومنه قوله تعالى (أتعلمون الله بدينكم) وفيه تجهيل لهم ۞ يقال من عليه بيد أسداها اليه كقولك أنعم عليه وأفضل عليه والمنة النعمة التى لا يستثيب مسديها من يزلها اليه واشتقاقها من المن الذى هو القطع لأنه إنما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لاغير من غير أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال منّ عليه صنعه إذا اعتده عليه منة وإنعاما وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أنّ الكائن من الأعاريب قد سماه الله إسلاما ونفى أن يكون كما زعموا إيمانا فلما منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه السلام إنّ هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديراً بالاعتداد به من حدثهم الذى حق تسميته أن يقال له إسلام فقل لهم لا تعتدوا علىّ إسلامكم أى حدثكم المسمى إسلاما عندى لا إيمانا ۞ ثم قال بل الله يعتد عليكم أن أمدكم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على مازعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم اليه ووفقتم له إن صحّ زعمكم وصدقت دعواكم إلا أنكم تزعمون وتدعون ماالله عليم بخلافه وفى إضافة الإسلام اليهم وإيراد الإيمان غير مضاف مالا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه تقديره إن كنتم صادقين فى ادعائكم الإيمان فلله المنة عليكم ۞ وقرئ إن هداكم بكسر الهمزة وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه إذ هداكم ۞ وقرئ تعلمون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم يعنى أنه عزّ وجل يعلم كل مستتر فى العالم ويبصر كل عمل تعملونه فى سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شىء فكيف يخفى عليه مافى ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك أنّ حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ الكلام فى (ق والقرآن المجيد بل عجبوا) نحوه فى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما فى أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته ۞ قوله بل عجبوا (أن جاءهم منذر منهم) إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته ومن كان على صفته لم يكن إلا ناصحا لقومه مترفرفا عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه وإذا علم أنّ مخوفا أظلهم لزمه أن

(قوله من يزلها اليه) فى الصحاح أزللت اليه نعمته أى أسديتها اليه وفى الحديث من أزلت إليه نعمة فليشكرها وأزللت شيئا من حقه أى أعطيت اه (قوله مترفرفا عليهم) فى الصحاح فلان يرفنا أى يحوطنا ورفرف الطائر إذا حرك جناحيه حول الشىء يريد أن يقع عليه ورف لونه بالفاء رفا ورفيفا برق وتلألأ وثوب رفيف وشجر رفيف إذا تدانت أوراقه وفيه أيضا ترقرق الشىء بالقاف تلألأ

شَىْءٌ عَجِيبٌ ۞ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۞ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ۞ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۞ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۞ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۞ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۞ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ الرَّسِّ

ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وإبداعه وإقرارهم بالنشأة الأولى ومع شهادة العقل بأنه لابدّ من الجزاء ۞ ثم عول على أحد الإنكارين بقوله تعالى (فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا) دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل فى الاستبعاد وأحق بالإنكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم فى قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا إشارة إلى الرجع وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع (ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد أبعد فلان فى قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعاداً لإنكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ إذا متنا على لفظ الخبر ومعناه إذا متنا بعد أن نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد (فإن قلت) فما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع (قلت) مادلّ عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قد علمنا) ردّ لاستبعادهم الرجع لأن من لطف علمه حتى تغلغل إلى ماتنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم احياء كما كانوا . عن النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب وعن السدى (ماتنقص الأرض منهم) مايموت فيدفن فى الأرض منهم (كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا) إضراب اتبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة الثابتة بالمعجزات فى أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر (فهم فى أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم فى أصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لايثبتون على شيء واحد ۞ وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هى التى فى قولهم لخمس خلون أى عند مجيئه إياهم وقيل الحق القرآن وقيل الإخبار بالبعث (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله فى خلق العالم (بنيناها) رفعناها بغير عمد (من فروج) من فتوق يعنى أنها ملساء سليمة من العيوب لافتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله تعالى « هل ترى من فطور » (مددناها) دحوناها (رواسى) جبالا ثوابت لولا هى لانكفأت (من كل زوج) من كل صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لتبصر به وتذكر كل (عبد منيب) راجع إلى ربه مفكر فى بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أى خلقها تبصرة (ماء مباركا) كثير المنافع (وحب الحصيد) وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد وهو مايقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما (باسقات) طوالا فى السماء وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بإبدال السين صادا لأجل القاف (نضيد) منضود بعضه فوق بعض إما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه أو كثرة مافيه من الثمر (رزقا) على أنبتناها رزقا لأن الإنبات فى معنى الرزق أو على أنه مفعول له أى أنبتناها لنرزقهم (كذلك الخروج) كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم والكاف فى محل الرفع على الابتداء ۞ أراد

وَثَمُودُ ۞ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۞ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۞ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۞ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۞ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

بفرعون قومه كقوله تعالى «من فرعون وملئهم» لأن المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (كل) يجوز أن يراد به كل واحد منهم وأن يراد جميعهم إلا أنه وحد الضمير الراجع إليه على اللفظ دون المعنى (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدى وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم ۞ عي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للإنكار والمعنى أنا لم نعجز كما علموا عن الخلق الأول حتى نعجز عن الثانى ثم قال هم لاينكرون قدرتنا على الخلق الأول واعترافهم بذلك فى طيه الاعتراف بالقدرة على الإعادة (بل هم فى لبس) أى فى خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول على رضى الله عنه ياحار إنه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله ولبس الشيطان عليهم تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح أن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر (فإن قلت) لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف الخلق الأول (قلت) قصد فى تنكيره إلى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديد حق من سمع به أن يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس فى مثله ۞ الوسوسة الصوت الخفى ومنها وسواس الحلى ووسوسة النفس مايخطر ببال الإنسان ويهجس فى ضميره من حديث النفس ۞ والباء مثلها فى قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز أن تكون للتعدية والضمير للإنسان أى ماتجعله موسوسا وما مصدرية لأنهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال وأكذب النفس إذا حدثتها (ونحن أقرب إليه) مجاز والمراد قرب علمه منه وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقا لايخفى عليه شىء من خفياته فكأن ذاته قريبة منه كما يقال الله فى كل مكان وقد جل عن الأمكنة ۞ وحبل الوريد مثل فى فرط القرب كقولهم هو منى مقعد القابلة ومعقد الإزار وقال ذو الرمة والموت أدنى لى من الوريد، والحبل العرق شبه بواحد الحبال ألا ترى إلى قوله كأن وريديه رشا آخلب والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل سمى وريدا لأن الروح ترده (فإن قلت) ماوجه إضافة الحبل إلى الوريد والشىء لايضاف إلى نفسه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن تكون الإضافة للبيان كقولهم بعير سانية. والثانى أن يراد حبل العاتق فيضاف إلى

﴿القول فى سورة ق﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد (وقع فى النسخة ماأحكيه وصورته فإن قلت لم نكر الخلق الجديد الخ) قال أحمد هذا كلام كما تراه غير منتظم والظاهر أنه لفساد فى النسخة والذى يتحرر فى الآية وهو مقتضى تفسير الزمخشرى أن فيها أسئلة ثلاثة لم عرف الخلق الأول ونكر اللبس والخلق الجديد فاعلم أن التعريف لا غرض منه إلا تفخيم ما قصد تعريفه وتعظيمه ومنه تعريف الذكور فى قوله ويهب لمن يشاء الذكور ولهذا المقصد عرف الخلق الأول لأن الغرض جعله دليلا على إمكان الخلق الثانى بطريق الأولى إذا لم يعى تعالى بالخلق الأول على عظمته فالخلق الآخر أولى أن لايعيأ به فهذا سر تعريف الخلق الأول. أما التنكير فأمره منقسم فمرة يقصد به تفخيم المنكر من حيث مافيه من الإبهام كأنه أفخم من أن يخاطبه معرفة ومرة يقصد به التقليل من المنكر والوضع

(قوله ثم قال هم لاينكرون) يعنى كأنه قال ذلك بمعونة الإضراب وقوله فى طيه إلخ أى يلزمه ذلك وإن لم يقع منهم للبس (قوله ياحار إنه لملبوس) لعله ترخيم حارث (قوله رشا آخلب) خلب الليف كذا فى الصحاح

عَتِيدٌ ۝ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝ وَجَآءَتْ

الوريد كما يضاف إلى العاتق لاجتماعهما فى عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا (إذ) منصوب بأقرب وساغ ذلك لأنّ المعانى تعمل فى الظرف متقدمة ومتاخرة والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس وما لاشىء أخفى منه وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان مايتلفظ به إيذانا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غنى عنه وكيف لايستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وإنما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهى مافى كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه بإحاطة الله بعمله من زيادة لطف له فى الانتهاء عن السيئات والرغبة فى الحسنات وعن النبى صلى الله عليه وسلم إنّ معقد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجرى فيما لايعنيك لاتستحيى من الله تعالى ولا منهما ويجوز أن يكون تلقى الملكين بيانا للقرب يعنى ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهيمنون عليه إذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقى التلقن بالحفظ والكتبة ۝ والقعيد القاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثانى عليه كقوله كنت منه ووالدى بريا (رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شىء حتى أنينه فى مرضه وقيل لايكتبان إلا مايؤجر عليه أو يؤزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشراً وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر وقيل إنّ الملائكة يجتنبون الإنسان عند غائطه وعند جماعه ۝ وقرئ مايلفظ على البناء للمفعول . لما ذكر إنكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه أعلمهم أنّ ما أنكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضى وهو قوله (وجاءت سكرة الموت بالحق) ونفخ فى الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء فى بالحق للتعدية يعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذى أنطق الله به كتبه وبعث به رسله أو حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى خلق له الإنسان من أن كل نفس ذائقة الموت ويجوز أن تكون الباء مثلها فى قوله تنبت بالدهن أى وجاءت ملتبسة بالحق أى بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغرض الصحيح كقوله تعالى خلق السموات والأرض بالحق وقرأ أبوبكر وابن مسعود رضى الله عنهما سكرة الحق بالموت على إضافة السكرة إلى الحق والدلالة على أنها السكرة التى كتبت على الإنسان وأوجبت له وأنها حكمة والباء للتعدية لأنها سبب زهوق الروح لشدتها أو لأنّ الموت يعقبها فكأنها جاءت به ويجوز أن يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله أضيفت إليه تفظيعا لشأنها وتهويلا وقرئ سكرات الموت (ذلك) إشارة إلى الموت والخطاب للإنسان فى قوله ولقد خلقنا الإنسان على طريق الالتفات أو إلى الحق والخطاب للفاجر (تحيد) تنفر وتهرب وعن بعضهم أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ماسن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيدالله بن عباس فقال أخالفهما

منه وعلى الأول سلام قولا من رب رحيم وقوله لهم مغفرة وأجر عظيم وإنّ المتقين فى جنات ونعيم وقوله بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وهو أكثر من أن يحصى والثانى هو الأصل فى التنكير فلا يحتاج إلى تمثيله فتنكير اللبس من التعظيم والتفخيم كأنه قال فى لبس أى وتنكير الخلق الجديد للتقليل منه والتهوين لأمره بالنسبة إلى الخلق الأول يحتمل أن يكون للتفخيم وكأنه أمر أعظم من أن يرضى الإنسان بكونه ملتبساً عليه مع أنه أول ماتبصر فيه صحته ولعل إشارة الزمخشرى إلى هذا والله أعلم فهذا كما تراه كلام مناسب لاستطراف أسئلة وأجوبة فإن يكن هو ما أراده الزمخشرى فذاك وإلا

(قوله لو قيل حبل العلباء) هى عصب العنق كما فى الصحاح (قوله وهو أقرب من الإنسان) يقال قرب من الشىء كما يقال قرب إليه

كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ *
وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ
إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا

جميعاً هو للبر والفاجر (ذلك يوم الوعيد) على تقدير حذف المضاف أى وقت ذلك يوم الوعيد والإشارة إلى مصدر نفخ (سائق وشهيد) ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله أو ملك واحد جامع بين الأمرين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالإضافة إلى ما هو فى حكم المعرفة * قرئ لقد كنت عنك غطاءكِ فبصركِ بالكسر على خطاب النفس أى يقال لها لقد كنت * جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئاً فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت الغفلة عنه وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق * ورجع بصره الكليل عن الأبصار لغفلته حديداً لتيقظه (وقال قرينه) هو الشيطان الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته (هذا ما لدى عتيد) هذا شيء لدى وفى ملكتى عتيد لجهنم والمعنى أن ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهيئته لها بإغوائى وإضلالى (فإن قلت) كيف إعراب هذا الكلام (قلت) إن جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وإن جعلتها موصولة فهو بدل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف (ألقيا) خطاب من الله تعالى للملكين السابقين السائق والشهيد ويجوز أن يكون خطابا للواحد على وجهين أحدهما قول المبرد أن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كأنه قيل ألق ألق للتأكيد والثانى أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على ألسنتهم أن يقولوا خليلى وصاحبى وقفا وأسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج أنه كان يقول ياحرسى اضربا عنقه وقرأ الحسن ألقين بالنون الخفيفة ويجوز أن تكون الألف فى ألقيا بدلا من النون إجراء للوصل مجرى الوقف (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لأهله (مناع للخير) كثير المنع المال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط أو مناع لجنس الخير أن يصل إلى أهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يمنع بنى أخيه من الإسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت (معتد) ظالم متخط للحق مريب شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل) مبتدأ مضمن معنى الشرط ولذلك أجيب بالفاء ويجوز أن يكون الذى جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون (فألقياه) تكريرا للتوكيد * (فإن قلت) لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على الأولى (قلت) لأنها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما رأيت فى حكاية المقاولة بين موسى وفرعون (فإن قلت) فأين التقاول ههنا (قلت) لما قال قرينه هذا ما لدى عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وتلاه لا تختصموا لدى علم أن ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كأنه قال رب هو أطغانى فقال قرينه ربنا ما أطغيته وأما الجملة الأولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول أعنى مجىء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له (ما أطغيته) ما جعلته طاغيا وما أوقعته فى الطغيان * ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى

فالعق العسل ولا تسل * قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته (قال فيه) إن قلت لم طرحت الواو من هذه الجملة وذكرت الأولى وأجاب بأنها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما رأيت فى حكاية المقاولة بين موسى وفرعون (قال) فإن قلت أين المقاولة قلت لما قال قرينه هذا ما لدى عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وتلاه لا تختصموا علم أن ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت للدلالة عليها من السياق كأنه لما قال القرين هذا ما لدى عتيد قال الكافر رب هو أطغانى فلما قال الكافر ذلك قال القرين ما أطغيته فلما حكى قول القرين والكافر كأن قائلا يقول فماذا قال الله تعالى فقيل قال لا تختصموا أى لا تختصموا فى دار الجزاء وذكر الواو فى الجملة الأولى لأنها أول المقاولة ولا بد من عطفها

لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ۞ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۞ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ

وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى (قال لا تختصموا) استئناف مثل قوله قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا فى دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة فى اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابى على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فما تركت لكم حجة على ۞ ثم قال لا تطمعوا أن أبدل قولى ووعيدى فأعفيكم عما أوعدتكم به (وما أنا بظلام للعبيد) فأعذب من ليس بمستوجب للعذاب ۞ والباء فى بالوعيد مزيدة مثلها فى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أو معدية على أن قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز أن يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا أى قدمت إليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته إليكم موعدا لكم به (فإن قلت) إن قوله وقد قدمت إليكم واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد فى الدنيا والخصومة فى الآخرة واجتماعهما فى زمان واحد واجب (قلت) معناه لا تختصموا وقد صح عندكم أنى قدمت إليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم فى الآخرة (فإن قلت) كيف قال بظلام على لفظ المبالغة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده والثانى أن يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك ۞ قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال ۞ وانتصاب اليوم بظلام أو بمضمر نحو اذكر وأنذر ويجوز أن ينتصب بنفخ كأنه قيل ونفخ فى الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك إلى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف ۞ وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذى يقصد به تصوير المعنى فى القلب

للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول أعنى مجىء كل نفس مع الملكين وهذه المقاولة إلى آخرها (قال) وقوله وقد قدمت إليكم بالوعيد حال مما اشتمل عليه قوله لا تختصموا وصح ذلك مع أن التقدم فى الدنيا والخصومة فى الآخرة لأن المراد وقد صح عندكم أنى قدمت وصحة ذلك عندهم فى الآخرة فاتحد زمان الفعلين الحال والعامل فى صاحبه ۞ قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد (قال فيه إن قلت كيف جاء على لفظ المبالغة الخ) قال أحمد وذكر فيه وجهان آخران أحدهما أن فعالا قد ورد بمعنى فاعل فهذا منه الثانى أن المنسوب فى المعتاد إلى الملوك من الظلم تحت ظلمهم إن عظيما فعظيم وإن قليلا فقليل فلما كان ملك الله تعالى على كل شىء ملكه قدس ذاته عما يتوهم مخذول والعياذ بالله أنه منسوب إليه من ظلم تحت شمول كل موجود ولقد بذل القدرية فتوهموا أن الله تعالى لم يأمر إلا بما أراده وبما هو من خلق العبد بناء على أنه لو كلف على خلاف ما أراد وبما ليس من خلق العبد لكان تكليفا بما لا يطاق واعتقدوا أن ذلك ظلم فى الشاهد فلو ثبت فى الغائب لكان كما هو فى الشاهد ظلما والله تعالى مبرأ من الظلم ألا ترى هذا المعتقد كيف لزمهم عليه أن يكون الله تعالى ظلاما لعبيده تعالى الله عن ذلك لأن الحق الذى قامت بصحته البراهين هو عين ما اعتقدوه ظلما فنفوه فلمثلهم وردت هذه الآية وأشباهها لتبين للناس ما نزل إليهم ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والله الموفق للصواب قوله تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت الآية (قال فيه سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذى يقصد به تصوير المعنى الخ) قال أحمد قد تقدم إنكارى عليه إطلاق التخييل فى غير ما موضع والنكير ههنا أشد عليه فإن إطلاق التخييل قد مضى له فى مثل قوله والأرض جميعا قبضته يوم القيامة وفى مثل قوله بل يداه مبسوطتان وإنما أراد به حمل الأيدى على نوع من المجاز فمعنى كلامه صحيح لأنا نعتقد فيهما المجاز وندين الله بتقديسه عن المفهوم الحقيقى فلا بأس عليه فى معنى إطلاقه غير أنا مخاطبون باجتناب الألفاظ الموهمة فى حق جلال الله تعالى وإن كانت معانيها صحيحة وأى إيهام أشد من إيهام لفظ التخييل ألا ترى كيف استعمله الله فيما أخبر أنه سحر وباطل فى قوله يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فلا يشك فى وجوب اجتنابه ثم يعود بنا الكلام إلى إطلاقه ههنا فنقول هو منكر لفظا ومعنى أما اللفظ فقد تقدم وأما المعنى فلأنا نعتقد أن سؤال جهنم وجوابها حقيقة وأن الله تعالى يخلق فيها الإدراك بذلك بشرطه وكيف نفرض وقد وردت الأخبار

وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۞ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۞ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۞ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۞ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۞

وتنيته وفيه معنيان أحدهما أنها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لايسعها شيء ولا يزاد على امتلائها لقوله تعالى لأملأن جهنم والثانى أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز أن يكون هل من مزيد استكثاراً للداخلين فيها واستبداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم أوطلباً الزيادة غيظاً على العصاة والمزيد إما مصدر كالمحيد والمميد وإما اسم مفعول كالمبيع (غير بعيد) نصب على الظرف أى مكانا غير بعيد أوعلى الحال وتذكيره لأنه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث أوعلى حذف الموصوف أى شيئاً غير بعيد ومعناه التوكيد كماتقول هوقريب غير بعيد وعزيز غير ذليل ۞ وقرئ توعدون بالتاء والياء وهى جملة اعتراضية و (لكل أواب) بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ۞ وهذا إشارة إلى الثواب أوإلى مصدر أزلفت ۞ والأواب الرجاع إلى ذكر الله تعالى والحفيظ الحافظ لحدوده تعالى و (من خشى) بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز أن يكون بدلا عن موصوف أواب وحفيظ ولايجوز أن يكون فى حكم أواب وحفيظ لأن مَنْ لايوصف به ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذى وحده ويجوز أن يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لأن من فى معنى الجمع ويجوز أن يكون منادى كقولهم من لايزال محسناً أحسن إلى وحذف حرف النداء للتقريب (بالغيب) حال من المفعول أى خشيه وهوغائب لم يعرفه وكونه معاقباً لابطريق الاستدلال أوصفة لمصدر خشى أى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهوغائب أوخشيه بسبب الغيب الذى أوعده به من عذابه وقيل فى الخلوة حيث لايراه أحد (فإن قلت) كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة (قلت) للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كماأثنى عليه بأنه خاش مع أن المخشى منه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات ۞ وصف القلب بالإنابة وهى الرجوع إلى الله تعالى لأن الاعتبار بما ثبت منها فى القلب ۞ يقال لهم (ادخلوها بسلام) أى سالمين من العذاب وزوال النعم أومسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته (ذلك يوم الخلود) أى يوم تقدير الخلود كقوله تعالى فادخلوها خالدين أى مقدرين الخلود (ولدينا مزيد) هومالم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم حتى يشاؤه وقيل إن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فنقول نحن المزيد الذى قال الله عزوجل ولدينا مزيد (فنقبوا) وقرئ بالتخفيف فخرقوا فى البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن الأمر والبحث والطلب قال الحرث بن حلزة نقبوا فى البلاد من حذر المو ۞ ت وجالوا فى الأرض كل مجال

وتظاهرت على ذلك منها هذا ومنها لجاج الجنة والنار ومنها اشتكاؤها إلى ربها فأذن لها فى نفسين وهذه وإن لم تكن نصوصا فظواهر يجب حملها على حقائقها لأنا متعبدون باعتقاد الظاهر مالم يمنع مانع ولا مانع ههنا فإن القدرة صالحة والعقل يجوز والظواهر قاضية بوقوع ماصوره العقل وقدوقع مثل هذا قطعا فى الدنيا كتسليم الشجر وتسبيح الحصا فى كف النبى ﷺ وفى يد أصحابه ولو فتح باب المجاز والعدول عن الظواهر فى تفاصيل المقالة لاتسع الخرق وضل كثير من الخلق عن الحق وليس هذا كالظواهر الواردة فى الإلهيات مما لم يجوز العقل اعتقاد ظاهرها فإن العدول فيها عن ظاهر الكلام بضرورة الانقياد إلى أدلة العقل المرشدة إلى المعتقد الحق فاشدد يدك بما فصل فى هذا الفصل مما أرشدتك به إلى منهج القرب والوصل والله الموفق ۞ قوله تعالى من خشى الرحمن بالغيب (قال فيه إن قلت كيف قرن الخشية باسمه الدال على سعة لرحمة الخ) قال أحمد ومن هذا الوادى بالغ رسول الله ﷺ فى الثناء على صهيب بقوله نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه

(قوله حتى لايسعها شيء) كأن فيه قلبا (قوله واستبداعا الزيادة) لعله واستبعادا

(قوله ودوخوا والتنقيب) الذى فى الصحاح أن دوخ البلاد بمعنى قهرها واستولى على أهلها

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن
لُّغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَارَ السُّجُودِ * وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشاً أى شدة بطشهم أبطرتهم وأقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة فى أسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصاً حتى يؤملوا مثله لأنفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الأمر كقوله تعالى فسيحوا فى الأرض وقرئ بكسر القاف مخففة النقب وهو أن ينتقب خف البعير قال مامسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت أخفاف إبلهم أو حفيت أقدامهم ونقبت كما تنقب أخفاف الإبل لكثرة طوفهم فى البلاد (هل من محيص) من الله أو من الموت (لمن كان له قلب) أى قلب واع لأن من لا يعى قلبه فكأنه لا قلب له * وإلقاء السمع الإصغاء (وهو شهيد) أى حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وقد ملح الإمام عبد القاهر فى قوله لبعض من يأخذ عنه ما شئت من زهزهة والفتى * بمصقلاباذ لسقى الزروع أو وهو مؤمن شاهد على صحته وأنه وحى من الله أو وهو بعض الشهداء فى قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدى وجماعة أُلقِىَ السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن ألقى غيره السمع وفتح له أذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل ألقى سمعه أو السمع منه اللغوب الإعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيباً لقولهم خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا إن الذى وقع من التشبيه فى هذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أخذ (فاصبر على ما يقولون) أى اليهود يأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من إنكارهم البعث فإن من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل الصبر مأمور به فى كل حال (بحمد ربك) حامداً ربك والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل) العشاآن وقيل التهجد (وأدبار السجود) التسبيح فى آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن على رضى الله عنه الركعتان بعد المغرب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته فى عليين وعن ابن عباس رضى الله عنهما الوتر بعد العشاء والإدبار جمع دبر وقرئ وإدبار من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت ومعناه ووقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (واستمع) يعنى واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك (فإن قلت) بم انتصب اليوم (قلت) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور * ويوم يسمعون بدل من (يوم ينادى) و(المنادى) إسرافيل ينفخ فى الصور وينادى أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل إسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (من مكان قريب) من صخرة بيت المقدس وهى أقرب الأرض من السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الأرض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام

(قوله من زهزهة والفتى) هى قول الشخص زهازها وهى كلمة فارسية معناها استحسان الشىء وقوله بمصقلاباذ أى كأنه غائب هناك

الْخُرُوجِ ۞ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ۞ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۞ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ۞

سورة الذاريات مكية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۞ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۞ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۞ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۞ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۞ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۞ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۞

البالية و (الصيحة) النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمرادبه البعث والحشر للجزاء ۞ قرئ تشقق وتشقق بإدغام التاء فى الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق (سراعا) حال من المجرور (علينا يسير) تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعنى لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذات الذى لا يشغله شأن عن شأن كما قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة (نحن أعلم بما يقولون) تهديدلهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بجبار) كقوله تعالى بمسيطر حتى تقسرهم على الإيمان إنما أنت داع وباعث وقيل أريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز أن يكون من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه أى ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمان وعلى بمنزلته فى قولك هو عليهم إذا كان واليهم ومالك أمرهم (من يخاف وعيد) كقوله تعالى « إنما أنت منذر من يخشاها » لأنه لا ينفع إلا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته

﴿ سورة والذاريات مكية وهى ستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والذاريات) الرياح لأنها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى « تذروه الرياح » وقرئ بإدغام التاء فى الذال (فالحاملات وقرا) السحاب لأنها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر أو على إيقاعه موقع حملا (فالجاريات يسرا) الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر أى ذا سهولة (فالمقسمات أمرا) الملائكة لأنها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم أمر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الأرواح وإسرافيل للنفخ وعن علىّ رضى الله عنه أنه قال وهو على المنبر سلونى قبل أن لا تسألونى ولن تسألوا بعدى مثلى فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات ذروا قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات أمرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها أرزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز أن يراد الرياح لا غير لأنها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الأمطار بتصريف السحاب (فإن قلت) ما معنى الفاء على التفسيرين (قلت) أما على الأول فمعنى التعقيب فيها أنه تعالى أقسم بالرياح فبالسحاب الذى تسوقه فبالفلك التى تجرى بها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومنافعه وأما على الثانى فلأنها تبتدئ بالهبوب فتذروا التراب والحصباء فتقل السحاب فتجرى فى الجو باسطة له فتقسم المطر (إنما توعدون) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث ۞ ووعد صادق كعيشة راضية ۞ والدين الجزاء ۞ والواقع الحاصل (الحبك) الطرائق مثل حبك الرمل والماء إذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير مكلل بأصول النجم تنسجه ۞ ريح خريق لضاحى مائه حبك والدرع محبوكة لأن حلقها مطرق طرائق ويقال إن خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى أنها تزينها كما تزين

(قوله إنما أنت داع وباعث) أى تبعث الناس على الإيمان (قوله هوّن الله عليه تارات الموت) فى الصحاح فعل ذلك الأمر تارة بعد تارة أى مرة بعد مرة (قوله فلأنها تبتدئ بالهبوب) لعله فإنها

الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۞ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۞ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۞

الموشى طرائق الوشى وقيل حبكها صفاقتها وإحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم أى محكمها وإذا أجاد الحائك الحياكة قالوا ما أحسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل أو حبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الإبل (إنكم لفى قول مختلف) قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن شعر وسحر وأساطير الأولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا إنما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر (يؤفك عنه) الضمير للقرآن أو للرسول أى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف أشد منه وأعظم كقوله لا يهلك على الله إلا هالك وقيل يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوى ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم فى قول مختلف فى وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك ووجه آخر وهو أن يرجع الضمير إلى قول مختلف وعن مثله فى قوله ينهون عن أكل وعن شرب أى يتناهون فى السمن بسبب الأكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم فى السمن عنهما وكذلك يصدر إفكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من أفك على البناء للفاعل أى من أفك الناس عنه وهم قريش وذلك أن الحى كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأى ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن على يأفك عنه من أفك أى يصرف الناس عنه من هو مأفوك فى نفسه وعنه أيضا يأفك عنه من أفك أى يصرف الناس عنه من هو أفاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن أى يحرمه من حرم من أفن الضرع إذا نهكه حلبا (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى «قتل الإنسان ما أكفره» وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام إشارة إليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين أى قتل الله (فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسئلون) فيقولون (أيان يوم الدين) أى متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهى لغة (فإن قلت) كيف وقع أيان ظرفا لليوم وإنما تقع الأحيان ظروفا للحدثان (قلت) معناه أيان وقوع يوم الدين (فإن قلت) فيم انتصب اليوم الواقع فى الجواب (قلت) بفعل مضمر دل عليه السؤال أى يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز أن يكون مفتوحا لإضافته إلى غير متمكن وهى الجملة (فإن قلت) فما محله مفتوحا (قلت) يجوز أن يكون محله نصبا بالمضمر الذى هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقرأ ابن أبى عبلة بالرفع (يفتنون) يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهى الحرة لأن حجارتها كأنها محرقة (ذوقوا فتنتكم) فى محل الحال أى مقولا لهم هذا القول (هذا) مبتدأ و(الذى) خبره أى هذا العذاب هو الذى (كنتم به تستعجلون) ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم أى ذوقوا هذا العذاب (آخذين ما آتاهم) ربهم

القول فى سورة الذاريات

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۞ قوله تعالى يؤفك عنه من أفك (قال فيه يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف أشد منه الخ) قال أحمد إنما أفاد هذا النظم المعنى الذى ذكر من قبل أنك إذا قلت يصرف عنه من صرف علم السامع أن قولك يصرف عنه يغنى عن قولك من صرف لأنه بمجرده كالتكرار للأول لولا ما يستشعر فيه من فائدة تأبى جعله تكرارا وتلك الفائدة إنك لما خصصت هذا بأنه هو الذى صرف أفهم أن غيره لم يصرف فكأنك قلت لا يثبت الصرف فى الحقيقة إلا لهذا وكل صرف دونه فكلا صرف بالنسبة إليه والله تعالى أعلم

(قوله فرس محبوك المعاقم) فى الصحاح المعاقم من الخيل المفاصل فالرسغ عند الحافر معقم والركبة معقم والعرقوب معقم اه

كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۞ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ

قابلين لكل ما أعطاهم راضين به يعنى أنه ليس فيما آتاهم إلا ما هو متلقى بالقبول مرضى غير مسخوط لأن جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات أى يقبلها ويرضاها (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير إحسانهم ما بعده (ما) مزيدة والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل إن جعلت قليلا ظرفا ولك أن تجعله صفة للمصدر أى كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز أن تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو القرار من النوم قال قد حصت البيضة رأسى ۞ فما أطعم نوما غير تهجاع وقوله قليلا ومن الليل لأن الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فإذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم وقوله (هم يستغفرون) فيه أنهم هم المستغفرون الأحقاء بالاستغفار دون المصرين فكأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه (فإن قلت) هل يجوز أن تكون ما نافية كما قال بعضهم وأن يكون المعنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله (قلت) لا لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم أضرب ولا تقول زيدا ما ضربت ۞ السائل الذى يستجدى (والمحروم) الذى يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبى صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذى ترده الأكلة والأكلتان واللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذى لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذى لا ينمى له مال وقيل المحارف الذى لا يكاد يكسب (وفى الأرض آيات) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هى مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذى جعل لكم الأرض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين فى مناكبها وهى مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهى كالطروقة تلقح بألوان النبات وأنواع الأشجار بالثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض فى الأكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم فى صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفننة والدواب المنبثة فى برها وبحرها المختلفة الصور والأشكال والأفعال من الوحشى والإنسى والهوام وغير ذلك (للموقنين) الموحدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهانى الموصل إلى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيمانا مع إيمانهم وإيقانا إلى إيقانهم (وفى أنفسكم) فى حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه

۞ قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون (ذكر) فيه وجهين أن تكون ما زائدة وقليلا ظرف منتصب بيهجعون أى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل أو تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية اهـ كلامه (قال أحمد) وجوه مستقيمة خلا جعل ما مصدرية فإن قليلا حينئذ واقع على الهجوع لأنه فاعله وقوله من الليل لا يستقيم أن يكون صفة للقليل ولا بيانا له ولا يستقيم أن يكون من صلة المصدر لأنه تقدم عليه ولا كذلك على أنها موصولة فإن قليلا حينئذ واقع على الليل كأنه قال قليلا المقدار الذى كانوا يهجعون فيه من الليل فلا مانع أن يكون من الليل بيانا للقليل على هذا الوجه وهذا الذى ذكره إنما تبع فيه الزجاج وقد رد الزمخشرى أن تكون ما نافيا وقليلا منصوب بيهجعون على تقدير كانوا ما يهجعون قليلا من الليل وأسند رده إلى امتناع تقدم ما فى حيز النفى عليه (قلت) وفيه خلل من حيث المعنى فإن طلب قيام جميع الليل غير مستثنى منه الهجوع وإن قل

(قوله وهو القرار من النوم) فى الصحاح القرار بالكسر النوم القليل اهـ (قوله وقيل المحارف) فى الصحاح رجل محارف بفتح الراء أى محدود محروم خلاف قولك مبارك اهـ (قوله وعذاة) فى الصحاح العذاة الأرض الطيبة التربة والجمع عذوات

وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿

الاذهان وحسبك بالقلوب ومارکز فيها من العقول وخصت به من أصناف المعانى وبالألسن والنطق ومخارج الحروف ومافى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الأسماع والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وماسوى فى الأعضاء من المفاصل للانعطاف والثنى فإنه إذا جسا شيء منها جاء العجز وإذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين (وفى السماء رزقكم) هو المطر لأنه سبب الأقوات وعن سعيد ابن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه لخطاياكم (وماتوعدون) الجنة هى على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ماترزقونه فى الدنيا وماتوعدون به فى العقبى كله مقدر مكتوب فى السماء ﴿ قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق أى حق مثل نطقكم وبالنصب على أنه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لاضافته إلى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس إن هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما إنك ههنا وهذا الضمير إشارة إلى ماذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أو إلى ماتوعدون وعن الأصمعى أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابى على قعود له فقال من الرجل قلت من بنى أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال أتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله تعالى وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بى بصوت دقيق فالتفت فإذا أنا بالاعرابى قد نحل وأصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والأرض إنه لحق فصاح وقال ياسبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجؤه إلى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه (هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما عرفه بالوحى ﴿ والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لأنه فى الأصل مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفاً لأنهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم أو لأنهم كانوا فى حسبانه كذلك ﴿ وإكرامهم أن إبراهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى أو أنهم فى أنفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون (إذ دخلوا) نصب بالمكرمين إذا فسر بإكرام إبراهيم لهم وإلا فبما فى ضيف من معنى الفعل أو بإضمار اذكر (سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما ﴿ وأما (سلام) فمعدول به إلى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله تعالى وهذا أيضا من إكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم (قوم منكرون) أنكرهم للسلام الذى هو علم الاسلام أو أراد أنهم ليسوا من معارفه أو من جنس الناس الذين عهدهم كما لو أبصر العرب قوما من الخزر أو رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم أو كان

غير ثابت فى الشرع ولامعهود ﴿ ثم قال وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فإذا أسحروا شرعوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم ﴿ قال وقوله هم معناه هم الأحقاء بالاستغفار دون المصرين ﴿ قال وفى الآية مبالغات منها لفظ الهجوع وهو الخفيف القرار من النوم ﴿ قال وقوله قليلا وقوله من الليل لأنه وقت السبات قال ومنها زيادة ما فى بعض الوجوه (قلت) وفى عدها من المبالغة نظر فإنها تؤكد الهجوع وتحققه إلا أن يجعلها بمعنى القلة فيحتمل

(قوله فإذا جسا شيء منها) فى الصحاح جست اليد وغيرها جسوا وجساء يبست اه (قوله قوما من الخزر) فى الصحاح الخزر جيل من الناس والأخزر ضيق العين صغيرها كما أفاده الصحاح

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۞ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۞ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ۞ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ۞ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۞ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۞ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ

هذا سؤالا لهم كأنه قال أنتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم (فراغ إلى أهله) فذهب إليهم في خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يباده بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله إبراهيم البقر (فجاء بعجل سمين) ۞ والهمزة في (ألا تأكلون) للإنكار أنكر عليهم ترك الأكل أوحثهم عليه (فأوجس) فأضمر وإنما خافهم لأنهم لم يتحرموا بطعامه فظن أنهم يريدون به سوأ وعن ابن عباس وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه (بغلام عليم) أي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به إسحاق وهو أكثر الأقاويل وأصحها لأن الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة إبراهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو إسماعيل (في صرة) في صيحة من صر الجند وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال أي فجاءت صارة قال الحسن أقبلت إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم لأنها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فأخذت في صرة كما تقول أقبل يشتمني وقيل صرتها قولها أوه وقيل ياويلتا وعن عكرمة رنتها (فصكت) فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب (عجوز) أنا عجوز فكيف ألد (كذلك) مثل ذلك الذي قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أي إنما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين وروى أن جبريل قال لها انظري إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون إلا بإذن الله رسلا في بعض الأمور (قال فما خطبكم) أي فما شأنكم وما طلبكم (إلى قوم مجرمين) إلى قوم لوط (حجارة من طين) يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة (مسومة) معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل أعلمت بأنها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا ۞ سماهم مسرفين كما سماهم عادين لإسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقنعوا بما أبيح لهم الضمير في (فيها) للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد وأنهما صفتا مدح قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم ليعلموا أن الإيمان محفوظ لا ضيعة على أهله عند الله (آية) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخر منضود فيها وقيل ماء أسود منتن (وفي موسى) عطف على وفي الأرض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية

۞ قوله تعالى فراغ إلى أهله (قال فيه إشارة لاختفائه من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي أمره الخ) قال أحمد معنى حسن وقد نقل أبو عبيد أنه لا يقال راغ إلا إذا ذهب على خفية ونقل أبو عبيد في قوله عليه السلام إذا كفى أحدكم خادمه حر طعامه فليقعده معه وإلا فليروغ له لقمة قال أبو عبيد يقال روغ اللقمة وسغبلها وسغسغها ومرغها إذا غمسها فرويت سمنا (قلت) وهو من هذا المعنى لأنها تذهب مغموسة في السمن حتى تخفى ومن مقلوبه غور الأرض والجرح وسائر

(قوله لأنهم لم يتحرموا بطعامه) في الصحاح الحرمة ما لا يحل انتهاكه وقد تحرم بصحبته اه وهو يفيد أن التحرم مراعاة الحرمة من حيث لا يحل انتهاكها (قوله رنتها فصكت) في الصحاح الرنة الصوت يقال رنت المرأة رنينا وأرنت أيضا صاحت

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۞ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۞ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۞ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۞ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ۞ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ۞ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۞ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ۞ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۞ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۞ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ۞ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا

كقوله علفتها تبناً وماء بارداً (فتولى بركنه) فازور وأعرض كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف (وقال ساحر) أى هو ساحر (مليم) آت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير فى فأخذناه (فإن قلت) كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون فى قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم (قلت) موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة ألا ترى إلى قوله تعالى وعصوا رسله وعصى آدم ربه لأن الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة (العقيم) التى لاخير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها فعن على رضى الله عنه النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب ۞ الرميم كل مارم أى بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك (حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله ۞ وقرئ الصعقة وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها (وهم ينظرون) كانت نهاراً يعاينونها وروى أن العمالقة كانوا معهم فى الوادى ينظرون إليهم وما ضرتهم (فما استطاعوا من قيام) كقوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم مايقوم به إذا عجز عن دفعه (منتصرين) ممتنعين من العذاب (وقوم) قرئ بالجر على معنى وفى قوم نوح وتقويه قراءة عبد الله وفى قوم نوح وبالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح لأن ماقبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح (بأيد) بقوة والأيد والآد القوة وقد آد يئيد وهو أيد (وإنا لموسعون) لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوى على الإنفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الأرض سعة (فنعم الماهدون) فنعم الماهدون نحن (ومن كل شىء) أى من كل شىء من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكراً وأنثى وعن الحسن السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج إرادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (ففروا إلى الله) أى إلى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به شيئاً وكرر قوله (إنى لكم منه نذير مبين) عند الأمر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم أن الإيمان لاينفع

مقلوباته قريبة من هذا المعنى والله أعلم ۞ قوله تعالى ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين (قال ففيه معنى ففروا إلى الله أى إلى طاعته من معصيته وإلى ثوابه الخ) قال أحمد حمل الآية ما لم تحمله لأنه لايكاد يخلى سورة حتى يدس فى تفسيرها بيده من معتقده فدس ههنا القطع بوعيد الفساق وبخلودهم كالكفار ولا تحتمل فى الآية لما ذكر فإن العناية فى قوله ففروا إلى الله الفرار إلى عبادة الله فتوعد من لم يعبد الله ثم نهى عابده أن يشرك بعبادة ربه غيره وتوعده على ذلك وفائدة تكرار النذارة الدلالة على أنه لاتنفع العبادة مع الإشراك بل حكم المشرك حكم الجاحد المعطل لا كما قال الزمخشرى المأمور به فى الأول الطاعة

قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۞ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۞ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ۞ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ

إلا مع العمل كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان وأنه لايفوز عند الله إلا الجامع بينهما ألا ترى إلى قوله تعالى لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا إلى الله (كذلك) الأمر أى مثل ذلك وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله (ما أتى) ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بأتى لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الإتيان لم يأت من قبلهم رسول إلا قالوا (أتواصوا به) الضمير للقول يعنى أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فتول عنهم) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك فى إعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله (فإن الذكرى تنفع المؤمنين) أى تؤثر فى الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون فى الإيمان أو يزيد الداخلين فيه إيمانا وروى أنه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه ورأوا أن الوحى قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله وذكر ۞ أى وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة ولم أرد من جميعهم إلا إياها (فإن قلت) لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا (قلت) إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها لأنه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم ۞ يريد أن شأنى مع عبادى ليس كشأن السادة مع عبيدهم فإن ملاك العبيد إنما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وأرزاقهم فإما مجهز فى تجارة ليبغى ربحا أو مرتب فى فلاحة ليغتل أرضا أو مسلم فى حرفة لينتفع بأجرته أو محتطب أو محتش أو مستق أو طابخ أو خابز وما أشبه ذلك من الأعمال والمهن التى هى تصرف فى أسباب المعيشة وأبواب الرزق فأما مالك ملك العبيد وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم فى أنفسكم ولا أريد أن أصرفكم فى تحصيل رزقى ولا رزقكم وأنا غنى

الموظفة بعد الإيمان فتوعد تاركها بالوعيد المعروف له وهو الخلود وعلى هذا لا يكون تكرارا على اختلاف الوعيدين فهو أولى فكيف يحمل الآية على خلاف ما هو أولى ليتم بها الاستدلال بها على معتقده الفاسد نعوذ بالله من ذلك ۞ قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (قال فيه إلا لأجل العبادة ولم أرد من جميعهم إلا إياها الخ) قال أحمد من عادته أنه إذا استشعر أن ظاهرا موافق لمعتقده نزله على مذهبه بصورة إيراد معتقد أهل السنة سؤالا وإيراد معتقده جوابا فكذلك صنع ههنا فنقول السؤال الذى أورده مما لا يجاب عنه بما ذكره فإنه سؤال مقدماته قطعية عقلية فيجب تنزيل الآية عليه وهى أن ظاهر سياق الآية دليل لأهل السنة فإنها إنما سيقت لبيان عظمته عز وجل وأن شأنه مع عبيده لا يقاس به شأن عبيد الخلق معهم فإن عبيدهم مطلوبون بالخدمة والتكسب للسادة وبواسطة مكاسب عبيدهم قدر أرزاقهم والله تعالى لا يطلب من عباده رزقا ولا إطعاما وإنما يطلب منهم عبادته لا غير وزائد على كونه لا يطلب منهم رزقا أنه هو الذى يرزقهم فهذا المعنى الشريف هو الذى نحلى تحت راية هذه الآية وله سيقت وبه نطقت ولكن الهوى يعمى ويصم فحاصله وما خلقت الجن والإنس إلا لأدعوهم إلى عبادتى وهذا ما لا يعدل عنه أهل السنة فإنه وافق معتقدهم وبالله التوفيق

(قوله لو كان مريدا للعبادة أنهم) قد يقال لا يلزم من خلقهم للعبادة أن يريدها من جميعهم وقوله مع كونه مريدا لها هذا على مذهب المعتزلة من أن إرادة الله الفعل من العبد بمعنى الأمر وأما مذهب أهل السنة فكل ما أراده الله كان ولا يقع فى ملكه إلا ما يريد وتحقيقه فى علم التوحيد

اللّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *

سورة الطور مكية

وآياتها ٤٩ نزلت بعد السجدة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ * يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ

عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندى فما هو إلا أنا وحدى (المتين) الشديد القوة قرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى فى وصفه بالقوة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شىء * وقرئ الرازق وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم إنى أنا الرازق * الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل أصله فى السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال: لنا ذنوب ولكم ذنوب * فإن أبيتم فلنا القليب

ولما قال عمرو بن شاس: وفى كل حىّ قد خبطت بنعمة * فحق لشاس من نداك ذنوب

قال الملك نعم وأذنبة والمعنى فإن الذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب من أهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل أصحابهم (من يومهم) من يوم القيامة وقيل من يوم بدر. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

﴿سورة الطور مكية وهى تسع وأربعون وقيل ثمان وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * الطور الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بمدين * والكتاب المسطور فى الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذى يكتب فيه الكتاب الذى يكتب فيه الأعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لأنه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله تعالى ونفس وما سواها (والبيت المعمور) الضراح فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين (والسقف المرفوع) السماء (والبحر المسجور) المملوء وقيل الموقد من قوله تعالى «وإذا البحار سجرت» وروى أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن على رضى الله عنه أنه سأل يهوديا أين موضع النار فى كتابكم قال فى البحر قال على ما أراه إلا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور (لواقع) لنازل قال جبير بن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه فى الأسارى فألفيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ إن عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (تمور السماء) تضطرب وتجىء وتذهب وقيل المور تحرك فى تموج وهو الشىء يتردد فى عرض كالداغصة فى الركبة * غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله تعالى «وكنا نخوض مع الخائضين» وخضتم كالذى خاضوا الدع الدفع العنيف وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ويدفعونهم إلى النار دفعا على وجوههم وزخا فى أقفيتهم وقرأ زيد بن على يدعون من الدعاء

(قوله والبيت المعمور الضراح فى السماء) فى الصحاح الضراح بالضم بيت فى السماء وهو البيت المعمور عن ابن عباس (قوله كالداغصة فى الركبة) هى العظم المدور الذى يتحرك على رأس الركبة كما فى الصحاح (قوله وزخا فى أقفيتهم) فى الصحاح زخه أى دفعه فى وهدة اه

الْجِبَالُ سَيْرًا ۞ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۞ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۞ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۞ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۞ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ۞ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا

أى يقال لهم هلموا إلى النار وادخلوا إلى النار (دعا) مدعوين يقال لهم هذه النار (أفسحر هذا) يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفسحر هذا يريد أهذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أم أنتم لا تبصرون) كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا يعنى أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (سواء) خبر محذوف أى سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه (فإن قلت) لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله (إنما تجزون ما كنتم تعملون) (قلت) لأن الصبر إنما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير فأما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (فى جنات ونعيم) فى أية جنات وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة ۞ وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا أى متلذذين (بما آتاهم ربهم) ۞ فإن قلت علام عطف قوله (ووقاهم ربهم) (قلت) على قوله فى جنات أو على آتاهم ربهم على أن تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بإيتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز أن تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة ۞ يقال لهم (كلوا واشربوا) أكلا وشربا (هنيئا) أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه ويجوز أن يكون مثله فى قوله

هنيأ مريأ غير داء مخامر ۞ لعزة من أعراضنا ما استحلت

أعنى صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كأنه قيل هنأ عزة المستحل من أعراضنا وكذلك معنى هنيئا هاهنا هنأكم الأكل والشرب أو هنأكم ما كنتم تعملون أى جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما فى كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا إذا جعلت الفاعل الأكل والشرب ۞ وقرئ بعيس عين (والذين آمنوا) معطوف على حور عين أى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم كقوله تعالى إخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الإخوان المؤمنين (وأتبعناهم ذرياتهم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه لتقربهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم فى أنفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الإخوان المؤمنين وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم ثم قال (بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم) أى بسبب إيمان عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم (فإن قلت) ما معنى تنكير الإيمان (قلت) معناه

﴿القول فى سورة الطور﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ قوله تعالى «هذه النار التى كنتم بها تكذبون . أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون» (قال فيه يريد هذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى أم أنتم لا تبصرون كما كنتم الخ)

(قوله وقرئ بعيس) فى الصحاح العيس بالكسر الإبل البيض يخالط بياضها شىء من الشقرة واحدها أعيس والأنثى عيساء ويقال هى كرائم الإبل اه ولعله هنا استعارة للنساء

كَسَبَ رَهِينٌ ۝ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۝ وَيَطُوفُ
عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ
بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۝ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم
مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ۝ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ فَلْيَأْتُوا

الدلالة على أنه إيمان خاص عظيم المنزلة ويجوز أن يراد إيمان الذرية الدانى المحل كأنه قال بشىء من الإيمان لايؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم وقرئ وأتبعناهم ذريتهم واتبعتهم ذريتهم وذرياتهم وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه آخر وهو أن يكون والذين آمنوا مبتدأ خبره بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض (وما ألتناهم) ومانقصناهم يعنى وفرنا عليهم جميع ماذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شىء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه الأبناء حتى يلحقوا بهم إنما ألحقناهم بهم على سبيل التفضل قرئ ألتناهم وهومن بابين من ألت يألت ومن ألات يليت كأمات يميت وآلتناهم من آلت يؤلت كآمن يؤمن ولتناهم من لات يليت وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد (كل امرئ بما كسب رهين) أى مرهون كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذى هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فإن عمل صالحا فكها وخلصها وإلا أوبقها (وأمددناهم) وزدناهم فى وقت بعد وقت (يتنازعون) يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم وإخوانهم (كأسا) خمرا (لالغوفيها) فى شربها (ولاتأثيم) أى لايتكلمون فى أثناء الشرب بسقط الحديث ومالاطائل تحته كفعل المتنادمين فى الدنيا على الشراب فى سفههم وعربدتهم ولايفعلون مايؤثم به فاعله أى ينسب إلى الإثم لو فعله فى دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وإنما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لأن عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء ۝ وقرئ لالغو فيها ولا تأثيم (غلمان لهم) أى مملوكون لهم مخصوصون بهم (مكنون) فى الصدف لأنه رطبا أحسن وأصفى أومخزون لأنه لايخزن إلا الثمين الغالى القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك (يتساءلون) يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استوجب به نيل ماعند الله (مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله ۝ وقرئ ووقانا بالتشديد (عذاب السموم) عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة التى تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة (من قبل) من قبل لقاء الله تعالى والمصير إليه يعنون فى الدنيا (ندعوه) نعبده ونسأله الوقاية (إنه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذى إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب وقرئ إنه بالفتح بمعنى لأنه (فذكر) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطك قولهم كاهن أو مجنون ولا تبال به فإنه قول باطل متناقض لأن الكاهن يحتاج فى كهانته إلى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله ۝ وما أنت بحمد الله وإنعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل أحد هذين ۝ وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون مايقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر قال ۝ أمن المنون وريبه تتوجع ۝ وقيل المنون الموت وهو فى الأصل فعول من منه إذا قطعه لأن الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة (من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى (أحلامهم) عقولهم وألبابهم ومنه قولهم أحلام عاد والمعنى أتأمرهم أحلامهم بهذا

بحديث مثله إن كانوا صادقين * أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض
بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون * أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان
مبين * أم له البنات ولكم البنون * أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون *
أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون * أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون * وإن يروا
كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم * فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون * يوم لا يغني
عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون * وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون * واصبر
لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم * ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم *

التناقض فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم (فإن قلت) مامعنى كون الأحلام آمرة (قلت) هو مجاز لأدائها إلى ذلك كقوله تعالى أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا * وقرئ بل هم قوم طاغون (تقوله) اختلقه من تلقاء نفسه (بل لايؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد إلا واحد من العرب * وقرئ بحديث مثله على الإضافة والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه أن مثل محمد فى فصاحته ليس بمعوز فى العرب فإن قدر محمد على نظمه كان مثله قادر عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل (أم خلقوا) أم أحدثوا وقدروا التقدير الذى عليه فطرتهم (من غير شيء) من غير مقدر (أم هم) الذين خلقوا أنفسهم حيث لايعبدون الخالق (بل لايوقنون) أى إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لايوقنون وقيل أخلقوا من أجل لاشيء من جزاء ولا حساب وقيل أخلقوا من غير أب وأم (أم عندهم خزائن) الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤا أو أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة (أم هم المسيطرون) الأرباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على إرادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد (أم لهم سلم) منصوب إلى السماء يستمعون صاعدين فيه إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون (بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم * المغرم أن يلتزم الإنسان ماليس عليه أى لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك فى اتباعك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) مافيه حتى يقولوا لانبعث وإن بعثنا لم نعذب (أم يريدون كيداً) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين (فالذين كفروا) إشارة إليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته * الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب * وقرئ حتى يلقوا ويلقوا (يصعقون) يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق (وإن للذين ظلموا) وإن لهؤلاء الظلمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفى مصحف عبدالله دون ذلك قريبا (لحكم ربك) بإمهالهم ومايلحقك فيه من المشقة والكلفة (فإنك بأعيننا) مثل أى بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لأن

(قوله فدحهم فزهدهم) أى أثقلهم وبهظهم أفاده الصحاح (قوله وإن بعثنا لم نعذب) لعله لانعذب

سورة النجم مكية

إلا آية ٣٢ فمدنية وآياتها ٦٢ نزلت بعد الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۞ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ

الضمير بلفظ ضمير الجماعة ألا ترى إلى قوله تعالى ولتصنع على عيني ۞ وقرئ بأعينا بالإدغام (حين تقوم) من أي مكان قمت وقيل من منامك (وإدبار النجوم) وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وأدبار بالفتح بمعنى في أعقاب النجوم وآثارها إذا غربت والمراد الأمر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الأوقات وقيل التسبيح الصلاة إذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وأدبار النجوم صلاة الفجر . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته

﴿سورة والنجم مكية وهي إحدى وستون وقيل ثنتان وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال إذا طلع النجم عشاء ۞ ابتغى الراعي كساء أو جنس النجوم قال ۞ فباتت تعد النجم في مستحيرة ۞ يريد النجوم (إذا هوى) إذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو النجم الذي يرجم به إذا هوى إذا انقض أو النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين سنة إذا هوى إذا نزل أو النبات إذا هوى إذا سقط على الأرض وعن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الخروج إلى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم إذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم إن هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لأصحابه أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فإني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان من يرجع العام إلى أهله ۞ فما أكيل السبع بالراجع (ماضل صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى ۞ والغي نقيض الرشد أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغي ۞ وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه ۞ وإنما هو وحي من عند الله يوحى إليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء ويجاب بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند إليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى (شديد القوى) ملك شديد قواه والإضافة غير حقيقية لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في أوحى من رجعة الطرف ورأى إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فألقاه في أقصى جبل بالهند (ذو مرة) ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه

(قوله في مستحيرة يريد النجوم) استحار المكان بالماء إذا امتلأ أفاده الصحاح (قوله فوجم لها) أي اشتد حزنه أفاده الصحاح (قوله في أوحى من رجعة الطرف) أي أسرع من الوحى وهو السرعة يمد ويقصر كذا في الصحاح وفيه أيضا نفحت الناقة ضربت برجلها ونفحه بالسيف تناوله (قوله ذو حصافة في عقله) أي استحكام أفاده الصحاح

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۞ أَفَتُمْرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۞ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۞ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۞ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۞ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۞ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ

(فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وكان ينزل فى صورة دحية وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها فاستوى له فى الأفق الأعلى وهو أفق الشمس فملأ الأفق وقيل مارآه أحد من الأنبياء فى صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء (ثم دنا) من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فتعلق عليه فى الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالى الثمر المعلق قال ۞ تدلى عليها بين سب وخيطة ۞ ويقال هو مثل القرلى إن رأى خيراً تدلى وإن لم يره تولى (قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن على قاد وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والأصبع ومنه لاصلاة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفى الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتنى من حزيمة أصبعا (فإن قلت) كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين (قلت) تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال أبو على فى قوله وقد جعلتنى من حزيمة أصبعا أى ذا مقدار مسافة أصبع (أو أدنى) أى على تقديركم كقوله تعالى أو يزيدون (إلى عبده) إلى عبدالله وإن لم يجر لاسمه عزّ وجل ذكر لأنه لا يلبس كقوله على ظهرها (ماأوحى) تفخيم للوحى الذى أوحى إليه قيل أوحى إليه أنّ الجنة محرّمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك (ما كذب) فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم مارآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أى ماقال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه يعنى أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى أنّ مارآه حق وقرئ ما كذب أى صدقه ولم يشك أنه جبريل عليه السلام بصورته (أفتمارونه) من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرئ أفتمرونه أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه وأنشدوا ۞ لئن هجرت أخا صدق ومكرمة ۞ لقد مريت أخا ما كان يمريكا

وقالوا يقال مريته حقه إذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح إلا على مذهب التضمين (نزلة أخرى) مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لأنّ الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج ۞ قيل فى سدرة المنتهى هى شجر نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الأنهار التى ذكرها الله فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها ۞ والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها

﴿القول فى سورة النجم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى فكان قاب قوسين (قال فيه تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين إلى آخره) قال أحمد وقد قال بعضهم إنه كناية عن المعاهدة على لزوم الطاعة لأنّ الحليفين فى عرف العرب إذا تحالفا على الوفاء والصفاء ألصقا وترى قوسيهما (قلت) وفيه ميل لقوله أو أدنى ۞ قوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى (قال فيه هذا تفخيم للوحى الذى أوحى الله إليه) قال أحمد التفخيم لما فيه من الإبهام كأنه أعظم من أن يحيط به بيان وهو كقوله

(قوله تدلى عليها بين سبّ) السب الحبل والخيطة الوتد وقيل حبل لطيف أفاده الصحاح
(قوله من مرى الناقة) فى الصحاح مريت الناقة إذا مسحت ضرعها لتدرّ

لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ۞ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ۞ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ۞ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى

أحد وإليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ماوراءها وقيل تنتهى إليها أرواح الشهداء (جنة المأوى) الجنة التى يصير إليها المتقون عن الحسن وقيل تأوى إليها أرواح الشهداء وقرأ على وابن الزبير وجماعة جَنَّهُ المأوى أى ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة أنها أنكرته وقالت من قرأ به فأجنه الله (مايغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن مايغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله أشياء لايكتنهها النعت ولايحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير أخضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب (مازاغ) بصر رسول الله تعالى صلى الله عليه وسلم (وما طغى) أى أثبت مارآه إثباتا مستيقنا صحيحا من غير أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوزا أوماعدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وماطغى وماجاوز ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه) الآيات التى هى كبراها وعظماها يعنى حين رقى به إلى السماء فأرى عجائب الملكوت (اللات والعزى ومناة) أصنام كانت لهم وهى مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة أو يلتوون عليها أى يطوفون وقرئ اللاتّ بالتشديد وزعموا أنه سمى برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهى سمرة وأصلها تأنيث الأعز وبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول

يا عز كفرانك لاسبحانك ۞ إنى رأيت الله قد أهانك

ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد أبداً ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لثقيف وقرئ ومناءة وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها أى تراق ومناءة مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها و (الأخرى) ذم وهى المتأخرة الوضيعة

إذ يغشى السدرة مايغشى وقوله فغشيهم من اليم ماغشيهم ۞ قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (قال فيه معناه قد رأى من آيات ربه الآيات التى الخ) قال أحمد ويحتمل أن تكون الكبرى صفة آيات ربه لامفعولا به ويكون المرئى محذوفا لتفخيم الأمر وتعظيمه كأنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى أموراً عظاما لايحيط بها الوصف والحذف فى مثل هذا أبلغ وأهول وهذا والله أعلم أولى من الأول لأن فيه تفخيما لآيات الله الكبرى وأن فيها مارآه وفيها مالم يره وهو على الوجه الأول يكون مقتضاه أنه رأى جميع الآيات الكبرى على الشمول والعموم وفيه بعد فإن آيات الله تعالى مالايحيط أحد علما بجملتها فإن قال عام أريد به خاص فقد رجع إلى الوجه الذى ذكرناه والله أعلم ۞ قوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى (قال فيه اشتقاق اللات من لوى على كذا إذا قام عليه لأنهم كانوا الخ) قال أحمد الأخرى تأنيث آخر ولاشك أنه فى الأصل مشتق من التأخير الوجودى إلا أن العرب عدلت به عن الاستعمال فى التأخير الوجودى إلى الاستعمال حيث يتقدم ذكر مغاير لاغير حتى سلبته دلالته على المعنى الأصلى بخلاف آخر وآخرة على وزن فاعل وفاعلة فإن إشعارهما بالتأخير الوجودى ثابت لم يغير ومن ثم عدلوا عن أن يقولوا ربيع الآخر على وزن الأفعل وجمادى الأخرى إلى ربيع الآخر على وزن فاعل وجمادى الآخرة على وزن فاعلة لأنهم أرادوا أن يفهموا التأخير الوجودى لأن الأفعل والفعلى من هذا الاشتقاق مسلوب الدلالة على غرضهم فعدلوا عنها إلى الآخر والآخرة والتزموا ذلك فيهما وهذا البحث مما كان الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله تعالى قد حرره آخر مدته وهو الحق إن شاء الله تعالى وحينئذ يكون المراد الإشعار بتقدم مغاير فى الذكر مع ماتعتقده فى الوفاء بفاصلة رأس الآية والله أعلم

تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۞ إِنْ هِىَ إِلَّا أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۞ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۞ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ۞ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۞ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۞ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ

المقدار كقوله تعالى وقالت أخراهم لأولاهم أى وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى ۞ كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى مع وأدهم البنات فقيل لهم (ألكم الذكر وله الأنثى) ويجوز أن يراد أن اللات والعزى ومناة إناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن إليكم فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أنداداً لله وتسمونهن آلهة (قسمة ضيزى) جائرة من ضازه يضيزه إذا ضامه والأصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد (هى) ضمير الأصنام أى ماهى (إلا أسماء) ليس تحتها فى الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شىء منها وأشده منافاة لها ونحوه قوله تعالى ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أو ضمير الأسماء وهى قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بهذه الأسماء الآلهة يعنى ماهذه الأسماء إلا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى (سميتموها) سميتم بها يقال سميته زيداً وسميته بزيد (إن يتبعون) وقرئ بالتاء (إلا الظن) إلا توهم أن ماهم عليه حق وأن آلهتهم شفعاؤهم وماتشتهيه أنفسهم ويتركون ماجاءهم من الهدى والدليل على أن دينهم باطل (أم للإنسان ماتمنى) هى أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أى ليس للإنسان ماتمنى والمراد طمعهم فى شفاعة الآلهة وهو تمن على الله فى غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لأوتين مالا وولداً وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون هو النبىّ صلى الله عليه وسلم (فلله الآخرة والأولى) أى هو مالكهما فهو يعطى منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لأحد أن يتحكم عليه فى شىء منهما ۞ يعنى أن أمر الشفاعة ضيق وذلك أن الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لأن يشفع له فكيف تشفع الأصنام إليه بعبدتهم (ليسمون الملائكة) أى كل واحد منهم (تسمية الأنثى) لأنهم إذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الأنثى (به من علم) أى بذلك وبما يقولون وفى قراءة أبى بها أى بالملائكة أو التسمية (لا يغنى من الحق شيئا) يعنى إنما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشىء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فأعرض) عن دعوة من رأيته معرضاً عن ذكر الله وعن الآخرة ولم يرد إلا الدنيا ولا تتهالك على إسلامه ثم قال (إن ربك هو أعلم) أى إنما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وأنت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فإنك لا تهدى من أحببت وما عليك إلا البلاغ ۞ وقوله

(قوله وقالت أولاهم لأخراهم) لعله قالت أخراهم لأولاهم كعبارة النسفى (قوله والأصل قوله ضوزى) قوله ضوزى لعلّ صوابه ضيزى بضم الضاد ويؤيده ما قبله وما بعده اه ملخصاً من هامش (قوله بعبدتهم) لعله لعبدتهم كعبارة النسفى (قوله أى بذلك وبما يقولون) لعله أو بما

الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ۞ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ۞ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۞ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۞ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۞ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۞ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۞ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۞ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ

تعالى ذلك مبلغهم من العلم اعتراض أى فأعرض عنه ولا تقابله إن ربك هو أعلم بالضال والمهتدى وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء ۞ قرئ ليجزى ونجزى بالياء والنون فيهما ومعناه أن الله عزوجل إنما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو أن يجازى المحسن من المكلفين والمسىء منهم ويجوز أن يتعلق بقوله هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى لأن نتيجة العلم بالضال والمهتدى جزاؤهما (بما عملوا) بعقاب ماعملوا من السوء و(بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بسبب ماعملوا من السوء وبسبب الأعمال الحسنى (كبائر الإثم) أى الكبائر من الإثم لأن الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التى لا يسقط عقابها إلا بالتوبة وقيل التى يكبر عقابها بالإضافة إلى ثواب صاحبها (والفواحش) مافحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الإثم أى النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله واللمم ماقل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه وألم بالمكان إذا قل فيه لبثه وألم بالطعام قل منه أكله ومنه ۞ لقاء أخلاء الصفاء لمام ۞ والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله تعالى (إلا اللمم) من أن يكون استثناء منقطعا أو صفة كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله كأنه قيل كبائر الإثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن أبى سعيد الخدرى اللمم هى النظرة والغمزة والقبلة وعن السدى الخطرة من الذنب وعن الكلبى كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين (إن ربك واسع المغفرة) حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة (فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير وعمل الطاعات أو إلى الزكاء والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها ۞ فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ماعمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم لأن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (أكدى) قطع عطيته وأمسك وأصله إكداء الحافر وهو أن تلقاه كدية وهى صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه أجبل الحافر ثم استعير فقيل أجبل الشاعر إذا أفحم روى أن عثمان رضى الله عنه كان يعطى ماله فى الخير فقال له عبد الله بن سعد ابن أبى سرح وهو أخوه من الرضاعة يوشك أن لا يبقى لك شىء فقال عثمان إن لى ذنوبا وخطايا وإنى أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه فقال عبد الله أعطنى ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك المركز يوم أحد فعاد عثمان إلى أحسن من ذلك وأجمل (فهو يرى) فهو يعلم أن ماقال له أخوه من احتمال أوزاره حق (وفى) قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة فى الوفاء أو بمعنى وفر وأتم كقوله تعالى فأتمهن وإطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمروذ وقيامه بأضيافه وخدمته إياهم بنفسه وأنه كان يخرج كل يوم فيمشى فرسخا يرتاد ضيفا فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم وعن الحسن ماأمره الله بشىء إلا وفى به وعن الهزيل ابن شرحبيل كان بين نوح وبين إبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بأبيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده

(قوله يكفر الصغائر باجتناب الكبائر) هذا عند المعتزلة وعند أهل السنة بذلك أو بمجرد الفضل وكذا مابعده
(قوله وعن الهزيل بن شرحبيل) لعله الهذيل

إلا ما سعى ۝ وأن سعيه سوف يرى ۝ ثم يجزاه الجزاء الأوفى ۝ وأن إلى ربك المنتهى ۝ وأنه هو أضحك وأبكى
وأنه هو أمات وأحيا ۝ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ۝ من نطفة إذا تمنى ۝ وأن عليه النشأة الأخرى
وأنه هو أغنى وأقنى ۝ وأنه هو رب الشعرى ۝ وأنه أهلك عادا الأولى ۝ وثمود فما أبقى ۝ وقوم نوح من قبل

فأول من خالفهم إبراهيم وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف فى النار قال له جبريل وميكائيل ألك حاجة فقال أما إليكما فلا وعن النبى صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم بأربع ركعات فى صدر النهار وهى صلاة الضحى وروى ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول إذا أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون إلى حين تظهرون وقيل وفى سهام الإسلام وهى ثلاثون عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الأحزاب إن المسلمين وعشرة فى المؤمنين قد افلح المؤمنون وقرئ فى صحف بالتخفيف (ألا تزر) أن مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا من ما فى صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما فى صحف موسى وإبراهيم فقيل أن لا تزر (إلا ما سعى) إلا سعيه (فإن قلت) أما صح فى الأخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الإضعاف (قلت) فيه جوابان أحدهما أن سعى غيره لما لم ينفعه إلا مبنيا على سعى نفسه وهو أن يكون مؤمنا صالحا وكذلك الإضعاف كأن سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثانى أن سعى غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الأوفى) أو أبدله عنه كقوله تعالى: وأسروا النجوى الذين ظلموا (وأن إلى ربك المنتهى) قرئ بالفتح على معنى أن هذا كله فى الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أى ينتهى إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله تعالى إلى الله المصير (أضحك وأبكى) خلق قوتى الضحك والبكاء (إذا تمنى) إذا تدفق فى الرحم يقال منى وأمنى وعن الأخفش تخلق من منى المانى أى قدر المقدر ۝ قرئ النشأة والنشاءة بالمد وقال عليه لأنها واجبة عليه فى الحكمة ليجازى على الإحسان والإساءة (وأقنى) وأعطى القنية وهى المال الذى تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك (الشعرى) مرزم الجوزاء وهى التى تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور وأراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيها له به لمخالفته إياهم فى دينهم يريد أنه رب معبودهم هذا ۝ عاد الأولى قوم هود وعاد الأخرى إرم وقيل الأولى القدماء لأنهم أول الأمم هلاكا بعد قوم نوح أو المتقدمون فى الدنيا الأشراف وقرئ عادا لولى وعاد لولى بإدغام التنوين فى اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمها إلى لام التعريف (وثمودا)

۝ قوله تعالى أضحك وأبكى (قال فيه أى خلق قوتى الضحك والبكاء) قال أحمد وخلق أيضا فعلى الضحك والبكاء على قواعد السنة وعليه دلت الآية غير مثابرة لتحريفه والله الموفق ۝ قوله تعالى وأن عليه النشأة الأخرى (قال فيه إنما قال عليه لأنها واجبة عليه الخ) قال أحمد هذا من فساد اعتقاد المعتزلة الذى يسمونه مراعاة للصلاح والحكمة وأى فساد أعظم مما يؤدى إلى اعتقاد الإيجاب على رب الأرباب تعالى الله عن ذلك ومثل هذه القاعدة التى عفت البراهين القاطعة رسمها وأبطلت حكمها لا يكفى فيها كلمة محتملة هى لو كانت ظاهرة لوجب تنزيلها على ما يوفق بينها وبين القواطع والذى حملت عليه لفظة عليه غير هذا المعنى وهو أن المراد أن أمر النشأة الأخرى يدور على قدرته عز وجل وإرادته كما يقال دارت قضية فلان على يدى وقول المحدثين على يدى دار الحديث أى هو الأصل فيه والسند والله أعلم

(قوله لأنها واجبة عليه فى الحكمة) هذا عند المعتزلة لا عند أهل السنة (قوله مرزم الجوزاء) فى الصحاح المرزمان مرزما الشعريين وهما نجمان أحدهما فى الشعرى والآخر فى الذراع اه

إنهم كانوا هم أظلم وأطغى ۞ والمؤتفكة أهوى ۞ فغشاها ماغشى ۞ فبأى آلاء ربك تتمارى ۞ هذا نذير من النذر الأولى ۞ أزفت الآزفة ۞ ليس لها من دون الله كاشفة ۞ أفمن هذا الحديث تعجبون ۞ وتضحكون ولا تبكون ۞ وأنتم سامدون ۞ فاسجدوا لله واعبدوا ۞

سورة القمر مكية

إلا الآيات ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ فمدنية وآياتها ٥٥ نزلت بعد الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ اقتربت الساعة وانشق القمر ۞ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ۞

وقرئ وثمود (أظلم وأطغى) لأنهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لايكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وماأثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة (والمؤتفكة) والقرى التى ائتفكت بأهلها أى انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فائتفك وقرئ والمؤتفكات (أهوى) رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض أى أسقطها (ماغشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فبأى آلاء ربك تتمارى) تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للإنسان على الإطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل مافى نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين (هذا) القرآن (نذير من النذر الأولى) أى إنذار من جنس الإنذارات الأولى التى أنذر بها من قبلكم أوهذا الرسول منذر من المنذرين الأولين وقال الأولى على تأويل الجماعة (أزفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب فى قوله تعالى اقتربت الساعة (ليس لها) نفس (كاشفة) أى مبينة متى تقوم كقوله تعالى لايجليها لوقتها إلا هو أو ليس لها نفس كاشفة أى قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله غير أنه لايكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهى على الظالمين ساءت الغاشية (أفمن هذا الحديث) وهو القرآن (تعجبون) إنكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو (وأنتم سامدون) شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجاريته اسمدى لنا أى غنى لنا (فاسجدوا لله واعبدوا) ولا تعبدوا الآلهة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

﴿سورة القمر مكية وهى خمس وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتى القمر وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) يرده وكفى به رادا وفى قراءة حذيفة وقد انشق القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة أنه

(قوله وقرئ وثمود أظلم وأطغى) يفيد أن قراءة التنوين أشهر (قوله وماأثر فيهم دعاؤه) أى دعاؤه إياهم إلى الإسلام (قوله شامخون مبرطمون) فى الصحاح البرطمة الانتفاخ من الغضب اهـ وفيه السامد رافع رأسه تكبرا واللاهى والمغنى والقائم والساكت والحزين الخاشع واسمأد الرجل بالهمز اسمئدادا أى ورم غضبا

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ٭ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ٭ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ٭ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ٭ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ٭ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ٭ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا

خطب بالمدائن ثم قال ألا إن الساعة قد افترقت وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم ٭ مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوى محكم من قولهم استمر مريره وقيل هو من استمر الشيء إذا اشتدت مرارته أى مستبشع عندنا مر على لهواتنا لانقدر أن نسيغه كما لايساغ المر الممقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليلا وقرئ وإن يروا (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر مستقر) أى كل أمر لابد أن يصير إلى غاية يستقر عليها وإن أمر محمد سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل وسيظهر لهم عاقبته أو وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر أى سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة وقرئ بفتح القاف يعنى كل أمر ذو مستقر أى ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو زمان استقرار وعن أبى جعفر مستقِر بكسر القاف والجر عطفاً على الساعة اى اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله (من الأنباء) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية و أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (مزدجر) ازدجار أو موضع إزدجار والمعنى هو فى نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله تعالى لكم فى رسول الله أسوة حسنة أى هو أسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وإدغام الزاى فيها (حكمة بالغة) بدل من ما أو على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا منما (فإن قلت) إن كانت موصولة ساغ لك أن تنصب حكمة حالا فكيف تعمل إن كانت موصوفة وهو الظاهر (قلت) تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفى أو إنكار وما منصوبة أى فأى غناء تغنى النذر (فتول عنهم) لعلمك أن الإنذار لايغنى فيهم ٭ نصب (يوم يدع الداعى) بيخرجون أو بإضمار اذكر وقرئ بإسقاط الياء اكتفاء بالكسر عنها والداعى إسرافيل أو جبريل كقوله تعالى يوم يناد المنادى (إلى شيء نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر (خاشعا أبصارهم) حال من الخارجين فعل للأبصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم وقرئ خاشعة على تخشع أبصارهم وخشعا على يخشعن أبصارهم وهى لغة من يقول أكلونى البراغيث وهم طيء ويجوز أن يكون فى خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وقرئ خشعٌ أبصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله ٭ وجدته حاضراه الجود والكرم ٭ وخشوع الأبصار كناية عن الذلة والانخزال لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما وقرئ يخرجون من الأجداث من القبور (كأنهم جراد منتشر) الجراد مثل فى الكثرة والتموج يقال فى الجيش الكثير المائج بعضه فى بعض جاؤا كالجراد وكالدبا منتشر فى كل مكان لكثرة (مهطعين إلى الداعى) مسرعين مادى أعناقهم إليه وقيل ناظرين إليه لايقلعون بأبصارهم قال

تعبدنى نمر بن سعد وقد أرى ٭ ونمر بن سعد لى مطيع ومهطع

(قبلهم) قبل أهل مكة (فكذبوا عبدنا) يعنى نوحا (فإن قلت) مامعنى قوله تعالى فكذبوا بعد قوله كذبت (قلت)

﴿القول فى سورة القمر﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ٭ قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر (قال فيه إن قلت مافائدة كذبوا بعد قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) قال أحمد قد تقدم كلامه على قوله تعالى وكذب

(قوله استمر مريره) فى الصحاح المرير الغريمة ومالطف وطال واشتد فتله من الحبال (قوله كما لايساغ المر الممقر) فى الصحاح مقر الشيء وأمقر أى صار مرّاً (قوله كالجراد وكالدبا) فى الصحاح الدبى الجراد قبل أن يطير والواحدة دباة

وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۝ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ۝ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ

معناه كذبوا عبدنا أى كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأساً كذبوا نوحا لأنه من جملة الرسل (مجنون) هو مجنون (وازدجر) وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد وبالرجم فى قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم أى قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه ۝ قرئ أنى بمعنى فدعا بأنى مغلوب وإنى على إرادة القول فدعا فقال إنى مغلوب غلبنى قومى فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من إجابتهم لى (فانتصر) فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وإنما دعا بذلك بعد ماطم عليه الأمر وبلغ السيل الزبا فقد روى أن الواحد من أمته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون ۝ وقرئ ففتحنا مخففا ومشددا ۝ وكذلك وفجرنا (منهمر) منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الأرض عيونا) وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الأرض ونظيره فى النظم واشتعل الرأس شيبا (فالتقى الماء) يعنى مياه السماء والأرض وقرئ الماآن أى النوعان من الماء السماوى والأرضى ونحوه قولك عندى تمران تريد ضربان من التمر برنى ومعقلى قال لنا إبلان فيهما ما علمتم وقرأ الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان (على أمر قدقدر) على حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهى أن قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الأرض سواء بسواء وقيل على أمر قدقدر فى اللوح أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدى مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه :
ولكن قميصى مسرودة من حديد . أراد ولكن قميصى درع وكذلك : ولو فى عيون النازيات باكرع . أرادو لو فى عيون الجراد ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أى فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لأن النبى نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن

الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى وأجاب عنه بجوابين أحدهما متعذر ههنا والآخر ممكن وهو أن ذلك كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مضى لى جوابان أحدهما يمكن إجراؤه ههنا وحاصله منع ورود السؤال لأن الأول مطلق والثانى مقيد فليس تكراراً وهو كقوله فى هذه السورة فتعاطى فعقر فإن تعاطيه هو نفس عقره ولكن ذكره من جهة عمومه ثم من ناحية خصوصه إسهابا وهو بمثابة ذكره مرتين وجواب آخر ههنا وهو أن المكذب أولا محذوف دل عليه ذكر نوح فكأنه قال كذبت قوم نوح نوحا ثم جاء بتكذيبهم ثانيا مضافا إلى قوله عبدنا فوصف نوحا بخصوص للعبودية وأضافه إليه إضافة تشريف فالتكذيب المخبر عنه ثانياً أبشع عليهم من المذكور أولا لتلك اللمحة والله أعلم

(قوله فدعا فقال ابن مغلوب) لعله أى فدعا فقال (قوله وبلغ السيل الربا) لعله جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض كالرابية أفاده الصحاح لكن فيه فى حرف الزاى والزبية الرابية لا يعلوها الماء وفى المثل قد بلغ السيل الزبى والزبية حضرة تحضر للأسد فى موضع عال لأجل صيده اه ملخصا

فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۞ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۞ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۞ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۞ فَقَالُوٓا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۞ أَءُلْقِىَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۞ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ۞ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ

هذا المعنى مايحكى أن رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال مامعنى هذا الكلام قال أنت نعمة حمدت الله عليها ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وإيصال الفعل وقرأ قتادة كَفَرَ أى جزاء للكافرين وقرأ الحسن جزاء بالكسر أى مجازاة ۞ الضمير فى (تركناها) للسفينة أو للفعلة أى جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة ۞ والمدكر المعتبر وقرئ مذتكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالا وإدغام الذال فيها وهذا نحو مذجر ۞ والنذر جمع نذير وهو الإنذار (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى سهلناه للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من) متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنّا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز أن يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر إذا رحلها ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه قال وقمت إليه باللجام ميسرا ۞ هنالك يجزيني الذى كنت أصنع ويروى أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل لايتلوها أهلها إلا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كما القرآن (ونذر) وإنذارى لهم بالعذاب قبل نزوله أو إنذارآتى فى تعذيبهم لمن بعدهم (فى يوم نحس) فى يوم شؤم وقرئ فى يوم نحِسٍ كقوله فى أيام نحسات (مستمر) قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم أو استمر عليهم جميعا كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان فى أربعاء فى آخر الشهر لاتدور ويجوز أن يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذين أيديهم بأيدى بعض ويتدخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) يعنى إنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال عظام كأنهم أعجاز نخل وهى أصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال أعجاز نخل خاوية (أبشرا منا واحدا) نصب بفعل مضمر يفسره (نتبعه) وقرئ أبشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والأول أوجه للاستفهام ۞ كان يقول إن لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا إن اتبعناك كنا إذن كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال ۞ كأن بها سعراً إذا العيس هزها ۞ ذميل وإرخاء من السير متعب

(فإن قلت) كيف أنكروا أن يتبعوا بشراً منهم واحداً (قلت) قالوا أبشراً إنكاراً لأن يتبعوا مثلهم فى الجنسية وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا إنكاراً لأن تتبع الأمة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قولهم (أألقى الذكر عليه من بيننا) أى أأنزل عليه الوحى من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة (أشر) بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الأشر)

(قوله أى للفعلة التى جعلناها) لعله أو للفعلة أى جعلناها آية وكذا عبارة النسفى (قوله آخذين أيديهم بأيدى) عبارة النسفى آخذين بعضهم بأيدى بعض (قوله أعلى من جنس البشر وهم الملائكة) تفضيل الملك على البشر مذهب المعتزلة وأهل السنة يفضلون البشر على الملك (قوله واحدا من أفنائهم) وفى الصحاح يقال هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو ولم يذكر له واحدا

وَاصْطَبِرْ ۞ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ۞ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۞ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۞ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۞ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ۞ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۞ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ۞

أصالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ماقال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات وقرئ الأشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث وحذر وحذر وأخوات لها وقرئ الأشرّ وهو الأبلغ فى الشرارة والأخير والأشر أصل قولهم هو خير منه وشرمنه وهو أصل مرفوض وقد حكى ابن الأنبارى قول العرب هو أخير وأشر وماأخيره وماأشره (مرسلوا الناقة) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصرماهم صانعون (واصطبر) على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمرى (قسمة بينهم) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وإنما قال بينهم تغليبا للعقلاء (محتضر) محضور لهم أو للناقة وقيل يحضرون الماء فى نوبتهم واللبن فى نوبتها (صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث له ۞ فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف (صيحة واحدة) صيحة جبريل والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر ۞ والمحتظر الذى يعمل الحظيرة ومايحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أى ترميهم (بسحر) بقطع من الليل وهو السدس الأخير منه وقيل هما سحران فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وأنشد

مرت بأعلى السحرين تدأل ۞ وصرف لأنه نكرة ويقال لقيته سحر إذا لقيته فى سحر يومه (نعمة) إنعاما مفعول له (من شكر) نعمة الله بإيمانه وطاعته (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشا كين (فطمسنا أعينهم) فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لايرى لها شق روى أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون لايهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة (بكرة) أول النهار وباكره كقوله مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما بكرة غير منصرفة تقول أتيته بكرة وغدوة بالتنوين إذا أردت التنكير وبغيره إذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته (عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضى بهم إلى عذاب الآخرة (فإن قلت) مافائدة تكرير قوله (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر) (قلت) فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبإ من انباء الأولين ادكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولاتستولى عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير كقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها فى سورة الرحمن وقوله

(قوله ومخرجوها من الهضبة) فى الصحاح الهضبة الجبل المنبسط على وجه الأرض (قوله بأعلى صوت السحرين تلال) أى تقارب الخطو كالختل ومشى المثقل أفاده الصحاح (قوله ويتقعقع لهم الشن) القربة الخلق كذا فى الصحاح

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۞ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ۞ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ
بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۞ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۞ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ
ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۞ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۞ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۞ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ

ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها فى سورة والمرسلات وكذلك تكرير الأنباء والقصص فى أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية فى كل أوان (النذر) موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء لأنهما عرضا عليهم ماأنذر به المرسلون أوجمع نذير وهو الإنذار (بآياتنا كلها) بالآيات التسع (أخذ عزيز) لايغالب (مقتدر) لايعجزه شيء (أكفاركم) ياأهل مكة (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أى أهم خير قوة وآلة ومكانة فى الدنيا أو أقل كفراً وعناداً يعنى أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أم) أنزلت عليكم ياأهل مكة (براءة) فى الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمناً من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لانرام ولانضام ۞ وعن أبى جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم فى الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت (سيهزم الجمع) عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر أى جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها (ويولون الدبر) أى الإدبار كما قال ۞ كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ۞ وقرئ الأدبار (أدهى) أشد وأفظع والداهية الأمر المنكر الذى لايهتدى لدوائه (وأمر) من الهزيمة والقتل والأسر ۞ وقرئ سنهزم الجمع (فى ضلال وسعر) فى هلاك ونيران أو فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة (مس سقر) كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لأن النار إذا أصابتهم بحرها ولحقتهم بإيلامها فكأنها تمسهم مساً بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذى ويؤلم ۞ وذوقوا على إرادة القول ۞ وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته إذا لوحته قال ذوالرمة إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها ۞ بأفنان مربوع الصريمة معبل وعدم صرفها للتعريف والتأنيث (كل شيء) منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع ۞ والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما أى خلقنا كل شيء مقدراً محكماً مرتباً على حسب مااقتضته الحكمة أو مقدراً مكتوباً فى اللوح

قوله تعالى « إنا كل شيء خلقناه بقدر » (قال فيه منصوب بمضمر يفسره الظاهر) قال أحمد كان قياس مامهده النحاة اختيار رفع كل لكن لم يقرأ بها واحد من السبعة وإنما كان كذلك لأن الكلام مع الرفع جملة واحدة ومع النصب جملتان فالرفع أخصر مع أنه لامقتضى للنصب ههنا من أحد الأصناف الستة أعنى الأمر والنهى إلى آخرها ولا أجدهنا مناسب عطف ولاغيره مما يعدونه من محال اختيارهم للنصب فإذا تبين ذلك فاعلم أنه إنما عدل عن الرفع إجماعا لسر لطيف يعين اختيار النصب وهو أنه لو رفع لوقعت الجملة التى هى خلقناه صفة لشيء ورفع قوله بقدر خبراً عن كل شيء المقيد بالصفة ويحصل الكلام على تقدير إنا كل شيء مخلوق لنا بقدر فافهم ذلك أن مخلوقا ما يضاف إلى غير الله تعالى ليس بقدر وعلى النصب يصير الكلام إنا خلقنا كل شيء بقدر فيفيد عموم نسبة كل مخلوق إلى الله تعالى فلما كانت هذه الفائدة لاتوازيها الفائدة اللفظية على قراءة الرفع مع مافى الرفع من نقصان المعنى ومع مافى هذه القراءة المستفيضة من مجيء المعنى تاما واضحاً كفلق الصبح لاجرم أجمعوا على العدول عن الرفع إلى النصب لكن الزمخشرى لما كان من قاعدة أصحابه تقسيم المخلوقات إلى مخلوق الله ومخلوق لغير الله فيقولون هذا لله بزعمهم وهذا لنا فغرت هذه الآية فاه وقام إجماع القراء حجة عليه فأخذ يستروح الشفاء وينقل قراءتها بالرفع فليراجع له ويعرض عليه إعراض القراء السبعة عن هذه الرواية مع أنها هى الأولى فى العربية لولا ماذكرناه أيجوز فى حكمه حينئذ الإجماع على خلاف الأولى لفظاً ومعنى من غير معنى اقتضى ذلك أم لا وهو المخير فيما يحكم به فإلى الله ترجع الأمور

فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۞ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۞ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۞ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۞

سـورة الرحمٰن مدنية

وآياتها ٧٨ نزلت بعد الرعد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۞ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ

معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه (وما أمرنا إلا واحدة) إلا كلمة واحدة سريعة التكوين (كلمح بالبصر) أراد قوله كن يعني أنه إذا أراد تكوين شيء لم يلبث كونه (أشياعكم) أشباهكم في الكفر من الأمم (في الزبر) في دواوين الحفظة (وكل صغير وكبير) من الأعمال ومن كل ما هو كائن (مستطر) مسطور في اللوح (ونهر) وأنهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كأسد وأسد (في مقعد صدق) في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) مقربين عند مليك مبهم أمره في الملك والاقتدار فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

﴿ سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكي ومدني وهي ست وسبعون آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ عدد الله عز وعلا آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله وكأن الغرض في إنشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير

﴿ القول في سورة الرحمن ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى « الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان » (قال فيه عدد الله عز وجل آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدما في ضروب آلائه الخ) قال أحمد نغير من هذا الكلام قوله أن خلق الإنسان كان الغرض فيه أي المراد منه أن يحيط علما بالكتب والوحي ويعوض بأن المراد بخلقه أن يدعى إلى ذلك لأن يقع ذلك منه فهذا هو المراد العام ثم منهم من أراد الله منه أن يحيط علما بالدين فيسر له ذلك ومنهم من أراد ضلالته وجهالته فبعد عنه ولم يوفق والله الموفق للصواب ۞ عاد كلامه (قال ثم ذكر ما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب الخ) قال أحمد وإنما خص الجمل الأول بذكرها تبكيتا للإنسان لأجل التصاق معانيها به ألا ترى أنه مذكور فيها نطقا وإضمارا وحذفا مدلولا عليه في الكلام فهو منطوق به مظهرا في قوله خلق الإنسان ومضمرا في قوله علمه البيان ومدلولا على حذفه في قوله علم القرآن فإنه المفعول الثاني أما قوله « الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان » فليس الإنسان فيهما ذاكرا البتة وجل المقصود من سياقهما التنبيه على عظمة الله تعالى ۞ عاد كلامه قال وإنما قرن هاتين الجملتين لتناسبهما من حيث التقابل الخ

(قوله في كل غب بعثه الله) في الصحاح الغب أن ترد الإبل الماء يوما وتدعه يوما والغب في الزيارة قال الحسن في كل أسبوع

وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ

و (الرحمن) مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك مالم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه (بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى (يجريان) فى بروجهما ومنازلهما وفى ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب (والنجم) والثبات الذى ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول (والشجر) الذى له ساق ۝ وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وأنهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين فى انقياده (فإن قلت) كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن (قلت) استغنى فيهما عن الوصل اللفظى بالوصل المعنوى لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له (فإن قلت) كيف أخل بالعاطف فى الجمل الأول ثم جىء به بعد (قلت) بكت بتلك الجمل الأول واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة فى تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المثال الذى قدمته ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت فى وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف (فإن قلت) أى تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف (قلت) إن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين وأن جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس رضى الله عنه الإنسان آدم وعنه أيضا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد النجم نجوم السماء (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) وفى قراءة عبد الله وخفض الميزان وأراد به كل ما توزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أى خلقه موضوعا مخفوضا على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم وإعطائهم (ألا تطغوا) لئلا تطغوا أوهى أن المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير أن على إرادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسُره ويخسِره وأما الفتح فعلى أن الأصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل و (وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للأنام) للخلق وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة وعن الحسن الإنس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فاكهة) ضروب مما يتفكه به و (الأكمام) كل ما يكم أى يغطى من ليفه وسعفه وكفراة وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الأكمام أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف (العصف) ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذى هو علف الأنعام والريحان الذى هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذى

(قوله وسعفة وكفراة) الذى فى الصحاح الكفرى بلا تاء وأنها وعاء الطلع اه فلعل عبارة المفسر من ليفه وسعفه وكفراه بإضافة كل إلى ضمير النخل كما سيأتى فى ثمره وجماره وجذوعه والناسخ توهم أنها هاء التأنيث فنقطها فوق

نار ۞ فبأى ءالاء ربكما تكذبان ۞ رب المشرقين ورب المغربين ۞ فبأى ءالاء ربكما تكذبان ۞ مرج البحرين يلتقيان ۞ بينهما برزخ لا يبغيان ۞ فبأى ءالاء ربكما تكذبان ۞ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ۞ فبأى ءالاء ربكما تكذبان ۞ وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام ۞ فبأى ءالاء ربكما تكذبان ۞ كل من عليها فان ۞ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ۞ فبأى ءالاء ربكما تكذبان ۞ يسئله من فى

يشم وفى مصاحف أهل الشأم والحب ذو العصف والريحان أى وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان ويجوز أن يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه ۞ والخطاب فى (ربكما تكذبان) للثقلين بدلالة الأنام عليهما وقوله سنفرغ لكم أيها الثقلان ۞ الصلصال الطين اليابس له صلصلة ۞ والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف (فإن قلت) قد اختلف التنزيل فى هذا وذلك قوله عزّ وجل من حمأ مسنون من طين لازب من تراب (قلت) هو متفق فى المعنى ومفيد أنه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا و(الجان) أبو الجن وقيل هو إبليس . والمارج اللهب الصافى الذى لادخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط به (فإن قلت) فما معنى قوله (من نار) (قلت) هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله تعالى (فأنذرتكم نارا تلظى) قرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما وأراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما (مرج البحرين) أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لافصل بين الماءين فى مرأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لايبغيان) لايتجاوزان حديهما ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة . قرئ يخرج ويخرج من أخرج وخرج ويخرج أى الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون . واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الأحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره (فإن قلت) لم قال منهما وإنما يخرجان من الملح (قلت) لما التقيا وصار كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وإنما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لايخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب (الجوارى) السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه

لها ثنايا أربع حسان ۞ وأربع فكلها ثمان

و(المنشآت) المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الأمواج بجريهن ۞ والأعلام جمع علم وهو الجبل الطويل (عليها) على الأرض (وجه ربك) ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون أين وجه عربى كريم ينقذنى من الهوان و(ذو الجلال والإكرام) صفة الوجه وقرأ عبد الله ذى على صفة

۞ قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (قال فيه إن قلت لم قال منهما وإنما يخرجان من الملح الخ) قال أحمد هذا القول الثانى مردود بالمشاهدة والصواب هو الأول ومثله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وإنما أريد إحدى القريتين هذا هو الصحيح الظاهر وكما تقول فلان من أهل ديار مصر وإنما بلده محلة واحدة منها ۞ قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام (قال فيه الوجه يعبر به عن الذات ومساكين مكة يقولون الخ) قال أحمد المعتزلة ينكرون الصفات الإلهية التى دلّ عليها العقل فكيف بالصفات السمعية على أنّ من الأشعرية من حمل الوجه واليدين والعينين على نحو ماذكر ولم ير بيانها صفات سمعية ۞ ثم قال فإن قلت كيف عد هذا من الآلاء والنعم وحاصله فناء الخلق وأجاب بأنّ معناه أنهم يفنون ثم يبعثون إلى دار الجزاء إلى دار النعيم المقيم الحقيق بأن يكون هو النعيم لا غير

(قوله والمنشآت المرفوعات الشرع) فى الصحاح الشراع شراع السفينة اه فالشرع جمعه ككتاب وكتب

السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَاۤءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَاۤءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطٰنٍ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَاۤءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا

ربك ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم أو الذى يقال له ماأجلك وأكرمك أو من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والإكرام وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والإكرام فقال قد استجيب لك (فإن قلت) ماالنعمة فى ذلك (قلت) أعظم النعمة وهو مجىء وقت الجزاء عقيب ذلك. كل من أهل السموات والأرض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات مايتعلق بدينهم وأهل الأرض مايتعلق بدينهم ودنياهم (كل يوم هو فى شأن) أى كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فقيل له وماذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله تعالى يومان أحدهما اليوم الذى هو مدة عمر الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهى والإماتة والاحياء والإعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا إن الله لايقضى يوم السبت شيئاً وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله إلى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يامولاى أخبرنى ماأصابك لعل يسهل لك على يدى فأخبره فقال له أنا أفسرها للملك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله أن يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافا ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزاً ويفقر غنياً ويغنى فقيراً فقال الأمير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يامولاى هذا من شأن الله وعن عبدالله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله تعالى فأصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو فى شأن وقد صح أن القلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة وقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ماسعى فما بال الأضعاف فقال الحسين يجوز أن لايكون الندم توبة فى تلك الأمة ويكون توبة فى هذه الأمة لأن الله تعالى خص هذه الأمة بخصائص لم يشاركهم فيها الأمم وقيل إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله وأن ليس للإنسان إلا ماسعى فمعناه ليس له إلا ماسعى عدلا ولى أن أجزيه بواحدة ألفاً فضلا وأما قوله كل يوم هو فى شأن فإنها شؤن يبديها لاشؤن يبتدئها فقام عبدالله وقبل رأسه وسوغ خراجه (سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للإيقاع بك من كل مايشغلنى عنك حتى لايكون لى شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤون الخلق التى أرادها بقوله كل يوم هو فى شأن فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم أى الله تعالى وسأفرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسوراً وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفى قراءة أبى سنفرغ إليكم بمعنى سنقصد إليكم والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض (يامعشر الجن والإنس) كالترجمة لقوله أيها الثقلان (إن استطعتم) أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن سمائى وأرضى فافعلوا ثم قال لاتقدرون على النفوذ (إلا بسلطان) يعنى بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ونحوه وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء وروى أن الملائكة عليهم السلام تنزل

(قوله عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم) إجلاله عن أفعال الخلق مبنى على مذهب المعتزلة انه لايخلق أفعال العباد ومذهب أهل السنة أنه هو الخالق لها (قوله ألظوا بياذا الجلال) أى ألزموا ذلك اهـ صحاح

تَنتَصِرَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

فتحيط بجميع الخلائق فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجها إلا وجدوا الملائكة أحاطت به ۞ قرئ شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وأنشد

تضىء كوضوء سراج السليـــط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفاً على شواظ ومجروراً عطفاً على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس أى ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا (فلا تنتصران) فلا تمتنعان (وردة) حمراء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن أو اسم مايدهن به كالحزام والإدام قال كأنهما مزادتا متعجل ۞ فريان لما تدهنا بدهان وقيل الدهان الأديم الأحمر وقرأ عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذى يسمى التجريد كقوله

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة ۞ نحوى الغنائم أو يموت كريم

(إنس) بعض من الإنس (ولا جان) أريد به ولا جن أى ولا بعض من الجن فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وإنما وحد ضمير الإنس فى قوله عن ذنبه لكونه فى معنى البعض والمعنى لا يسألون لأنهم يعرفون بسيما المجرمين وهى سواد الوجوه وزرقة العيون (فإن قلت) هذا خلاف قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله «وقفوهم إنهم مسئولون» (قلت) ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون فى موطن ولا يسألون فى آخر قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن فرارا من التقاء الساكنين وإن كان على حده (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه فى سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصى وتارة تأخذ بالأقدام (حميم آن) ماء حار قد انتهى حره ونضجه أى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل إن واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم فى الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا ۞ وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون أى يتطوفون ويطافون وفى قراءة عبد الله هذه جهنم التى كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها ۞ ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجى منه برحمته وفضله وما فى الإنذار به

قوله تعالى لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (قال فيه لم يطمث الإنسية إنسى ولا الجنية جنى الخ) قال أحمد يشير إلى الرد على من زعم أن الجن المؤمنين لا ثواب لهم وإنما جزاؤهم ترك العقوبة وجعلهم ترابا ۞ وقال فى قوله ومن دونهما جنتان إنما تقاصرت صفة هاتين الجنتين عن صفة الأوليين حتى قال ومن دونهما لأنه قال مدهامتان وذلك دون ذواتا افنان ونضاختان وذلك دون تجريان وفاكهة وذلك دون من كل فاكهة وكذلك صفة الحور

(قوله كأنهما مزادتا متعجل فريان) الفرى فعيل بمعنى المفرى وفى الصحاح فريت الشىء قطعته لأصلحه وفريت المزادة خلقتها وصنعتها

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞
فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ
دَانٍ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ۞ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ۞ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُدْهَامَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞
فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞

من اللطف (مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامى ويجوز أن يراد بمقام ربه أن الله قائم عليه أى حافظ مهيمن من قوله تعالى « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقوله أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وانشد

ذعرت به القطا ونفيت عنه ۞ مقام الذئب كالرجل اللعين

يريد ونفيت عنه الذئب (فإن قلت) لم قال (جنتان) (قلت) الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى ويجوز أن يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصى لأنّ التكليف دائر عليهما وأن يقال جنة يثاب بها وأخرى تضم إليها على وجه التفضل كقوله تعالى « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » خص الافنان بالذكر وهى الغصنة التى تتشعب من فروع الشجرة لأنها هى التى تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان ألوان النعم ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين قال ومن كل أفنان اللذاذة والصبا ۞ لهوت به والعيش أخضر ناضر (عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والأسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل (زوجان) صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب (متكئين) نصب على المدح الخائفين أو حال منهم لأنّ من خاف فى معنى الجمع (بطائنها من إستبرق) من ديباج ثخين وإذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور (دان) قريب يناله القائم والقاعد والنائم ۞ وقرئ وجنى بكسر الجيم (فيهنّ) فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى أو فى الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ لا ينظرن إلى غيرهم ۞ لم يطمث الإنسيات منهنّ أحد من الإنس ولا الجنيات أحد من الجن وهذا دليل على أنّ الجن يطمثون كما يطمث الإنس ۞ وقرئ لم يطمثهنّ بضم الميم قيل هنّ فى صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر أنصع بياضا قيل أنّ الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء (هل جزاء الإحسان) فى العمل (إلا الإحسان) فى الثواب وعن محمد بن الحنفية هى مسجلة للبر والفاجر أى مرسلة يعنى أنّ كل من أحسن أحسن إليه وكل من أساء أسيء إليه (ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (مدهامتان) قد ادهامتا من شدّة الخضرة (نضاختان) فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح لأنّ النضح غير معجمة مثل الرش (فإن قلت) لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها (قلت) اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما

(قوله كالرجل اللعين) هو شيء ينصب وسط الزرع لطرد الوحوش كذا فى الصحاح

(قوله وهى الغصنة) جمع غصن كقرطة جمع قرط أفاده الصحاح

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَامِ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۞

سورة الواقعة مكية

إلا آيتى ٨١ و ٨٢ فمدنيتان وآياتها ٩٦ نزلت بعد طه

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۞ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۞ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ

كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله تعالى وجبريل وميكائيل أو لأن النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال أبو حنيفة رحمه الله إذا حلف لايأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه (خيرات) خيرات فخففت كقوله عليه السلام هينون لينون وأما خير الذى هو بمعنى أخير فلايقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيرات على الأصل والمعنى فاضلات الأخلاق حسان الخلق (مقصورات) قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل أنّ الخيمة من خيامهنّ درّة مجوفة (قبلهم) قبل أصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين (متكئين) نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لأطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه والعبقرى منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شىء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة إلى عباقر فى اسم البلد وروى أبو حاتم عباقرى بفتح القاف ومنع الصرف وهذا الاوجه لصحته (فإن قلت) كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأولين حتى قيل ومن دونهما (قلت) مدهامّتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ ذوالجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدّى شكر ماأنعم الله عليه

﴿سورة الواقعة مكية وهى سبع وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (وقعت الواقعة) كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع بأنها تقع لامحالة فكأنه قيل إذا وقعت التى لابدّ من وقوعها ووقوع الأمر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله ۞ (فإن قلت) بم انتصب إذا (قلت) بليس كقولك يوم الجمعة ليس لى شغل أو بمحذوف يعنى إذا وقعت كان كيت وكيت أو باضمار اذكر (كاذبة) نفس كاذبة أى لاتكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب فى تكذيب الغيب لأنّ كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدّقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لايؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه

﴿القول فى سورة الواقعة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة (قال فيه) كاذبة صفة تقدير موصوفها نفس كاذبة الخ

(قوله هينون لينون) لعله ورد فى صفة المؤمنين ومثله قال الشاعر هينون لينون أيسار ذو كرم (قوله ورفرف السحاب هيدبه) فى الصحاح هيدب السحاب ماتهدب منه إذا أراد الورق أراد كأنه خيوط

رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۝ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ
وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ ثُلَّةٌ

حتى تأتيهم الساعة بغتة واللام مثلها فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى أو ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكونى كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكونى أو هى من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم إذا شجعته على مباشرته وقالت له إنك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى أنها وقعة لاتطاق شدة وفظاعة وأن لانفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الأمور وتزين له احتمالها وإطاقتها لأنهم يومئذ أضعف من ذلك وأذل ألا ترى إلى قوله تعالى كالفراش المبثوث والفراش مثل فى الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب أى فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من إطاقته له وإقدامه عليه قال زهير إذا ماالليث كذب عن أقرانه صدقا ۝ أى إذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد (خافضة رافعة) على هى خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين إما وصفاً لها بالشدة لأن الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس إلى مراتب ويتضع ناس وإما لأن الأشقياء يحطون إلى الدركات والسعداء يرفعون إلى الدرجات وإما لأنها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضاً وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر فى الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال (رجت) حركت تحريكا شديداً حتى ينهدم كل شىء فوقها من جبل وبناء (وبست الجبال) وفتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم إذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (منبثا) متفرقا وقرئ بالتاء أى منقطعا وقرئ رجت وبست أى ارتجت وذهبت وفى كلام بنت الخس عينهاهاج وصلاهاراج وهى تمشى وتفاج (فإن قلت) بم انتصب إذارجت (قلت) هو بدل من إذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال لأنه عند ذلك ينخفض ماهو مرتفع ويرتفع ماهو منخفض (أزواجا) أصنافا يقال للأصناف التى بعضها مع بعض أو يذكر بعضها بعض أزواج (فأصحاب الميمنة) الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم (وأصحاب المشأمة) الذين يؤتونها بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشومى وقيل أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أصحاب اليمن والشؤم لأن السعداء ميامن على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال (والسابقون) المخلصون الذين سبقوا إلى مادعاهم الله إليه وشقوا الغبار فى طلب مرضاة الله عز وجل وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير فى حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر فى حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ۝ ماأصحاب الميمنة وماأصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين فى السعادة والشقاوة والمعنى أى شىء هم ۝ والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبدالله عبدالله وقول أبى النجم وشعرى شعرى كأنه قال وشعرى ماانتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تأكيداً وأولئك المقربون خبراً وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون

(قوله قال زهير إذا ماالليث كذب) أول البيت ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ماالليث الخ وعثر بالتشديد موضع كذا فى الصحاح (قوله وفتت حتى تعود كالسويق) عبارة النسفى وفتتت (قوله وفى كلام بنت الخس) فى الصحاح الخس بالفتح بقلة والخس بالضم اسم رجل ومنه هند بنت الخس وعين هاجة أى غائرة والصلا ما عن يمين الذنب ويساره وفجت مابين رجلى أفجهما إذا فتحت يقال هو يمشى مفاجا (قوله لتفاؤلهم بالسانح) هو مامر من يسارك إلى يمينك من ظبى أو طائر والبارح عكسه أفاده الصحاح

مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ *

وابتدأ السابقون أولئك المقربون والصواب أن يوقف على الثانى لأنه تمام الجملة وهو فى مقابلة ماأصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة (المقربون فى جنات النعيم) الذين قربت درجاتهم فى الجنة من العرش وأعليت مراتبهم * وقرئ فى جنة النعيم * والثلة الأمة من الناس الكثيرة قال وجاءت إليهم ثلة خندفية * بجيش كتيار من السيل مزبد
وقوله عز وجل وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهى من الثل وهو الكسر كما أن الأمة من الأم وهو الشج كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى أن السابقين من الأولين كثير وهم الأمم من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم (وقليل من الآخرين) وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل من الأولين من متقدمى هذه الأمة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتى (فإن قلت) كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين (قلت) هذا فى السابقين وذلك فى أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعا (فإن قلت) فقد روى أنها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الأولين وثلة من الآخرين (قلت) هذا لا يصح لأمرين أحدهما أن هذه الآية واردة فى السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية فى أصحاب اليمين ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثانى أن النسخ فى الإخبار غير جائز وعن الحسن رضى الله عنه سابقو الأمم أكثر من سابقى أمتنا وتابعو الأمم مثل تابعى هذه الأمة وثلة خبر مبتدا محذوف أى هم ثلة (موضونة) مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها فى بعض كما توضن حلق الدرع * قال الأعشى ومن نسج داود موضونة * وقيل متواصلة أدنى بعضها من بعض (متكئين) حال من الضمير فى على وهو العامل فيها أى استقروا عليها متكئين (متقابلين) لا ينظر بعضهم فى أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب (مخلدون) مبقون أبدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى عن على رضى الله عنه وعن الحسن وفى الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة الأكواب أوان بلا عرى وخراطيم والأباريق ذوات الخراطيم (لا يصدعون

---

* قوله تعالى فأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ماأصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم (قال فيه ماتعجيب من حال المقربين الخ) قال أحمد اختار ماهو المختار لأنه أقعد بالفصاحة لكن بقى التنبيه على المخالفة بين المذكورين فى السابقين وفى أصحاب اليمين مع أن كل واحد منهما إنما أريد به التعظيم والتهويل لحال المذكورين فنقول التعظيم المؤدى بقوله السابقون أبلغ من قرينه وذلك أن مؤدى هذا أن أمر السابقين وعظمة شأنه مالا يكاد يخفى وإنما تحير فهم السامع فيه مشهور وأما المذكور فى قوله وأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة فإنه تعظيم على السامع بما ليس عنده منه علم سابق ألا ترى كيف سبق بسط حال السابقين بقوله أولئك المقربون فجمع بين اسم الإشارة المشار به إلى معروف وبين الإخبار عنه بقوله المقربون معرفا بالألف واللام العهدية وليس مثل هذا مذكورا فى بسط حال أصحاب اليمين فإنه مصدر بقوله فى سدر مخضود

(قوله ثلة خندفية) نسبة إلى خندف امرأة الياس بن مضر (قوله وكذا الثانية فى أصحاب اليمين) أى ظاهرة الورود (قوله مرمولة بالذهب) فى الصحاح رملت الحصير أى سففته وفيه أيضا سففت الخوص أى نسجته (قوله وحد الوصافة لا يتحولون) هى بلوغ الغلام حد الخدمة أفاده الصحاح

وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۞ وَحُورٌ عِينٌ ۞ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۞ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ
فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۞ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۞ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۞ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۞ وَطَلْحٍ
مَّنضُودٍ ۞ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۞ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۞ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۞ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۞ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۞
إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۞ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۞ عُرُبًا أَتْرَابًا ۞ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۞ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَثُلَّةٌ مِّنَ

عنها) أى بسببها وحقيقته لايصدر صداعهم عنها أولا يفرّقون عنها وقرأ مجاهد لايصدّعون بمعنى لايتصدعون لايتفرقون كقوله يومئذ يصدّعون ويصدعون أى لايصدع بعضهم بعضا لايفرّقونهم (يتخيرون) يأخذون خيره وأفضله (يشتهون) يتمنون وقرئ ولحوم طير ۞ قرئ وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب إلا رواكد جمرهنّ هباء ومشجج أو للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم فى جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور أو على أكواب لأنّ معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب على ويؤتون حورا (جزاء) مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم (سلاما سلاما) إما بدل من قيلا بدليل قوله لايسمعون فيها لغوا إلا سلاما وإما مفعول به لقيلا بمعنى لايسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام سلام على الحكاية ۞ السدر شجر النبق ۞ والمخضود الذى لاشوك له كأنما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذى تثنى أغصانه كثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب ۞ والطلح شجر الموز وقيل هو شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن على رضى الله عنه أنه قرأ وطلع وماشأن الطلح وقرأ قوله لها طلع نضيد فقيل له أونحولها فقال آى القرآن لاتهاج اليوم ولاتحول وعن ابن عباس نحوه ۞ والمنضود الذى نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة (وظلّ ممدود) ممتد منبسط لايتقاص كظلّ مابين طلوع الفجر وطلوع الشمس (مسكوب) يسكب لهم أين شاؤا وكيف شاؤا لايتعنون فيه وقيل دائم الجرية لاينقطع وقيل مصبوب يجرى على الأرض فى غير أخدود (لامقطوعة) هى دائمة لاتنقطع فى بعض الأوقات كفواكه الدنيا (ولاممنوعة) لاتمنع عن متناولها بوجه ولايحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا ۞ وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور عين (وفرش) جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف (مرفوعة) نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الأسرة وقيل هى النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك قال الله تعالى هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى (إنا أنشأناهنّ إنشاء) وعلى التفسير الأوّل أضمر لهنّ لأنّ ذكر الفرش وهى المضاجع دلّ عليهن أنشأناهنّ إنشاء أى ابتدأنا خلقهنّ ابتداء جديدا من غير ولادة فإما أن يراد اللاتى ابتدئ إنشاؤهنّ أو اللاتى أعيد انشاؤهنّ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ أمّ سلمة رضى الله عنها سألته عن قول الله تعالى إنا أنشاناهنّ فقال ياأم

(قوله هباء ومشجج أو للعطف) هذا أول البيت وتمامه إماسواء قذاله فبدا وغيرساره المعزاء ، والقذال مؤخر الرأس والسار لغة فى السائر والمعزاء الأرض الصلبة كذا فى الصحاح (قوله كأنما خضد شوكه) فى الصحاح خضدت الشجر قطعت شوكه وخضدت العود أى ثنيته من غير كسر (قوله وماشأن الطلح) لعله وقال ماشأن الطلح (قوله وقرأ) أى استشهادا على قراءته (قوله والمنضود الذى نضد) فى الصحاح أنه المرصوص بعضه فوق بعض (قوله لأنّ ذكر الفراش) لعله الفرش (قوله عجائز شمطا رمصا) فى الصحاح الشمط بياض شعر الرأس يخالط سواده والرجل أشمط والمرأة شمطاء وفيه الرمص وسخ يجتمع فى الموق وقد رمصت عينه والرجل أرمص اه أى والمرأة رمصاء والجمع شمط ورمص (قوله ميلاد واحد فى الاستواء) لعله متعلق بمعنى التشبيه أى كأنهنّ على ميلاد واحد فى استواء الخلق

ٱلْآخِرِينَ ۞ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۞ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۞ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۞ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۞ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۞ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۞ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ۞ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۞ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۞ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۞ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۞ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۞ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ۞ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۞ أَفَرَءَيْتُم

سلمةهنّ اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهنّ الله بعد الكبر (أترابا) على ميلاد واحد فى الاستواء كلما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال إنّ الجنة لاتدخلها العجائز فولت وهى تبكى فقال عليه الصلاة السلام أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية (عربا) وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهى المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهنّ أيضا كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا أبيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين ۞ واللام فى لأصحاب اليمين من صلة أنشأنا وجعلنا (فى سموم) فى حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء حار متناه فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم (لابارد ولا كريم) نفى لصفتى الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلاثم نفى عنه بردالظل وروحه ونفعه لمن يأوى إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق مافى مدلول الظل من الاسترواح إليه والمعنى أنه ظل حار ضار إلا أن للنفى فى نحو هذا شأنا ليس للاثبات وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذى هو لأضدادهم فى الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أى لا هو كذلك و(الحنث) الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم ومنه حنث فى يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث إذا تأثم وتحرج (أو آباؤنا) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف (فإن قلت) كيف حسن العطف على المضمر فى لمبعوثون من غير تأكيد بنحن (قلت) حسن للفاصل الذى هو الهمزة كما حسن فى قوله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفى وقرئ أوآباؤنا ۞ وقرئ لمجمعون (إلى ميقات يوم معلوم) إلى ماوقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ماوقت به الشىء أى حد ومنه مواقيت الإحرام وهى الحدود التى لايتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرما (أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم أهل مكة ومن فى مثل حالهم (من شجر من زقوم) من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره ۞ وأنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ فى قوله منها وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وإنما ذكر الثانى على تأويل الزقوم لأنه تفسيرها وهى فى معناه (شرب الهيم) قرئ بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق رضى الله عنه أيام أكل وشرب بفتح الشين وأما المكسور فبمعنى المشروب أى مايشربه الهيم وهى الإبل التى بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد ۞ صداها ولا يقضى عليها هيامها

وقيل الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لايتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به مافعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع مايضطرهم إلى أكل الزقوم الذى هو كالمهل

(قوله وقرئ لمجمعون إلى ميقات) فى الصحاح أجمعت الشىء جعلته جميعا

مَّا تُمْنُونَ ۞ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۞ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۞ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۞ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۞ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۞ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۞ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا

فإذا ملؤا منه البطون يسلط عليهم من العطش مايضطرهم إلى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم (فإن قلت) كيف صحّ عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفاً للشىء على نفسه (قلت) ليستا بمتفقتين من حيث إنّ كونهم شاربين للحميم على ماهو عليه من تناهى الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضاً فكانتا صفتين مختلفتين ۞ النزل الرزق الذى يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وكقول أبى الشعر الضبى

وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا ۞ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقرئ نزلهم بالتخفيف (فلولا تصدقون) تحضيض على التصديق إمّا بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف مايقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به ۞ وإمّا بالبعث لأنّ من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانياً (ماتمنون) ماتمنونه أى تقذفونه فى الأرحام من النطف وقرأ أبو السمال بفتح التاء يقال أمنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة إذا تمنى (تخلقونه) تقدرونه وتصورونه (قدرنا بينكم الموت) تقديراً وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف ۞ سبقته على الشىء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله (ومانحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) إنا قادرون على ذلك لاتغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق وعلى أن (ننشئكم) فى خلق لاتعلمونها وماعهدتم بمثلها يعنى أنا نقدر على الأمرين جميعاً على خلق مايماثلكم ومالا يماثلكم فكيف نعجز عن إعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل ونغير صفاتكم التى أنتم عليها فى خلقكم وأخلاقكم وننشئكم فى صفات لاتعلمونها ۞ قرئ النشأة والنشاءة وفى هذا دليل على صحة القياس حيث جعلهم فى ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى (أفرأيتم ما تحرثون) ۞ من الطعام أى تبذرون حبه وتعملون فى أرضه (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمى إلى أن يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت قال أبوهريرة أرأيتم إلى قوله أفرأيتم الآية والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ماصار هشيما وتحطم (فظلتم) وقرئ بالكسر وفظللتم على الأصل (تفكهون) تعجبون وعن الحسن رضى الله عنه تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصى التى أصبتم بذلك من أجلها ۞ وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم إذ غار ماؤها فانتفع بها قوله وبقى قوم يتفكنون أى يتندمون (إنا لمغرمون) لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) محارفون محدودون لاحظ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ أئنا (الماء الذى تشربون) يريد الماء العذب الصالح للشرب و (المزن) السحاب الواحدة مزنة وقيل

(قوله نباتا يرف وينمى) فى الصحاح رف لونه يرف بالكسر برق وتلألأ وشجر رفيف إذا تندت أوراقه (قوله قال أبوهريرة أرأيتم) أى استشهد على الحديث بالآية وهى قوله تعالى «أفرأيتم ما تحرثون» وقوله أرأيتم خطاب لمن يسمع منه وأراد معنى النظر فعداه بإلى كقوله أولم يروا إلى ماخلق الله من شىء (قوله كمثل الحمة يأتيها البعداء) فى الصحاح الحمة العين الحارة يستشفى بها الأعلاء والمرضى وفى الحديث العالم كالحمة اهـ

تَشْكُرُونَ ۞ أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ۞ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ۞ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۞ إِنَّهُ

هو السحاب الأبيض خاصة وهو أعذب ماء (أجاجا) ملحا زعاقا لا يقدر على شربه (فإن قلت) لم أدخلت اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا (قلت) إن لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أن الثاني امتنع لامتناع الأول افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فإذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال بإسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع ألا ترى إلى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول خير لمن قال له كيف أصبحت فحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه وتساوي حالي حذفه وإثباته لشهرة أمره وناهيك بقول أوس: حتى إذا الكلاب قال لها ۞ كاليوم مطلوبا ولا طلبا وحذفه لم أر فإذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز أن يقال إن هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم ألا ترى أنك إنما تسقي ضيفك بعد أن تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء.

إذا سقيت ضيوف الناس محضا ۞ سقوا أضيافهم شبما زلالا

وسقى بعض العرب فقال أنا لا أشرب إلا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (شجرتها) التي منها الزناد (تذكرة) تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به أو جعلناها تذكرة وأنموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزأ من حر جهنم (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهي القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام يقال أقويت من أيام أي لم آكل شيئا (فسبح باسم ربك) فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك أراد بالاسم الذكر أي بذكر ربك و(العظيم) صفة المضاف أو للمضاف إليه والمعنى أنه لما ذكر ما دل على قدرته وإنعامه على عباده قال فأحدث التسبيح وهو أن يقول سبحان الله إما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته وإما تعجبا من أمرهم في غمط آلائه وأياديه الظاهرة وإما شكرا لله على النعم التي عدها ونبه عليها (فلا أقسم) معناه فأقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرأ الحسن فلأقسم ومعناه فلأنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدإ وخبر وهي أنا أقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدأ ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأمرين أحدهما أن حقها أن يقرن بها النون المؤكدة والإخلال بها ضعيف قبيح والثاني أن لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن

۞ قوله تعالى «فلا أقسم بمواقع النجوم» (قال فيه لا زائدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب قال وقرأ الحسن فلأقسم واللام في هذه للابتداء الخ) قلت تلخيص الرد بهذا الوجه الثاني أن سياق الآية يرشد إلى أن القسم بمواقع النجوم واقع ويدل عليه القراءة الأخرى على زيادة لا ومقتضى جعلها جوابا لقسم محذوف أن لا يكون القسم بمواقع النجوم واقعا بل

(قوله ملحا زعاقا) في الصحاح الماء الزعاق الملح وطعام مزعوق إذا أكثر ملحه (قوله إذا سقيت ضيوف الناس محضا) أي لبنا خالصا وبشما أي باردا وثميلة إلى بقية طعام في المعدة أفاده الصحاح (قوله بالفحل والطروقة) أنثى الفحل كما في الصحاح (قوله في غمط آلائه) أي تحقير نعمه أفاده الصحاح.

لقرءان كريم ۞ فى كتاب مكنون ۞ لا يمسه إلا المطهرون ۞ تنزيل من رب العالمين ۞ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ۞ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ۞ فلولا إذا بلغت الحلقوم ۞ وأنتم حينئذ تنظرون ۞ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ۞ فلولا إن كنتم غير مدينين ۞ ترجعونها إن كنتم صادقين ۞ فأما إن كان

يكون للحال (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى فى آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أو لأنه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) أو أراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله تعالى فى ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة مالا يحيط به الوصف وقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فى اعتراض لأنه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه وهو قوله (إنه لقرآن كريم) واعترض لو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن أى أوقات نزولها كريم حسن مرضى فى جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله (فى كتاب مكنون) مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الأدناس أدناس الذنوب وماسواها إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغى أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس يعنى مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة أيضا وعن ابن عمر أحب إلى أن لا يقرأ إلا وهو طاهر وعن ابن عباس فى رواية أنه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أى لا ينبغى له أن يظلمه أو يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالإدغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والوحى الذى ينزلونه (تنزيل) صفة رابعة للقرآن أى منزل من رب العالمين أو وصف بالمصدر لأنه نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكأنه فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء فى التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدأ وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا (أفبهذا الحديث) يعنى القرآن (أنتم مدهنون) أى متهاونون به كمن يدهن فى الأمر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) على حذف المضاف يعنى وتجعلون شكر رزقكم التكذيب أى وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ على رضى الله عنه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون وقيل هى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت فى الأنواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم فى القرآن شعر وسحر وافتراء وفى المطر هو من الأنواء ولأن كل مكذب بالحق كاذب ۞ ترتيب الآية فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير فى ترجعونها للنفس وهى الروح وفى أقرب اليه للمحتضر (غير مدينين) غير مربوبين من دان السلطان الرعية إذا ساسهم ۞ ونحن أقرب اليه منكم يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت والمعنى إنكم فى جحودكم أفعال الله تعالى وآياته فى كل شىء إن أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وإن أرسل اليكم رسولا قلتم ساحر كذاب وإن رزقكم مطرا

مستقبلا فتتنافر القراءتان إذاً والله الموفق للصواب ثم قال قوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فيه اعتراض فالجملة الكبرى اعتراض بين القسم والجواب (الخ) قال أحمد وعلى هذا التفسير يكون جواب القسم مناسبا للمقسم مثل قوله حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربياً ومن واديه وثناياك أنها إغريض كما تقدم

(قوله ونحن أقرب اليه منكم) لم يظهر وجه لتأخير هذا عما قبله إلا بالنظر للترتيب الذى ذكره فليحرر

مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۞ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ الْيَمِينِ ۞ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ الْيَمِينِ ۞ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ ۞ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۞ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۞ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۞ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۞

سورة الحديد مدنية
وآياتها ٢٩ نزلت بعد الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ۞ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّـٰهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞

يحييكم به قائم صدق نوء كذا على مذهب يؤدى إلى الإهمال والتعطيل فما لكم لاترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد (فأما إن كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة فى أول السورة (فروح) فله استراحة وروت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروح بالضم وقرأ به الحسن وقال الروح الرحمة لأنها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء أى فهذان له معاوهو الخلود مع الرزق والنعيم : والريحان الرزق (فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلام لك ياصاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله تعالى إلا قيلا سلاما سلاما (فنزل من حميم) كقوله تعالى هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف (وتصلية جحيم) قرئت بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم (إن هذا) الذى أنزل فى هذه السورة (لهو حق اليقين) أى الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

﴿سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ جاء فى بعض الفواتح سبح على لفظ الماضى وفى بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه أن من شأن من أسند إليه التسبيح أن يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى فى قوله تعالى وتسبحوه وأصله التعدى بنفسه لأن معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح إذا ذهب وبعد فاللام لاتخلو إما أن تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له وإما أن يراد بسبح لله أحدث التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصا (مافى السموات والأرض) مايتأتى منه التسبيح ويصح (فإن قلت) مامحل (يحيى) (قلت) يجوز أن لايكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات وأن يكون مرفوعا على هو يحيى ويميت ومنصوبا حالا من المجرور فى له والجار عاملا فيها ومعناه يحيى النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الأحياء (هو الأول) هو القديم الذى كان قبل كل شىء (والآخر) الذى يبقى بعد هلاك كل شىء (والظاهر) بالأدلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس (فإن قلت) فما معنى الواو (قلت) الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية

﴿القول فى سورة الحديد﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) (قال فيه) إن قلت مامعنى الواو

(قوله وهو الخلود مع الرزق) لعله وهما (قوله قلت الواو الأولى معناها الدلالة) الأولى إنما دلت على اجتماع الصفتين الأولين والثالثة على اجتماع الأقربين والثانية على اجتماع المجموعين

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۞ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۞ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى

والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الآخريين فهو المستمر الوجود فى جميع الأوقات الماضية والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالأدلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفى هذا حجة على من جوز إدراكه فى الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالى على كل شىء الغالب له من ظهر عليه إذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شىء أى علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم (مستخلفين فيه) يعنى أن الأموال التى فى أيديكم إنما هى أموال الله بخلقه وإنشائه لها وإنما مولكم إياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى بأموالكم فى الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب ۞ فانفقوا منها فى حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى أيديكم بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينقل منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها أنفسكم (لا تؤمنون) حال من معنى الفعل فى مالكم كما تقول مالك قائما بمعنى ما تصنع قائما أى وما لكم كافرين بالله ۞ والواو فى (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلتان وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى وأى عذر لكم فى ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج ۞ وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الأدلة ومكنكم من النظر وأزاح عللكم فإذ لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون (إن كنتم مؤمنين) لموجب ما فإن هذا الموجب لا مزيد عليه ۞ وقرئ أخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله

وأجاب بأن المتوسطة بين الأول والآخر للجمع بين معنى الأولية والبقاء الخ ۞ قال ومعنى الظاهر أى بالأدلة والباطن أى عن الحواس قيل وفيه دليل الرد على من زعم أنه تعالى يرى فى الآخرة بالحاسة (قلت) لا دليل فيه على ذلك فإن لنا أن نقول إن المراد عدم الإدراك بالحاسة فى الدنيا لا فى الآخرة ونحن نقول به أو فى الآخرة والمراد الكفار والجاحدون للرؤية كالقدرية ألا ترى إلى قوله كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فإن قيل تقييد وتخصيص على خلاف الظاهر قلنا والمسئلة قطعية فيكفى الاحتمال وأيضا فقسيمه لابد فيه من تخصيص فإنه تعالى لم يظهر جميع خلقه على الأدلة الموصلة إلى معرفته بل أخفاها عن كثير منهم وحرمهم الفوز بالإيمان به عز وجل فالظاهر إذا معناه فى التخصيص كالثانى طبقا بينه وبين الأول. قوله تعالى «والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين» (قال فيه أخذ الميثاق عبارة عن تركيب العقول فيهم الخ) قال أحمد وما عليه أن يحمل أخذ الميثاق على ما بينه الله فى آية غير هذه إذ يقول تعالى وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ولقد يربى منه إنكاره

(قوله حجة على من جوز إدراكه) يريد أهل السنة وهم قد جوزوا رؤيته مطلقا وقالوا لا تدركه الأبصار أى لا تحيط به والمعتزلة أحالوا رؤيته تعالى وتفصيله فى التوحيد (قوله وقرئ أخذ ميثاقكم) يفيد أن القراءة على البناء للمفعول أشهر

عَبْدِهِ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُولَـٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ الْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَـٰفِقُونَ وَالْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ

عز وجل (ليخرجكم) الله بآياته من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان أو ليخرجكم الرسول بدعوته (لرؤف) وقرئ لرؤوف (ومالكم لاتنفقوا) فى أن لاتنفقوا (ولله ميراث السموات والأرض) يرث كل شىء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره يعنى وأى غرض لكم فى ترك الإنفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الإنفاق فى سبيل الله ۞ ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لايستوى منكم من أنفق) قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجاً وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه (اعظم درجة) ۞ وقرئ قبل الفتح (وكلا) وكل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق فى سبيل الله ۞ القرض الحسن الانفاق فى سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه إياه (فيضاعفه له) أى يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفا (أضعافا) من فضله (وله أجر كريم) يعنى وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم فى نفسه وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض أو على فهو يضاعفه (يوم ترى) ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب بإضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم ۞ وإنما قال (بين أيديهم وبأيمانهم) لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فجعل النور فى الجهتين شعاراً لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعى بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما ۞ ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة (بشراكم اليوم) ۞ وقرئ ذلك الفوز (يوم يقول) بدل من يوم ترى (انظرونا) انتظرونا لأنهم يسرع بهم إلى الجنة

لكثير من مثل هذه الظواهر والعدول بها عن حقائقها مع إمكانها عقلا ووقوعها بالسمع قطعا إلى ما يتوهمه من تمثيل يسميه تخييلا فالقاعدة التى تعتمد عليها كى لا يضرك ما يومى إليه أن ما كل ما جوزه العقل وورد بوقوعه السمع وجب حمله على ظاهره والله الموفق

(قوله وقرئ لرؤوف ومالكم) يفيد أن القراءة بالقصر أشهر وفيه نظر فلينظر وفى الصحاح رؤف به بالضم ورأف به بالفتح ورئف به بالكسر فهو رؤف على فعول قال كعب بن مالك الأنصارى نطيع نبينا ونطيع ربا هو الرحمن كان بنا رؤفا ورؤف أيضا على فعل قال ضرير يرى للمسلمين عليه حقاً كفعل الوالد الرؤف الرحيم والظاهر أن رسمه بواو واحدة حال المد والقصر فيكون الأشهر قراءة المد كما هو الأشهر فى الاستعمال اللغوى (قوله وقرئا منصوبين على جواب) أى قوله فيضاعفه وقوله فيضعفه

لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۞ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۞ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ

كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أوانظروا الينا لأنهم إذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به وقرئ أنظرونا من النظرة وهى الإمهال جعل اتئادهم فى المضى إلى أن يلحقوا بهم إنظاراً لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طرد لهم وتهكم بهم أى ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس أوارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الإيمان أوارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور وقد علموا أن لا نور وراءهم وإنما هو تخييب وإقناط لهم (فضرب بينهم بسور) بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الأعراف لذلك السور (باب) لأهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور أوالباب وهو الشق الذى يلى الجنة (وظاهره) ماظهر لأهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) وهو الظلمة والنار وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما فضرب بينهم على البناء للفاعل (ألم نكن معكم) يريدون موافقتهم فى الظاهر (فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وغرتكم الأمانى) طول الآمال والطمع فى امتداد الأعمار (حتى جاء أمر الله) وهو الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بأن الله عفوكريم لايعذبكم وقرئ الغرور بالضم (فدية) مايفتدى به (هى مولاكم) قيل هى أولى بكم وأنشد قول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه ۞ مولى المخافة خلفها وأمامها

وحقيقة مولاكم محراكم ومقمنكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم أى مكان لقول القائل إنه لكريم ويجوز أن يراد هى ناصركم أى لاناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على البتات ونحوه قولهم أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم فى الدنيا أعمال أهل النار (ألم يأن) من أنى الأمر يأنى إذا جاء إناه أى وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى يأنى وألما يأن قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشر من نزول القرآن وعن الحسن رضى الله عنه أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن أقل مما تقرؤن فانظروا فى طول ماقرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن أبى بكر رضى الله عنه أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديداً فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقرئ نزل ونزّل وأنزل (ولايكونوا) عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز أن يكون نهياً لهم عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بنى إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره (فإن قلت) مامعنى لذكر الله وما نزل من الحق (قلت) يجوز أن يراد بالذكر وبما

(قوله على ركاب تزف بهم) أى تسرع أفاده الصحاح (قوله محراكم ومقمنكم) يقال هو حرى أن يفعل كذا وهو قمن أن يفعله أى جدير بذلك وحقيق به أفاده الصحاح (قوله فاستنصر الجزع) لعله الجزع أى نقيض الصبر

فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۞ ٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۞ ٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۞ سَابِقُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ

نزل من الحق القرآن لأنه جامع الأمرين للذكر والموعظة وأنه حق نازل من السماء وأن يراد خشوعها إذا ذكر الله وإذا تلى القرآن بقوله تعالى إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ۞ أراد بالأمد الأجل كقوله إذا انتهى أمده وقرئ الأمدّ أى الوقت الأطول (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين (اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها) قيل هذا تمثيل لأثر الذكر فى القلوب وأنه يحييها كما يحيى الغيث الأرض (المصدّقين) المتصدّقين وقرئ على الأصل والمصدّقين من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعنى المؤمنين (فإن قلت) علام عطف قوله (وأقرضوا) (قلت) على معنى الفعل فى المصدّقين لأن اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كأنه قيل إن الذين اصدقوا وأقرضوا والقرض الحسن أن يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين أى يضاعف الله يريد أن المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) أى مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم (فإن قلت) كيف يسوى بينهم فى الأجر ولا بد من التفاوت (قلت) المعنى أن الله يعطى المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوى أجرهم مع إضعافه أجر أولئك ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره أراد أن الدنيا ليست إلا محقرات من الأمور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وأما الآخرة فما هى إلا أمور عظام وهى العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع ۞ وقرئ مصفاراً (سابقوا) سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم فى المضمار إلى جنة (عرضها كعرض السماء والأرض) قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الأرضين وذكر العرض دون الطول لأن كل ماله عرض وطول فإن عرضه أقل من طوله فإذا وصف عرضه بالبسطة عرف أن طوله أبسط وأمد ويجوز أن يراد بالعرض البسطة كقوله تعالى فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة إلى نيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله) عطاؤه (يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنين المصيبة فى الأرض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفى الأنفس نحو

(قوله كقوله إذا انتهى أمده) البيت من أوله ۞ كل حى مستكمل مدة العمر ۞ ومود إذا انتهى أمده (قوله فاستوى واكتهل وأعجب به) فى الصحاح اكتهل النبات أى تم طوله وظهر نوره

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۞ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۞ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ

الأدواء والموت (فى كتاب) فى اللوح (من قبل أن نبرأها) يعنى الأنفس أو المصائب (إن ذلك) إن تقدير ذلك وإثباته فى كتاب (على الله يسير) وإن كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال (لكيلا تأسوا ولا تفرحوا) يعنى أنكم إذا علمتم أن كل شىء مقدر مكتوب عند الله قل أسماكم على الفائت وفرحكم على الآتى لأن من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لأنه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله (والله لا يحب كل مختال فخور) لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم فى نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس ۞ قرئ بما آتاكم وأتاكم من الإيتاء والإتيان وفى قراءة ابن مسعود بما أوتيتم (فإن قلت) فلا أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح (قلت) المراد الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهى عن الشكر فأما الحزن الذى لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما (الذين يبخلون) بدل من قوله كل مختال فخور كأنه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغى إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه فى عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم فى الإمساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند إصابته (ومن يتول) عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الأسى على الفائت والفرح بالآتى فإن الله غنى عنه ۞ وقرئ بالبخل ۞ وقرأ نافع فإن الله الغنى وهو فى مصاحف أهل المدينة والشام كذلك (لقد أرسلنا رسلنا) يعنى الملائكة إلى الأنبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أى الوحى (والميزان) روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال مر قومك يزنوا به (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام وذلك أن أوامره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) فى مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها أو ما يعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة أعداء الدين (بالغيب) غائبا عنهم قال ابن عباس رضى الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه (إن الله قوى عزيز) غنى بقدرته وعزته فى إهلاك من يريد هلاكه عنهم وإنما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيه إلى الثواب (والكتاب) والوحى وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فمنهم) فمن الذرية أو من المرسل إليهم وقد دل عليهم ذكر الإرسال

(قوله والميقعة والمطرقة) فى الصحاح الميقعة المطرقة والميقعة أيضا المسن الطويل والمر الحبل والمسحاة كالمجرفة إلا أنها من حديد

الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ

والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم أى فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق ۝ قرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لأن الكلمة أعجمية لايلزم فيهاحفظ أبنيةالعرب وقرئ رآفة على فعالة أى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه فى صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ۝ والرهبانية ترهبهم فى الجبال فارين من الفتنة فى الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وذلك أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم إلا القليل فخافوا أن يفتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرئ ورهبانية بالضم كأنها نسبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) يعنى وأحدثوها من عند أنفسهم ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (إلا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله لا يحل نكثه (فآتينا الذين آمنوا) يريد أهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى (وكثير منهم فاسقون) الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز أن تكون الرهبانية معطوفة على ماقبلها وابتدعوها صفة لها فى محل النصب أى وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم إلا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على أنه كتبها عليهم وألزمها إياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضا الله وثوابه فما رعوها جميعاً حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية أجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها (ياأيها الذين آمنوا) يجوز أن يكون خطاباً للذين آمنوا من أهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فإن كان خطاباً لمؤمنى أهل الكتاب فالمعنى ياأيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد (يؤتكم) الله (كفلين) أى نصيبين (من رحمته) لإيمانكم بمحمد وإيمانكم بمن قبله (ويجعل لكم) يوم القيامة

۝ قوله تعالى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الآية (قال فيه الرهبانية الفعلة المنسوبة الرهبان الخ) قال أحمد وفيه إشكال فإن النسب إلى الجمع على صيغته غير مقبول عندهم حتى يرد إلى مفرده إلا أن يقال إنه لما صار الرهبان طائفة مخصوصة صار هذا الاسم وإن كان جمعا كالعلم لهم فلحق بأنصارى ومدائنى وأعرابى عاد كلامه (قال وهى منصوبة بفعل مضمر الخ) قال أحمد فى إعراب هذه الآية تورط أبو على الفارسى وتحيز إلى فئة الفتنة وطائفة البدعة فأعرب رهبانية على أنها منصوبة بفعل مضمر يفسره الظاهر وعلل امتناع العطف فقال ألا ترى أن الرهبانية لايستقيم حملها على جعلنا مع وصفها بقوله ابتدعوها لأن مايجعله هو تعالى لايبتدعونه هم والزمخشرى ورد أيضا مورده الذميم وأسلمه شيطانه الرجيم فلما أجاز مامنعه أبو على من جعلها معطوفة أعذر لذلك بتحريف الجعل إلى التوفيق فراراً مما فر منه أبو على من اعتقاد أن ذلك مخلوق لله تعالى وجنوحا إلى الإشراك واعتقاد أن مايفعلونه هم لا يفعله الله تعالى ولا يخلقه وكفى بما فى هذه الآية دليلا بعد الأدلة القطعية والبراهين العقلية على بطلان ما اعتقداه فإنه ذكر محل الرحمة والرأفة مع العلم بأن محلها القلب فجعل قوله فى قلوب الذين اتبعوه تأكيداً لخلقه هذه المعانى وتصويراً لمعنى الخلق بذكر محله ولو كان المراد أمراً غير مخلوق فى قلوبهم لله تعالى كما زعم لم يبق لقوله فى قلوب الذين اتبعوه موقع ويأبى الله أن يشتمل كتابه الكريم على مالا موقع له ألهمنا الحجة وأنهج بنا واضح المحجة إنه ولى التوفيق وواهب التحقيق

(قوله من أهل الكتاب والذين آمنوا) لعله وللذين

غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞

سورة المجادلة مدنية

وآياتها ٢٢ نزلت بعد المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ

(نوراً تمشون به) وهو النور المذكور فى قوله يسعى نورهم (ويغفر لكم) ماأسلفتم من الكفر والمعاصى (لئلا يعلم) ليعلم (أهل الكتاب) الذين لم يسلموا ولا مزيدة (ألا يقدرون) أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا يقدرون يعنى أن الشأن لا يقدرون (على شيء من فضل الله) أى لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لأنهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وإن كان خطاباً لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله يؤتكم ماوعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين فى قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم فى الإيمانين لا تفرقون بين أحد من رسله روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفراً رضى الله عنه فى سبعين راكباً إلى النجاشى يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من أهل مملكته وهم أربعون رجلا ائذن لنا فى الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة أحد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا بأموال لهم فآسوا بها المسلمين فأنزل الله الذين آتيناهم الكتاب إلى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله يؤتون أجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا أما من آمن بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين وأما من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروى أن مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت ۞ وقرئ لكى يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولأن يعلم بإدغام النون فى الياء ولين يعلم بقلب الهمزة ياء وإدغام النون فى الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام وقيل فى وجهها حذفت همزة أن وأدغمت نونها فى لام لا فصار للاثم أبدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى أن أصل لام الجر الفتح كما أنشد ۞ أريد لأنسى ذكرها ۞ وقرئ أن لا يقدروا (بيد الله) فى ملكه وتصرفه واليد مثل (يؤتيه من يشاء) ولا يشاء إلا إيتاء من يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

﴿سورة المجادلة مدنية وهى ثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قد سمع الله) قالت عائشة رضى الله عنها الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جانب البيت وأنا عنده لا أسمع وقد سمع لها وعن عمر أنه كان إذا دخلت عليه أكرمها وقال قد سمع

﴿القول فى سورة المجادلة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها (قال فيه قالت عائشة رضى الله عنها الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات الخ) قال أحمد ولقد استدل به بعضهم على عدم لزوم ظهار الذمى وليس بقوى لأنه غير المقصود عاد كلامه ۞

(قوله وقرئ لكى ولكيلا) لعله لكى يعلم ولكيلا يعلم (قوله أريد لأنسى ذكرها) بقية البيت : فكأنما ۞ تمثل لى ليلى بكل سبيل
(قوله ولمم فظاهر منها) أى طرف من الجنون أو مس من الجن أفاده الصحاح

تحاوركما إنّ الله سميع بصير * الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هنّ أمّهاتهم إن أمّهاتهم إلا اللائى
ولدنهم وإنّهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإنّ الله لعفوّ غفور * والذين يظاهرون من نسائهم
ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسّا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير * فمن

الله لها * وقرئ تحاورك أى تراجعك الكلام وتحاولك أى تسائلك وهى خولة بنت ثعلبة امرأة أوس ابن الصامت أخى عبادة رآها وهى تصلى وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فأبت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب فىّ فلما خلا سنى ونثرت بطنى أى كثر ولدى جعلنى عليه كأمّه وروى أنها قالت له إن لى صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلىّ جاعوا فقال ما عندى فى أمرك شىء وروى أنه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقاً وإنما هو أبو ولدى وأحب الناس إلىّ فقال حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله فاقتى ووجدى كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت إلى الله فنزلت (فى زوجها) فى شأنه ومعناه (إنّ الله سميع بصير) يصح أن يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر (فإن قلت) ما معنى قد فى قوله قد سمع (قلت) معناه التوقع لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل فى ذلك ما يفرج عنها (الذين يظاهرون منكم) فى منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فى الظهار لأنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم (ما هنّ أمهاتهم) وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفى قراءة ابن مسعود بأمهاتهم وزيادة الباء فى لغة من ينصب والمعنى أنّ من يقول لامرأته أنت علىّ كظهر أمى ملحق فى كلامه هذا الزوج بالأم وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين (إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم) يريد أنّ الأمهات على الحقيقة إنما هنّ الوالدات وغيرهنّ ملحقات بهنّ لدخولهنّ فى حكمهنّ فالمرضعات أمهات لأنهنّ لما أرضعن دخلن بالرضاع فى حكم الأمهات وكذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين لأنّ الله حرّم نكاحهنّ على الأمة فدخلن بذلك فى حكم الأمهات وأما الزوجات فأبعد شىء من الأمومة لأنهنّ لسن بأمهات على الحقيقة ولا بداخلات فى حكم الأمهات * فكان قول المظاهر منكراً من القول تنكره الحقيقة وتنكره الأحكام الشرعية وزوراً وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وإنّ الله لعفوّ غفور) لما سلف منه إذا تيب عنه ولم يعد إليه ثم قال (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) يعنى والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالإسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد أن يحرّر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها إلا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لأنّ المتدارك الأمر عائد إليه ومنه المثل عاد غيث على ما أفسد أى تداركه بالإصلاح والمعنى أنّ تدارك هذا القول وتلافيه بأن يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو أن يراد بما قالوا ما حرّموه

* قوله تعالى «ثم يعودون لما قالوا» (قال فيه يعنى والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول الخ) قال أحمد وهذا الوجه يلزم الكفارة لمجرّد قول الظهار فى الإسلام لا غير والقول بوجوبها بمجرّد الظهار قول مجاهد من التابعين وسفيان من الفقهاء * عاد كلامه (قال ووجه ثان ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا الخ) قال أحمد وهذا التفسير منزل على أنّ وجوب الكفارة مشروط بالعود بعد الظهار وهو القول المشهور لفقهاء الأمصار ولا يخص هذا التفسير وجهاً من وجوه العود التى ذكرها العلماء * عاد كلامه (قال ووجه ثالث وهو أن يكون المراد بما قالوه الخ) قال أحمد وهذا التفسير يقوى القول بأنّ العود الوطء نفسه لأنّ حاصله ثم يعودون للوطء وظاهر قولك عاد للوطء فعله وحمل العود على الوطء من جملة أقوال مالك رحمه الله فقد تلخص أنّ كلام المختلفين فى العود له مآخذ من هذه الآية فأما من لم يقف وجوب الكفارة عنده إلا على مجرّد الظهار فحمل العود على الظهار وتسميته عوداً والحالة هذه باعتبار أنه كان فى الجاهلية وانقطع فى الإسلام فإيقاعه بعد الإسلام عود إليه وأما من أوقفها على العود وجعل العود أن يعيد لفظ الظهار

على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ماذكرنا فى قوله تعالى ونرثه مايقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع أولمس بشهوة أونظر إلى فرجها لشهوة (ذلكم) الحكم (توعظون به) لأن الحكم

وهو قول داود فاعتبر ظاهر اللفظ وأما من حمل العود على العزم على الوطء فرأى أن العود إلى القول الأوّل عود بالتدارك لا بالتكرار وتدارك بعضه ببعضه وهل نقيضه العزم على الوطء لأن الأول امتناع منه أو العزم على الإمساك لأن العصمة تقتضى الحلّ وعدم الامتناع فيكفى محل خلاف وأما من حمله على الوطء نفسه فرأى أن المراد بالقول المقول فيه ويحمل قوله من قبل أن يتماسا أى مرّة ثانية وقد اختلف العلماء أيضاً فيما إذا قدم الوطء على الكفارة فالمذهب المشهور للعلماء أن ذلك لايسقط الكفارة ولا يوجب أخرى وذهب مجاهد إلى إيجاب أخرى به وذهبت طائفة إلى إسقاط الكفارة به أصلا ورأساً وكأن منشأ خلافهم النظر إلى قوله من قبل أن يتماسا فرآه أكثر العلماء منعاً من الوطء قبل التكفير حتى كأنه قال لاتماس حتى تكفر ورأته الطائفة المسقطة للكفارة بالوطء شرطاً فى الوجوب فلا جرم إذا مسها فقد فقد الشرط الذى هو عدم التماس فسقط الوجوب ورآه مجاهد فى إيجاب الكفارة فإذا تماسا قبل الكفارة تعددت ثم فيه نظر آخر وهو أنه ذكر عدم التماس فى كفارتى العتق والصوم وأسقطه فى كفارة الإطعام فتلقى أبو حنيفة بذلك الفرق بين الإطعام وبين الآخريين حتى أنه لو وطئ فى حال الإطعام لم يجب عليه استئناف كفارة بخلاف الآخريين فإن الوطء فى خلال كل واحدة منهما يوجب إبطالها واستئناف أخرى على أن أبا حنيفة سوى بين الثلاث فى تحريم المساس قبل حصولها كاملة كذا نقل الزمخشرى عنه ولقائل أن يقول على أبى حنيفة إذا جعلت الفائدة فى ذكر عدم التماس فى بعضها وإسقاطه من بعضها الفرق بين أنواعها فلم صرفت الفرق إلى أحد الحكمين وهو إيجاب الاستئناف بالوطء فى خلال الكفارة فى بعضها دون البعض دون الحكم الآخر وهو تحريم التماس قبل الشروع فى الكفارة فاتخصيص أحد الحكمين دون الآخر إلا نوع من التحكم وله أن يقول اتفقنا على التسوية فيه فتعين صرفه إلى الآخر هذا منتهى النظر مع أبى حنيفة ورأى القائلون بأن الطعام يبطل بتخلل الوطء فى أثنائه كالصيام أن فائدة ذكره عدم المماسة ثم إسقاطه التنبيه على التسوية بين التكفير قبل وبعد وتقريره إن ذكره مع الاثنين كذكره مع الثالث وإطلاق الثالث كإطلاق الاثنين فكأنه قال فى الجميع من قبل أن يتماسا ومن بعد وانطوى إيراد الآية على هذا الوجه على إبطال قول من قال إن الأمر يختلف بين ماقبل التماس ومابعده فيجب قبل ويسقط بعد وعلى قول من قال يجب قبل كفارة وبعد كفارتان وههنا نظر آخر فى أنه لم ذكر عدم التماس مع نوعين منها وقد كان ذكره مع واحد منها مفيداً لهذه الفائدة على التقرير المذكور والجواب عنه أن ذكره مع العتق مقتصر على إفادة تحريم الوطء قبل العتق ولا يتصور فى العتق الوطء فى أثنائه إذ لايتبعض ولا يتفرق فاحتيج إلى ذكره مع الصيام الواقع على التوالى ليفيد تحريم الوطء قبل الشروع فيه وبعد الشروع إلى التمام إذ لو لم يذكره هنا لتوهم أن الوطء إنما يحرم قبل الشروع خاصة لابعد لأنها هى الحالة التى دل عليها التقييد فى العتق فلما ذكره مع الصيام الواقع متواليا استغنى عن ذكره مع الطعام لأنه مثله فى التعدد والتوالى وإمكان الوطء فى خلاله وهذا التقرير منزل على أن العتق لايتجزأ ولا يتبعض وهذا هو المرضى وقد نقل العينى وعن ابن القاسم أن من أعتق شقصا من عبد يملك جميعه ثم أعتق بقيته عن الظهار أن ذلك يجزيه وهو خلاف أصله فى المدونة وعابه عليه أصبغ وسحنون وابنه ﴿تنبيه﴾ إن قال قائل بارتفاع التحريم بالكفارة لايخلو إما أن يكون مشروطا فيلزم أن لايرتفع التحريم بالكفارة التى تقدم على الشروع فيها مساس وإن لم يكن مشروطا لزم ارتفاع التحريم بالكفارة التى تخللها المساس وكلاهما غير مقول به عندكم * فالجواب أن المساس مناف لصحة الكفارة واعتبارها فى رفع التحريم فإن وقع قبل الشروع فى الكفارة تعذر الحكم ببطلان الكفارة لأن المحل لم يوجد وتعذر ذلك لايبطل الحكم ككونه منافيا أما إن وقع فى أثنائها فالمحل المحكوم فيه بعدم الصحة قائم فوجب إعمال المنافى وهذا كالحدث مناف لصحة الصلاة فإن وقع فى أثنائها أثر فى إبطالها والله تعالى الموفق للصواب

(قوله أو نظر إلى فرجها لشهوة) عبارة النسفى بشهوة

لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ

بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (فإن قلت) هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ (قلت) نعم إذا وضع مكان أنت عضواً منها يعبر به عن الجملة كالرأس والوجه والرقبة والفرج ومكان الظهر عضواً آخر يحرم النظر إليه من الأم كالبطن والفخذ أو مكان الأم ذات رحم محرم منه من نسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول أنت علىّ كظهر أختى من الرضاع أو عمتى من النسب أو امرأة ابنى أو أبى أو أم امرأتى أو بنتها فهو مظاهر وهو مذهب أبى حنيفة وأصحابه وعن الحسن والنخعى والزهرى والأوزاعى والثورى وغيرهم نحوه وقال الشافعى لا يكون الظهار إلا بالأم وحدها وهو قول قتادة والشعبى وعن الشعبى لم ينس الله أن يذكر البنات والأخوات والعمات والخالات إذ أخبر أن الظهار إنما يكون بالأمهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا (فإن قلت) فإذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمرأة أن ترافعه (قلت) لها ذلك وعلى القاضى أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلا كفارة الظهار وحدها لأنه يضربها فى ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم إيفاء حقها (فإن قلت) فإن مسّ قبل أن يكفر (قلت) عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روى أن سلمة بن صخر البياضى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتى ثم أبصرت خلخالها فى ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه الصلاة والسلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر (فإن قلت) أى رقبة تجزى فى كفارة الظهار (قلت) المسلمة والكافرة جميعا لأنها فى الآية مطلقة وعند الشافعى لا تجزى إلا المؤمنة لقوله تعالى فى كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزى أم الولد والمدبر والمكاتب الذى أدى شيئا فإن لم يؤد شيئا جاز وعند الشافعى لا يجوز (فإن قلت) فإن أعتق بعض الرقبة أو صام بعض الصيام ثم مس (قلت) عليه أن يستأنف نهارا مس أو ليلا ناسيا أو عامدا عند أبى حنيفة وعند أبى يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وإن كان المس يفسد الصوم استقبل وإلا بنى (فإن قلت) كم يعطى المسكين فى الإطعام (قلت) نصف صاع من بر أو صاعا من غيره عند أبى حنيفة وعند الشافعى مدا من طعام بلده الذى يقتات فيه (فإن قلت) ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالإطعام كما ذكر عند الكفارتين (قلت) اختلف فى ذلك فعند أبى حنيفة أنه لا فرق بين الكفارات الثلاث فى وجوب تقديمها على المساس وإنما ترك ذكره عند الإطعام دلالة على أنه إذا وجد فى خلال الإطعام لم يستأنف كما يستأنف الصوم إذا وقع فى خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على أن التكفير قبله وبعده سواء (فإن قلت) الضمير فى أن يتماسا إلام يرجع (قلت) إلى مادلّ عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها (ذلك) البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها لتصدقوا (بالله ورسوله) فى العمل بشرائعه التى شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك حدود الله) التى لا يجوز تعديها (وللكافرين) الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها (عذاب أليم ۝ يحادون) يعادون ويشاقون (كبتوا) أخذوا وأهلكوا (كما كبت) من قبلهم من أعداء الرسل قيل أريد كبتهم يوم الخندق (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بلهم أو بمهين أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم (جميعا) كلهم لا يترك منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين فى حال واحدة كما تقول حى جميع (فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزى على رؤس الأشهاد (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يفته منه شيء (ونسوه) لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصى وإنما تحفظ معظمات الأمور (ما يكون) من كان التامة وقرئ بالياء والتاء

مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ

والياء على أنّ النجوى تأنيثها غير حقيقي ومن فاصلة أو على أنّ المعنى مايكون شيء من النجوى ۞ والنجوى التناجي فلاتخلو إما أن تكون مضافة إلى ثلاثة أى من نجوى ثلاثة نفر أو موصوفة بها أى من أهل نجوى ثلاثة لحذف الأهل أو جعلوا نجوى فى أنفسهم مبالغة كقوله تعالى خلصوا نجيا وقرأ ابن أبى عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال بإضمار يتناجون لأنّ نجوى يدل عليه أو على تأويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه (فإن قلت) ماالداعى إلى تخصيص الثلاثة والخمسة (قلت) فيه وجهان أحدهما أنّ قوما من المنافقين تحلقوا للتناجى مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل مايتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك (ولاأدنى من) عدديهم (ولاأكثر إلا) والله معهم يسمع مايقولون فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنها نزلت فى ربيعة وحبيب ابنى عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم أترى أنّ الله يعلم مانقول فقال الآخر يعلم بعضا ولايعلم بعضا وقال الثالث إن كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لأنّ من علم بعض الأشياء بغير سبب فقد علمها كلها لأن كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثانى أنه قصد أن يذكر ماجرت عليه العادة من أعداد أهل النجوى والمتخالين للشورى والمندبون لذلك ليسوا بكل أحد وإنماهم طائفة مجتباة من أولى النهى والأحلام ورهط من أهل الرأى التجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا إلى خمسة إلى ستة إلى مااقتضته الحال وحكم الاستصواب ألاترى إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كيف ترك الأمر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها إلى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولاأدنى من ذلك فدلّ على الاثنين والأربعة وقال ولا أكثر فدلّ على مايلى هذا العدد ويقاربه وفى مصحف عبدالله إلاالله رابعهم ولاأربعة إلاالله خامسهم ولاخمسة إلاالله سادسهم ولاأقل من ذلك ولاأكثر إلاالله معهم إذا انتجوا وقرئ ولاأدنى من ذلك ولاأكثر بالنصب على أن لالنفى الجنس ويجوز أن يكون ولاأكثر بالرفع معطوفا على محل لامع أدنى كقولك لاحول ولاقوة إلا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لاحول ولا قوة إلا بالله وأن يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كأنه قيل مايكون أدنى ولا أكثر إلاهو معهم ويجوز أن يكونا مجرورين عطفاً على نجوى كأنه قيل مايكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم وقرئ ولا أكبر بالباء ومعنى كونه معهم أنه يعلم مايتناجون به ولايخفى عليه ماهم فيه فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة ۞ وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف ۞ كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيمابينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته ۞ وقرئ ينتجون بالإثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول (حيوك بمالم يحيك به الله) يعنى أنهم يقولون فى تحيتك السام عليك يامحمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويأيها الرسول ويأيها النبى (لولايعذبنا الله بما نقول) كانوا يقولون ماله إن كان نبيا لايدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذابا (ياأيها الذين آمنوا) خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ويجوز

(قوله والمندبون لذلك) لعل أصله المنتدبون فأدغم (قوله ويجوز أن يكونا مجرورين) على قراءة أكثر بفتح الراء

الذى إليه تحشرون * إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون * يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون

أن يكون للمؤمنين أى إذا تناجيتم فلا تتشبهوا بأولئك فى تناجيهم بالشر (وتناجوا بالبر والتقوى) وعن النبى صلى الله عليه وسلم إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه وروى دون الثالث * وقرئ فلا تناجوا وعن ابن مسعود إذا تنجيتم فلا تنتجوا (إنما النجوى) اللام إشارة إلى النجوى بالإثم والعدوان بدليل قوله تعالى (ليحزن الذين آمنوا) والمعنى أن الشيطان يزينها لهم فكأنها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم (وليس) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيئا إلا بإذن الله) (فإن قلت) كيف لا يضرهم الشيطان أو الحزن إلا بإذن الله (قلت) كانوا يوهمون المؤمنين فى نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان أو الحزن بذلك الموهم إلا بإذن الله أى بمشيئته وهو أن يقضى الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة * وقرئ ليحزن وليحزن (تفسحوا فى المجالس) توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم أفسح عنى أى تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال وقرئ فى المجالس قيل كان الرجل يأتى الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ فى المجلس بفتح اللام وهو الجلوس أى توسعوا فى جلوسكم ولا تتضايقوا فيه (يفسح الله لكم) مطلق فى كل ما يبتغى الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (انشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله إذا أمرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير إذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا (يرفع الله) المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله والعالمين منهم خاصة (درجات * بما تعملون) قرئ بالتاء والياء عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه كان إذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله وعن ابن عباس خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وقال عليه السلام أوحى الله إلى إبراهيم يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى أى شىء أدرك من فاته العلم وأى شىء فات من أدرك العلم وعن الأحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل ما يصير وعن الزبيرى العلم ذكر

قوله تعالى «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» (قال فيه تعميم ثم تخصيص للعلماء الخ) قال أحمد فى الجزاء برفع الدرجات ههنا مناسبة للعمل لأن المأمور به تفسيح المجلس كيلا يتنافسوا فى القرب من المكان الرفيع حوله عليه الصلاة والسلام فيتضايقوا فلما كان الممتثل لذلك يخفض نفسه عما يتنافس فيه من الرفعة امتثالا وتواضعا جوزى على تواضعه برفع الدرجات كقوله من تواضع لله رفعه الله ثم لما علم أن أهل العلم بحيث يستوجبون عند أنفسهم وعند الناس ارتفاع مجالسهم خصهم بالذكر عند الجزاء ليسهل عليهم ترك ما لهم من الرفعة فى المجلس تواضعا لله تعالى عاد كلامه (ثم ذكر فى فضل العلم فصلا أنقله بعينه) قال روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان إذا تلا هذه الآية

(قوله حضر الجواد المضمر) الذى فى الصحاح أحضر الفرس إحضارا واحتضر أى عدا واستحضرته أعديته وفرس محضير أى كثير العدو اه (قوله وكل عز لم يوطد بعلم) فى الصحاح وطدت الشىء أى أثبته وثقلته (قوله وعن الزبيرى العلم ذكر) قوله الزبيرى

خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا

فلا يحبه إلا ذكورة الرجال (بين يدى نجواكم) استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته (ذلكم) التقديم (خير لكم) فى دينكم (وأطهر) لأن الصدقة طهرة روى أن الناس أكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريدن حتى أملوه وأبرموه فأريد أن يكفوا عن ذلك فأمروا بأن من أراد أن يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال على رضى الله عنه لما نزلت دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول فى دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة أو شعيرة قال إنك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا أما الفقير فلعسرته وأما الغنى فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان إلا ساعة من نهار وعن على رضى الله عنه إن فى كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبى تصدق به فى عشر كلمات سألهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر كان لعلى ثلاث لو كانت لى واحدة منهن كانت أحب إلى من حمر النعم تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس هى منسوخة بالآية التى بعدها وقيل هى منسوخة بالزكاة (أأشفقتم) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الإنفاق الذى تكرهونه وأن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (فإذ لم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم و (تاب الله عليكم) وعذركم ورخص لكم فى أن لا تفعلوه ۞ فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (بما تعملون) قرئ بالتاء والياء ۞ كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم فى قوله تعالى من لعنه الله وغضب الله ويناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين (ما هم منكم) يا مسلمون (ولا منهم) ولا من اليهود كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) أى يقولون والله إنا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذى هو ادعاء الإسلام (وهم يعلمون) أن المحلوف عليه كذب بحت (فإن قلت) فما فائدة قولهم وهم يعلمون (قلت) الكذب أن يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر أو لم يعلم فالمعنى أنهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبدالله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله

قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعنه عليه الصلاة والسلام بين العالم والعابد مائة درجة ما بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه الصلاة والسلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة بين النبوة والشهادة بشهادة النبى عليه الصلاة والسلام وعن ابن عباس خير سليمان عليه الصلاة والسلام بين العلم والملك والمال فاختار العلم فأعطاه الله الملك والمال تبعاله وفى الخبر أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى أى شىء أدرك من فاته العلم وأى شىء فات من أدرك العلم وعن الأحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل ما يصير وعن الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال والله أعلم

هو أبو أحمد محمد بن عبدالله بن الزبير مولى لبنى أسد وليس من ولد الزبير بن العوام كذا فى الهداية والإرشاد اه من هامش (قوله حتى أملوه وأبرموه) فى الصحاح أبرمه أى أمله وأضجره اه (قوله كمن يحلف بالغموس) فى الصحاح الأمر الغموس الشديد واليمين الغموس التى تغمس صاحبها فى الإثم

شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۝ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۝ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود فبينا رسول الله فى حجرة من حجره إذ قال لأصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله مافعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فنزلت (عذابا شديدا) نوعا من العذاب مفاقما (إنهم ساء ما كانوا يعملون) يعنى أنهم كانوا فى الزمان الماضى المتطاول على سوء العمل مصرين عليه أو هى حكاية مايقال لهم فى الآخرة ۝ وقرئ إيمانهم بالكسر أى اتخذوا أيمانهم التى حلفوا بها أو أيمانهم الذى أظهروه (جنة) أى سترة يتسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم (فصدوا) الناس فى خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول فى الإسلام ويضعفون أمر المسلمين عندهم ۝ وإنما وعدهم الله العذاب المهين المخزى لكفرهم وصدهم كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (من الله) من عذاب الله (شيئا) قليلا من الاغناء روى أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا (فيحلفون) لله تعالى على أنهم مسلمون فى الآخرة (كما يحلفون لكم) فى الدنيا على ذلك (ويحسبون أنهم على شىء) من النفع يعنى ليس العجب من حلفهم لكم فإنكم بشر تخفى عليكم السرائر وأن لهم نفعا فى ذلك دفعا عن أرواحهم واستجرار فوائد دنيوية وأنهم يفعلونه فى دار لايضطرون فيها إلى علم مايوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار إلى علم ماأنذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل فى نفاقهم ومرونهم عليه وأن ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لايضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء فى كذبهم فى الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى فى هذه الآية وفى قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ونحو حسبانهم أنهم على شىء من النفع إذا حلفوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبان أن الإيمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على أفواههم (ألا إنهم هم الكاذبون) يعنى أنهم الغاية التى لامطمح وراءها فى قول الكذب حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم) استولى عليهم من حاذ الحمار العانة إذا جمعها وساقها غالبا لها ومنه كان أحوذيا نسيج وحده وهو أحد ماجاء على الأصل نحو استصوب واستنوق أى ملكهم (الشيطان) لطاعتهم له فى كل مايريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه (فأنساهم) أن يذكروا الله أصلا لابقلوبهم ولابألسنتهم ۝ قال أبو عبيدة حزب الشيطان جنده (فى الأذلين) فى جملة من هو أذل خلق الله لاترى أحدا أذل منهم (كتب الله) فى اللوح (لأغلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف أو بأحدهما (لاتجد قوما) من باب التخييل خيل أن من الممتنع المحال أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به أنه لاينبغى أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى النهى عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب فى مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد

(قوله من حاذ الحمار العانة) القطيع من حمر الوحش كما فى الصحاح

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝

سورة الحشر مدنية

وآياتها ٢٤ نزلت بعد البينة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ

ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم) وبقوله أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله فلا تجد شيأ أدخل فى الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه بل هو الإخلاص بعينه (كتب فى قلوبهم الإيمان) أثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم (وأيدهم بروح منه) بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أى بروح من الإيمان على أنه فى نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثورى أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبدالعزيز بن أبى رواد أنه لقيه المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم لاتجعل لفاجر ولالفاسق عندى نعمة فإنى وجدت فيما أوحيت إلى لاتجد قوما وروى أنها نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وذلك أن أباقحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله أوفعلته قال نعم قال لاتعد قال والله لوكان السيف قريبا منى لقتلته وقيل فى أبى عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله الجراح يوم أحد وفى أبى بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز وقال لرسول الله دعنى أكن فى الرحلة الأولى قال متعنا بنفسك يا أبا بكر أماتعلم أنك عندى بمنزلة سمعى وبصرى وفى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد وفى عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفى على وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

﴿سورة الحشر : مدنية : وهى أربع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لاترد له راية فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف فى أربعين راكبا إلى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الأنصارى فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب إلينا من ذاك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبدالله بن أبى المنافق وأصحابه إليهم لاتخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لانخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ماشاؤا من متاعهم فجلوا إلى الشام إلى أريحا وأذرعات إلا أهل بيتين منهم آل

(قوله دعنى أكن فى الرعلة) القطعة من الخيل كما فى الصحاح (قوله فدربوا على الأزقة) أى ضيقوا أفواهها بالخشب والحجارة كما يؤخذ مما سيأتى فى تخريبهم بيوتهم بأيديهم وفى الصحاح الدرب المضيق فى الجبل

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَاظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوٓا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا يَـٰٓأُولِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ۝ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ

أبي الحقيق وآل حي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة ۝ اللام فى لأول الحشر تتعلق بأخرج وهي اللام فى قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقولك جئته لوقت كذا والمعنى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لأن المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك أن المحشر ههنا يعنى الشام فليقرأ هذه الآية وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ظننتم أن يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله (فأتاهم) أمر الله (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه وذلك مما أضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب والهمم أن يوافقوا المؤمنين فى تخريب بيوتهم ويعينوا على أنفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن فى حسبانهم ومنه أتاهم الهلاك (فإن قلت) أى فرق بين قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذى جاء عليه (قلت) فى تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لأن وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى معازتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم ۝ وقرئ فآتاهم الله أى فآتاهم الهلاك ۝ والرعب الخوف الذى يرعب الصدر أى يملؤه ۝ وقذفه إثباته وركزه ومنه قالوا فى صفة الأسد مقذف كأنما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل أجزائه ۝ وقرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والإخراب الإفساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وأن لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذى دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وأن ينقلوا معهم ما كان فى أبنيتهم من جيد الخشب والساج المليح وأما المؤمنون فداعيهم إزالة متحصنهم ومتمنعهم وأن يتسع لهم مجال الحرب (فإن قلت) ما معنى تخريبهم لها بأيدى المؤمنين (قلت) لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم إياه (فاعتبروا) بما دبر الله ويسر من أمر إخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يورثهم الله أرضهم وأموالهم بغير قتال فكان كما قال ۝ يعنى أن الله قد عزم على تطهير أرض المدينة منهم وإراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم فلولا أنه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه إلى اختياره أنه أشق عليهم من الموت (لعذبهم

﴿القول فى سـورة الحشر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر (قال فيه اللام فى قوله لأول الحشر كاللام فى قوله قدمت لحياتى) قال أحمد كأنه يريد أنها اللام التى تصحب التاريخ كقوله

(قوله أو يطمع فى معازتهم) أى مغالبتهم كما فى الصحاح (قوله من استئصال شأفتهم) فى الصحاح الشأفة قرحة تخرج من أسفل القدم فتكوى فتذهب يقال فى المثل استأصل الله شأفته أى أذهبه الله كما أذهب تلك القرحة بالكى اه

ٱلنَّارِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ

فى الدنيا) بالقتل كما فعل بإخوانهم بنى قريظة (ولهم) سواء أجلوا أو قتلوا (عذاب النار) يعنى إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة (من لينة) بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قال أى شىء قطعتم وأنث الضمير الراجع إلى ما فى قوله (أو تركتموها) لأنه فى معنى اللينة واللينة النخلة من الألوان وهى ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما أجود النخيل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة

كأن قتودى فوقها عش طائر ۝ على لينة سوقاء تهفو جنوبها

وجمعها لين ۝ وقرئ قوما على أصلها وفيه وجهان أنه جمع أصل كرهن ورهن أو اكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على أصوله ذهابا إلى لفظ ما (فبإذن الله) فقطعها بإذن الله وأمره (وليخزى الفاسقين) وليذل اليهود ويغيظهم إذن فى قطعها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر أن تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان فى أنفس المؤمنين من ذلك شىء فنزلت يعنى أن الله أذن لهم فى قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة إذا رأيتموهم يتحكمون فى أموالكم كيف أحبوا ويتصرفون فيها ما شاؤا واتفق العلماء أن حصون الكفرة وديارهم لا بأس بأن تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك أشجارهم لا بأس بقلعها مثمرة كانت أو غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال (فإن قلت) لم خصت اللينة بالقطع (قلت) إن كانت من الألوان فليستبقوا لأنفسهم العجوة والبرنية وإن كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد وأشق وروى أن رجلين كانا يقطعان أحدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب (أفاء الله على رسوله) جعله له فيأ خاصة ۝ والإيجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى الإفاضة من عرفات ليس البر بإيجاف الخيل ولا إيضاع الإبل على هينتكم ومعنى (فما أوجفتم عليه) فما أوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه وإنما مشيتم إليه على أرجلكم والمعنى أن ما خول الله رسوله من أموال بنى النضير شىء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما فى أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء يعنى أنه لا يقسم قسمة الغنائم التى قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت ۝ لم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهى منها غير أجنبية عنها ۝ بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الأقسام الخمسة ۝ والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما

كتبت لعام كذا ولشهر كذا قوله تعالى «ما قطعتم من لينة» (ذكر فيه تفسيرين أحدهما أنه النخل ما عدا العجرة والبرنى وهما خير النخل الخ) قال أحمد والظاهر أن الإذن عام فى القطع والترك لأنه جواب الشرط المضمر لهما جميعا ويكون التعليل بإجزاء الفاسقين لهما جميعا وأن القطع يحسرهم على ذهابها والترك يحسرهم على بقائها المسلمين ينتفعون بها فهم فى

(قوله كأن قتودى فوقها عش طائر) أى أخشاب الرحل فوق الناقة والسوقاء طويلة الساق وتهفوا أى تخفق وتضطرب أفاده الصحاح (قوله ولا إيضاع الإبل) فى الصحاح وضع البعير وغيره أى أسرع فى سيره وأوضعه راكبه أى جعله مسرعا فى سيره

مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ لِلْفُقَرَاءِ

مايدول للإنسان أي يدور من الجد يقال دالت له الدولة وأديل لفلان ومعنى قوله تعالى (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) كيلا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدأ بين الأغنياء يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لأنهم أهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عزيز والمعنى كيلا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعنى كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول اى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون إمساكه تداولا بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله تعالى وإن كان ذو عسرة يعنى كيلا يقع دولة جاهلية ولينقطع أثرها او كيلا يكون تداول له بينهم او كيلا يكون شيء متعاورا بينهم غير مخرج إلى الفقراء (وما آتاكم الرسول) من قسمة غنيمة أو فيء (فخذوه وما نهاكم) عن أخذه منها (فانتهوا) عنه ولا تتبعه أنفسكم (واتقوا الله) أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (إن الله شديد العقاب) لمن خالف رسوله والأجود أن يكون عاما فى كل ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر الفيء داخل فى عمومه وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه لقى رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ علىّ فى هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه (للفقراء) بدل من قوله لذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الإبدال من الله والرسول والمعطوف عليهما وإن كان

حسرتين من الأمرين جميعا ۞ قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم (قال فيه هو بدل من قوله لذى القربى وما بعده والذى منع الإبدال من الله والرسول الخ) قال أحمد مذهب أبي حنيفة ان استحقاق ذوى القربى لسهمهم من الفيء موقوف على الفقراء حتى لا يستحقه أغنياؤهم وقد أغلظ الشافعى رضى الله عنه فيما نقله عنه إمام الحرمين الرد على هذا المذهب بأن الله تعالى علق الاستحقاق بالقرابة ولم يشترط الحاجة وعدم اعتبار القرابة مضادة محادة واعتذر إمام الحرمين لأبى حنيفة بأن الصدقات لما حرمت عليهم كان فائدة ذكرهم فى خمس الفيء والغنيمة أنه لا يمنع صرف ذلك إليهم امتناع صرف الصدقات ثم أتبع هذا العذر بأن قال لا ينبغى أن يعتبر به فإن صيغة الآية ناصة على الاستحقاق لهم تشريفا لهم وتنبيها على عظم أقدارهم فمن حمل ذلك على جواز الصرف إليهم مع معارضة هذا الجواز بجواز حرمانهم فقد عطل فحوى الآية ثم استعظم الإمام وقع ذلك عليهم لأنهم يذهبون إلى اشتراط الإيمان فى رقبة الظهار زيادة على النص فيأبون فى إثبات ذلك بالقياس لأنه يستنتج وليس من شأن النبوت بالقياس قال فكذلك يلزمهم أن يعتقدوا ان اشتراط الفقر فى القرابة واشتراط الحاجة لقرب ماذكروه بغرض القرب فأما وإن أصلهم المخصوصون من نسب الرسول عليه الصلاة والسلام والنابتون من شجرته كالعجمة فلا يبقى مع هذا لمذهبهم وجه انتهى كلام الإمام وإنما أوردته ليعلم أن معارضته لأبى حنيفة على أن اشتراط الحاجة عند أبي حنيفة مستند إلى قياس أو نحوه من الأسباب الخارجة عن الآية فلذلك لزمه أن تكون زيادة على النص فأما وقد تلقى أبو حنيفة اعتبار الحاجة من تقييد هذا البدل المذكور فى الآية فإنما يسلك معه فى واد غير هذا فيقول هو بدل من المساكين لا غير وتقريره أنه سبحانه أراد أن يصف المساكين بصفات تؤكد استحقاقهم وتحمل الأغنياء على إيثارهم وأن لا يجدوا فى صدورهم حاجة مما أوتوا فلما قصد ذلك وقد فصل بين ذكرهم وبين ما يقصد من ذكر صفاتهم بقوله كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم إلى قوله شديد العقاب طرى ذكرهم ليكون توطئة للصفات المتتالية بعده فذكر بصفة أخرى مناسبة للصفة الأولى مبدلة منها وهى الفقر لتشهد النظرية على فائدة الجمع لهم بين صفتى المسكنة والفقر ثم تليت صفاتهم على أثر ذلك وهى إخراجهم من ديارهم وأموالهم مهاجرين وابتغاؤهم الفضل والرضوان من الله ونصرهم الله ورسوله وصدقهم فى نياتهم إلى آخر ذلك فهذا هو الذى يرشد إليه السياق مؤيدا بالأصل فإن ذوى القربى ذكروا بصفة الإطلاق فالأصل بقاؤهم على ذلك حتى يتحقق أنهم مرادون بالتقييد وما ذكرناه من صرف ذلك إلى المساكين يكفى فى إقامة

الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ۝ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ
فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ

المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الله عزّ وجل أخرج رسوله من الفقراء فى قوله وينصرون الله ورسوله وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وأنّ الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عزّ وجل (أولئك هم الصادقون) فى إيمانهم وجهادهم (والذين تبوّؤا) معطوف على المهاجرين وهم الأنصار ۝ (فإن قلت) ما معنى عطف الإيمان على الدار ولا يقال تبوّؤا الإيمان (قلت) معناه تبوّؤا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا أو وجعلوا الإيمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف اليه مقامه أو سمى المدينة لأنها دار الهجرة ومكان ظهور الإيمان بالإيمان (من قبلهم) من قبل المهاجرين لأنهم سبقوهم فى تبوؤ دار الهجرة والإيمان وقيل من قبل هجرتهم (ولا يجدون) ولا يعلمون فى أنفسهم (حاجة مما أوتوا) أى طلب محتاج اليه مما أوتى المهاجرون من الفىء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك وأعطاه من ماله حاجته يعنى أنّ نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح إلى شىء منه يحتاج اليه (ولو كان بهم خصاصة) أى خلة وأصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى موضع الحال أى مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وقال لهم إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال

يمارس نفسا بين جنبيه كزة ۝ إذا هم بالمعروف قالت له مهلا

وقد أضيف إلى النفس لأنه غريزة فيها وأما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى وأحضرت الأنفس الشح (ومن يوق شح نفسه) ومن غلب ما أمرته به منه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه (فأولئك هم المفلحون) الظافرون بما أرادوا وقرئ ومن يوق (والذين جاؤا من بعدهم) عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون بإحسان (غلا) وقرئ غمرا وهما الحقد (لإخوانهم) للذين بينهم وبينهم أخوة الكفر ولأنهم كانوا يوالونهم ويؤاخونهم و كانوا

وزن الكلام فيبقى ذوو القربى على أصل الإطلاق وتلك قاعدة لا يسع الحنفية مدافعتها فإنهم يرون الاستثناء المتعقب للجمل يختص بالجملة الأخيرة لأن عوده اليها يقيم وزن الكلام ويبقى ما تقدمهن على الأصل ولا فرق بين التعقيب بالاستثناء والبدل وكل ما سوى هذا مع أنه لو جعل بدلا من ذوى القربى مع ما بعده لم يكن إبداله من ذوى القربى إلا بدل بعض من كل فإنّ ذوى القربى منقسمون إلى فقراء وأغنياء ولم يكن أيضا من المساكين إلا بدلا للشىء من الشىء وهما لعين واحدة فيلزم أن يكون هذا البدل محسوسا بالنوعين المذكورين فى حالة واحدة وذلك متعذر لما بين النوعين من الاختلاف والتباين

كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ۝ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۝ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ

معهم على المؤمنين فى السر (ولانطيع فيكم) فى قتالكم أحداً من رسول الله والمسلمين إن حملنا عليه أوفى خذلانكم وإخلاف ماوعدناكم من النصرة (لكاذبون) أى فى مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيوب ۝ (فإن قلت) كيف قيل (ولئن نصروهم) بعد الإخبار بأنهم لاينصرونهم (قلت) معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم مايكون فهو يعلم مالا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لاينصرون بعد ذلك أى يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لاينفعهم نصرة المنافقين (رهبة) مصدر رهب المبنى للمفعول كأنه قيل أشد مرهوبية وقوله (فى صدورهم) دلالة على نفاقهم يعنى أنهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وأنتم أهيب فى صدورهم من الله (فإن قلت) كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم أشد (قلت) معناه أن رهبتهم فى السر منكم أشد من رهبتهم من الله التى يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز أن يريد أن اليهود يخافونكم فى صدورهم أشد من خوفهم من الله لأنهم كانوا قوما أولى بأس ونجدة فكانوا يتشجعون لهم مع إضمار الخيفة فى صدورهم (لايفقهون) لايعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته (لايقاتلونكم) لايقدرون على مقاتلتكم (جميعا) مجتمعين متساندين يعنى اليهود والمنافقين (إلا) كائنين (فى قرى محصنة) بالخنادق والدروب (أو من وراء جدر) دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب فى قلوبهم وأن تأييدالله تعالى ونصرته معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وجدروهما الجدار (بأسهم بينهم شديد) يعنى أن البأس الشديد الذى يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لأن الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله (تحسبهم جميعا) مجتمعين ذوى ألفة واتحاد (وقلوبهم شتى) متفرقة لاألفة بينها يعنى أن بينهم إحنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (قوم لايعقلون) أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم (كمثل الذين من قبلهم) أى مثلهم كمثل أهل بدر فى زمان قريب ۝ (فإن قلت) بم انتصب (قريبا) (قلت) بمثل على كوجود مثل أهل بدر قريبا (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيئ العاقبة يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة عذاب النار ۝ مثل المنافقين فى إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم إياهم النصر ثم متاركتهم لهم وإخلافهم (كمثل الشيطان) إذا استغوى الإنسان بكيده ثم تبرأ منه فى العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لاغالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم إلى قوله إنى برىء منكم وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على أنه خبران وفى النار لغو وعلى القراءة

وكل منهما يتقاضى مايأباه الآخر فهذا القدر كاف إن شاء الله تعالى وعليه أعرب الزجاج الآية لجعله بدلا من المساكين

(قوله دون أن يصحروا لكم) فى الصحاح أصحر الرجل خرج إلى الصحراء اهـ (قوله ويعين على أرواحهم) كذا عبارة النسفى أيضا (قوله إذا استغوى الإنسان) لعله إذ كعبارة النسفى

اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين ﴿ فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاؤا الظالمين ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴿ لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من

المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال * وقرئ أنا برىء وعاقبتهما بالرفع * كرر الأمر بالتقوى تأكيدا واتقوا الله فى أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل واتقوا الله فى ترك المعاصى لأنه قرن بما يجرى مجرى الوعيد * والغد يوم القيامة سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى كأن لم تغن بالأمس يريد تقريب الزمان الماضى وقيل عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد (فإن قلت) مامعنى تنكير النفس والغد (قلت) أما تنكير النفس فاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة فى ذلك وأما تنكير الغد فلتعظيمه وإبهام أمره كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ، ربحنا ما قدمنا ، خسرنا ما خلفنا (نسوا الله) نسوا حقه فجعلهم ناسين حق أنفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده أو فأراهم يوم القيامة من الأهوال ما نسوا فيه أنفسهم كقوله تعالى لا يرتد إليهم طرفهم * هذا تنبيه للناس وإيذان لهم بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز مع أصحاب الجنة فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الأبوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدل أصحاب الشافعى رضى الله عنه بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر * هذا تمثيل وتخييل كما مر فى قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة وقد دل عليه قوله وتلك الأمثال نضربها للناس والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره * وقرئ مصدعا

خاصة والله تعالى الموفق للصواب * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد (قال فيه سمى يوم القيامة غدا تقريبا له الخ) قال أحمد وقد قيل فى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا حتى قيل إنه من عكس الكلام الذى يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه كقوله ربما يود الذين كفروا فمعنى رب ههنا هو معنى كم وأبلغ منه قول القائل * قد أترك القرن مصفرا أنامله * إلا أن الزمخشرى فر من هذا المعنى لأن الواقع قلة النفوس الناظرة فى أمر المعاد فنزله على معنى يطابق الواقع ويمكن أن يلاحظ الأمر فيسوغ حمله على التكثير للنفوس المأمورات بالنظر فى المعاد وأنه ما من نفس إلا ومن حقها أن تمتثل هذا الأمر وهو نظر حسن فإن الفعل المسند إلى النفس ههنا ليس وقوع النظر حتى يستقل وإنما هو طلب النظر وهو عام التعلق بكل نفس والإنصاف أن ما ذكره الزمخشرى أمكن وأحسن والله الموفق * قوله تعالى نسوا الله فأنساهم أنفسهم (قال فيه جعلهم ناسين بالخذلان) قال أحمد بل خلق فيهم النسيان * عاد كلامه (قال وقوله لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم وتهالكهم على الشهوات الخ) * قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله (قال فيه هذا تخييل وتمثيل كما تقدم الخ) قال أحمد وهذا مما تقدم إنكارى عليه فيه أفلا كان يتأدب بأدب الآية حيث سمى الله هذا مثلا ولم يقل وتلك الخيالات نضربها للناس ألهمنا الله حسن الأدب معه والله الموفق

خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞

سورة الممتحنة مدنية : وآياتها ١٣ نزلت بعد الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ

على الإدغام (وتلك الأمثال) إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله فى مواضع من التنزيل (الغيب) المعدوم (والشهادة) الموجود المدرك كأنه يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة (القدوس) بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ فى النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح و (السلام) بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة فى وصف كونه سليما من النقائص أو فى إعطائه السلامة (والمؤمن) واهب الأمن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول فى قوم موسى من قوله تعالى واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين و (المهيمن) الرقيب على كل شىء الحافظ له مفيعل من الأمن إلا أن همزته قلبت هاء و (الجبار) القاهر الذى جبر خلقه على ما أراد أى أجبره و (المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده و (الخالق) المقدر لما يوجده (والبارئ) المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة و (المصور) الممثل وعن حاطب بن أبى بلتعة أنه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء أى الذى يبرأ المصور أى يميز ما يصوره بتفاوت الهيآت وقرأ ابن مسعود وما فى الأرض عن أبى هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الأعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد علىّ فأعدت عليه فأعاد علىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

﴿سورة الممتحنة : مدنية : وهى ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ روى أن مولاة لأبى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الأهل والموالى والعشيرة وقد ذهبت الموالى تعنى قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بنى عبدالمطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا إلى أهل مكة نسخته من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة اعلموا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه

(قوله مدنية وهى ثلاث عشرة آية) لفظ مكية ومدنية ساقط من النسخة المنقول منها ولعله من سهو الناسخ وفى المصاحف وفى كتب التفسير أنها مدنية ولذا وضعناه فى هذه النسخة كما ترى ثم رأيت فى بعض المصاحف أنها مكية لكن آياتها وسبب نزولها يفيدان أنها مدنية فليحرر

وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۞ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا

منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه وقال أخرجي الكتاب أو تضعي رأسك فأخرجته من عقاص شعرها وروى أن رسول الله صلى الله عليه أمن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة هي أحدهم فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يارسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وروى عزيزاً فيهم أي غريباً ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيري فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يداً وقد علمت أن الله تعالى ينزل عليهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فنزلت ۞ عدى اتخذ إلى مفعوليه وهما عدوى أولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد (فإن قلت) (تلقون) بم يتعلق (قلت) يجوز أن يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وبأولياء صفة له ويجوز أن يكون استئنافا (فإن قلت) إذا جعلته صفة لأولياء وقد جرى على غير من هو له فأين الضمير البارز وهو قولك تلقون إليهم أنتم بالمودة (قلت) ذلك إنما اشترطوه في الأسماء دون الأفعال لو قيل أولياء ملقين إليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والإلقاء عبارة عن إيصال المودة والإفضاء بها إليهم يقال ألقى إليه خراشي صدره وأفضى إليه بقشوره ۞ والباء في (بالمودة) إما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وإما ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف معناه تلقون إليهم أخبار رسول الله بسبب المودة التي بينكم وبينهم ۞ وكذلك قوله تسرون إليهم بالمودة أي تفضون إليهم بمودتكم سرا أو تسرون إليهم أسرار رسول الله بسبب المودة (فإن قلت) (وقد كفروا) حال مماذا (قلت) إما من لا تتخذوا وإما من تلقون أي لا تتولوهم أو توادونهم وهذه حالهم و(يخرجون) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم أو حال من كفروا و (أن تؤمنوا) تعليل ليخرجون أي يخرجونكم لإيمانكم و(إن كنتم خرجتم) متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ماقبله عليه و(تسرون) استئناف ومعناه أي طائل لكم في إسراركم وقد علمتم أن الإخفاء والإعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما ۞ وأنا مطلع رسولي على ماتسرون (ومن يفعله) ومن يفعل هذا الإسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب وقرأ الجحدري لما جاءكم أي كفروا لأجل ما جاءكم بمعنى أن ما كان يجب أن يكون سبب إيمانهم جعلوه سببا لكفرهم (إن يثقفوكم) إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصي العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتال والشتم وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فإذن موادة أمثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لأنفسكم ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا (فإن قلت) كيف أورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال (وودوا) بلفظ الماضي (قلت) الماضي وإن كان

﴿القول في سورة الممتحنة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون (قال) فيه إن قلت كيف أورد جواب الشرط مستقبلا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي الخ

(قوله يقال ألقى إليه خراشي صدره) في الصحاح الخرشاء مثل الحرباء جلد الحية وقشرة البيضة بعد أن يخرج ماقبلها ثم يشبه به كل شيء فيه انتفاخ وتفتق كالرغوة وقد يسمى البلغم خرشاء يقال ألقى خراشي صدره اه

لَوْ تَكْفُرُونَ ۞ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْأَخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم

يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع فى علم الإعراب فإن فيه نكتة كأنه قيل وودوا قبل كل شىء كفركم وارتدادكم يعنى أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفارا وردكم كفارا أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون لها دونه والعدو أهم شىء عنده أن يقصد أعز شىء عند صاحبه (لن تنفعكم أرحامكم) أى قراباتكم (ولا أولادكم) الذى توالون الكفار من أجلهم وتتقربون إليهم محاماة عليهم ۞ ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) و بين أقاربكم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطأ رأيهم فى موالاة الكفار بما يرجع إلى حال من والوه أولا ثم بما يرجع إلى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم أن ما أقدموا عليه من أى جهة نظرت فيه وجدته باطلا قرئ يفصل ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونفصل ونفصل بالنون ۞ وقرئ أسوة وإسوة وهو اسم المؤتسى به أى كان فيهم مذهب حسن مرضى بأن يؤتسى به ويتبع أثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا وأظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس إلا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى إن أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فأفصحوا عن محض الإخلاص ومعنى (كفرنا بكم) وبما تعبدون من دون الله أنا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم وما أنتم عندنا على شىء (فإن قلت) مم استثنى قوله (إلا قول إبراهيم) (قلت) من قوله أسوة حسنة لأنه أراد بالأسوة الحسنة قولهم الذى حق عليهم أن يأتسوا به ويتخذونه سنة يستنون بها (فإن قلت) فإن كان قوله (لأستغفرن لك) مستثنى من القول الذى هو أسوة حسنة فما بال قوله (وما أملك لك من الله من شىء) وهو غير حقيق بالاستثناء ألا ترى إلى قوله قل فمن يملك من الله شيئا (قلت) أراد استثناء جملة قوله لأبيه والقصد إلى موعد الاستغفار له وما بعده مبنى عليه وتابع له كأنه قال أنا أستغفر لك وما فى طاقتى إلا الاستغفار ۞ (فإن قلت) بم اتصل قوله (ربنا عليك توكلنا) (قلت) بما قبل الاستثناء وهو من جملة الأسوة الحسنة ويجوز أن يكون المعنى قولوا ربنا أمرا من الله تعالى للمؤمنين بأن يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بإبراهيم وقومه فى البراءة منهم وتنبيها على الإنابة إلى الله والاستعاذة به من فتنة أهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم ۞ وقرئ برآء كشركاء وبراء كظراف وبراء على إبدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة كالظماء والظماءة ۞ ثم كرر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لأنه الغاية فى التأكيد وأبدل عن قوله (لكم) قوله (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) وعقبه بقوله (ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد) فلم يترك نوعا من التأكيد إلا جاء به ۞ ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون

(قوله والمقت مقة) أى محبة (قوله كرخال ورباب وبراء) فى الصحاح الرخل بكسر الخاء الأنثى من أولاد الضأن والذكر حمل والجمع رخال ورخال أيضا بالضم وفيه أيضا الربى بالضم على فعلى الشاة التى وضعت حديثا وجمعها رباب بالضم

مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ لَا يَنْهَـٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَـٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا جَآءَكُمُ الْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ

فى عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله عزوجل منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمنى للسبب الذى يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ماتمنوه فلما يسر فتح مكة ظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافى ماتم وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة فلانت عند ذلك عريكة أبى سفيان واسترخت شكيمته فى العداوة وكانت ام حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبدالله بن أبى جحش إلى الحبشة فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى فخطبها عليه وساق عنه إليها مهرها أربعمائة دينار وبلغ ذلك أباها فقال ذلك الفحل لايقدع أنفه و (عسى) وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى أولعل فلا تبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك أو قصد به إطماع المؤمنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن أسلم من المشركين (أن تبروهم) بدل من الذين لم يقاتلوكم ۞ وكذلك أن تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لاينهاكم عن مبرة هؤلاء وإنما ينهاكم عن تولى هؤلاء وهذا أيضاً رحمة لهم لتشددهم وجدهم فى العداوة متقدمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم حيث رخص لهم فى صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم وقيل أرادبهم خزاعة وكانوصالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لايقاتلوه ولايعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على أسماء بنت أبى بكر امها قتيلة بنت عبد العزى وهى مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها فى الدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها وعن قتادة نسختها آية القتال (وتقسطوا إليهم) وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم أخيه المسلم (إذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافى ذلك أو لأنهن مشارفات لثبات إيمانهن بالامتحان (فامتحنوهن) فابتلوهن بالحلف والنظر فى الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذى لاإله إلاهو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض بالله ماخرجت التماس دنيا بالله ماخرجت إلاحباًلله ولرسوله (الله أعلم بإيمانهن) منكم لأنكم لاتكسبون فيه علماً تطمئن معه نفوسكم وإن استحلفتموهن ورزتم أحوالهن وعند الله حقيقة العلم به (فإن علمتموهن مؤمنات) العلم الذى تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات (فلاترجعوهن إلى الكفار) فلاتردوهن إلى أزواجهن المشركين لأنه لاحل بين المؤمنة والمشرك (وآتوهم ماأنفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل مادفعوا

۞ قوله تعالى فلاترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن ۞ (قال معناه لاحل بين المؤمنة والمشرك اه كلامه) قال أحمد

(قوله ذلك الفحل لايقدع أنفه) أى لايضرب أنفه ولايكف وذلك لكونه كريماً أفاده الصحاح

أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا مَآ أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ

إليهنّ من المهور وذلك أن صلح الحديبية كان على أن من أتاكم من أهل مكة ردّ إليهم ومن أتى منكم مكة لم يرد إليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة والنبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن الراهب فقال يا محمد اردد علىّ امرأتى فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لأن الشرط إنما كان فى الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك إلا رددتها إلينا فإن دخلت فى دينك ولها زوج أن ترد على زوجها الذى أنفق عليها وللنبى صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر (فإن قلت) كيف سمى الظن علما فى قوله فإن علمتموهنّ (قلت) إيذانا بأن الظن الغالب وما يفضى إليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وأن صاحبه غير داخل فى قوله ولا تقف ما ليس لك به علم (فإن قلت) فما فائدة قوله الله أعلم بإيمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه (قلت) فائدته بيان أن لا سبيل لكم إلى ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الإحاطة بحقيقة إيمانهن فإن ذلك مما استأثر به علام الغيوب وأن ما يؤدى إليه الامتحان من العلم كاف فى ذلك وأن تكليفكم لا يعدوه ثم نفى عنهم الجناح فى تزوج هؤلاء المهاجرات إذا آتوهنّ أجورهنّ أى مهورهنّ لأن المهر أجر البضع ولا يخلو إما أن يراد بها ما كان يدفع إليهنّ ليدفعنه إلى أزواجهنّ فيشترط فى إباحة تزوجهنّ تقديم أدائه وإما أن يراد أن ذلك إذا دفع إليهنّ على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به بأس وإما أن يبين لهم أن ما أعطى أزواجهنّ لا يقوم مقام المهر وإنه لا بد من إصداق وبه احتج أبو حنيفة على أن أحد الزوجين إذا خرج من دار الحرب مسلما أو بذمة وبقى الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها إلا أن تكون حاملا (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعنى إياكم وإياهنّ ولا تكن بينكم وبينهنّ عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدنّ بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار معارفتهن (واسئلوا ما أنفقتم) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار (وليسئلوا ما أنفقوا) من مهور نسائهم المهاجرات * وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسّكوا بالتثقيل ولا تمسكوا أى ولا تتمسكوا

هذه الآية مما استدل بها على خطاب الكفار بالفروع لأنه تعالى قال لا هنّ حل لهم والضمير الأول للمؤمنات والثانى للكفار والمراد به يحرمن على الكفار لأن قسيمه متفق على أن المراد به تحريم الكفار على المؤمنات فيكون كل من القبيلين المؤمنات والكفار مخاطبا بالحرمة ولما كان المذهب المعزى إلى أصحاب أبى حنيفة أن الكفار غير مخاطبين سلك الزمخشرى بتفسير الآية ما يوافق ذلك فحملها على أن المراد نفى الحل بين المؤمنة والكافر على الإجمال حتى لا يتمحض نسبة الحرمة إلى الكافر وهذا لا متخلص فيه فإن الحل المنفى بين المؤمنة والكافر إلى الحرمة لا بد وأن يتعلق بفعل أحدهما أو كليهما إذ هو حكم فإن تعلق بفعل كل واحد منهما أعنى التمكين من المرأة والفعل من الرجل تحقق خطاب الكافر بالحرمة وتعليقه بفعل المرأة دون فعل الرجل يأباه نظم الآية فإنه نفى الحل من الجهتين جميعا ولو كان كذلك لكفى قوله ولا هم يحلون لهنّ والتحقيق الممتحن على قواعد الأصول هو ما نذكره إن شاء الله تعالى فنقول كل من فعلى المؤمنة والكافر ينفى عنه الحل بالتفسير اللائق فأما فعل المؤمنة وهو التمكين فلا شك فى تعلق الحرمة للشرع باعتبار أنها مخاطبة بأن لا يحصل فى الوجود على وجه لو حصل لكانت متوعدة على حصوله وأما فعل الكافر وهو الوطء مثلا فنفى حله باعتبار أن الشرع قصد إلى أن لا يحصل الوطء لما يشتمل عليه من المفسدة وللشرع قصد فى أن لا تقع المفاسد وليس الكافر موردا للخطاب ولكن الأئمة مثلا أو من يقوم مقامهم مخاطبون بأن يمنعوا الكافر كى لا يقع هذا الفعل المطوى على المفسدة فى نظر الشرع فكلا الفعلين إذا من جانب المرأة والرجل غرض فى أن لا يقع لكن مورد الخطاب المنطوى على السلامة من المفسدة فى حق المرأة هى وفى حق الكافر الأئمة مثلا ويتفق المختلفون فيه فى خطاب الكفار على أن للشرع غرضا فى أن لا تحصل المفاسد فى الوجود ألا ترى أن الكافر إذا جهر بالفساد بين المسلمين

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ

(ذلكم حكم الله) يعنى جميع ماذكر فى هذه الآية (يحكم بينكم) كلام مستأنف أوحال من حكم الله على حذف الضمير أى يحكمه الله أوجعل الحكم حاكما على المبالغة روى أنها لما نزلت هذه الآية أدى المؤمنون ماأمروا به من أداء مهور المهاجرات إلى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئا من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين فنزل قوله (وإن فاتكم) وإن سبقكم وانفلت منكم (شىء) من أزواجكم أحد منهن إلى الكفار وهو فى قراءة ابن مسعود أحد (فإن قلت) هل لإيقاع شىء فى هذا الموقع فائدة (قلت) نعم الفائدة فيه أن لايغادر شىء من هذا الجنس وإن قل وحقر غير معوض منه تغليظا فى هذا الحكم وتشديداً فيه (فعاقبتم) من العقبة وهى النوبة شبه ماحكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة وأولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من أداء المهر فآتوا من فاتته امرأته إلى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولاتؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهرى يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فأعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى أعقبتم دخلتم فى العقبة وعقبتم من عقبه إذا قفاه لأن كل واحد من المتعاقبين يقفى صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فأصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم والذى ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القرا آت فكانت العقبى لكم أى فكانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الإسلام ست نسوة أم الحكم بنت أبى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت أبى أمية كانت تحت عمر بن الخطاب وهى أخت أم سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس ابن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبى جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة (ولايقتلن أولادهن) وقرئ يقتلن بالتشديد يريد وأد البنات (ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا لأن بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين الرجلين (ولايعصينك فى معروف) فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ماوافق طاعة الله فهو معروف (فإن قلت) لو اقتصر على قوله ولايعصينك فقد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايأمر إلا بمعروف (قلت) نبه بذلك على أن طاعة المخلوق فى معصية الخالق جديرة بغاية التوقى والاجتناب وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ فى بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضى الله عنه أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبى سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال عليه الصلاة والسلام أبايعكن على أن لاتشركن بالله شيئا فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الأصنام وإنك لتأخذ علينا أمرا مارأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الإسلام والجهاد فقال عليه الصلاة والسلام ولايسرقن فقالت إن أباسفيان رجل شحيح وإنى أصبت من ماله هنات فما

يتفق على وجوب ردعه عن ذلك ومنعه عنه وماذاك إلا لما فهم عن الشرع من طلب سلامه الوجود عن المفاسد ومورد

(قوله خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها) لما صنعت بحمزة كذا فى النسفى وذلك فى غزوة أحد
(قوله فقال عليه السلام ولايسرقن) فى النسفى قبل هذا فبايع عمر النساء على أن لايشركن بالله شيئا

فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ *

سورة الصف مدنية : وآياتها ١٤ نزلت بعد التغابن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ

أدرى أيحل لى أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وإنك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت أو تزنى الحرة وفى رواية ما زنت منهن امرأة فقال عليه الصلاة والسلام ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شيء وقيل فى كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطرى وقيل كان عمر يصافحهن عنه * روى أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم (لا تتولوا قوما) مغضوبا عليهم (قد يئسوا) من أن يكون لهم حظ فى الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت فى التوراة (كما يئس الكفار) من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل (من أصحاب القبور) بيان للكفار أى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

﴿سورة الصف مكية وهى أربع عشر آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (لم) هى لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى قولك بم وفيم ومم وعم وإلام وعلام وإنما حذفت الألف لأن ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا فى كلام المستفهم وقد جاء استعمال الأصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان ومن أسكن فى الوصل فلإجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثة أربعة بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب

الخطاب يردع الكافر كى لا يجهر بالفساد يعم الأئمة والله الموفق * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور (قال فيه كان طائفة من ضعفاء المسلمين قد والوا اليهود ليصيبوا من أثمارهم فنزلت هذه الآية والمراد بالكفار المشركون الخ) قال أحمد قد كان الزمخشرى ذكر فى قوله وما يستوى البحران إلى قوله ومن كل تأكلون لحما طريا أن آخر الآية استطراد وهو فن من فنون البيان مبوب عليه عند أهله وآية الممتحنة هذه ممكنة أن تكون من هذا الفن جدا فإنه ذم اليهود واستطرد ذمهم بذم المشركين على نوع حسن من النسبة وهذا لا يمكن أن يوجد للفصحاء فى الاستطراد أحسن ولا أمكن منه ومما صدروا هذا الفن به قوله إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه * فليس به بأس وإن كان من جرم وقوله إن كنت كاذبة التى حدثتنى * فنجوت منجى الحرث ابن هشام وقوله ترك الأحبة أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ

وإخلاف الموعد وروى أنّ المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا القتال لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فدلهم الله تعالى على الجهاد فى سبيله فولوا يوم أحد فعيرهم وقيل لما أخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل كان قد أذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب أخبر النبى عليه السلام أنك قتلته فقال إنما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يارسول الله قتله صهيب قال كذلك ياأبا يحيى قال نعم فنزلت فى المنتحل وعن الحسن نزلت فى المنافقين ۞ ونداؤهم بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم هذا من أفصح كلام وأبلغه فى معناه ۞ قصد فى (كبر) التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الأمر فى قلوب السامعين لأنّ التعجب لايكون إلا من شىء خارج عن نظائره وأشكاله وأسند إلى أن تقولوا ونصب (مقتا) على تفسيره دلالة على أنّ قولهم مالايفعلون مقت خالص لاشوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه و (عند الله) أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت كبر مقته عندالله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تأمروننى أن أقول مالاأفعل فاستعجل مقت الله ۞ فى قوله (إنّ الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله) عقيب ذكر مقت المخلف دليل على أنّ المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات فى قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن على يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون (صفا) صافين أنفسهم أو مصفوفين (كأنهم) فى تراصهم من غير فرجة ولا خلل (بنيان) رص بعضه إلى بعض مرصف وقيل يجوز أن يريد استواء نياتهم فى الثبات حتى يكونوا فى اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لأنّ الفرسان لايصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كأنهم بنيان حالان متداخلتان (وإذ) منصوب بإضمار اذكر أو وحين قال لهم ماقال كان كذا وكذا (تؤذوننى) كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه فى نفسه وجحود

﴿القول فى سورة الصف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى «ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون» (قال فيه هذا من أفصح الكلام وابلغه فى معناه قصد إلى التعجب بغير صيغة التعجب لتعظيم الأمر الخ) قال أحمد وزائد على هذه الوجوه الأربعة وجه خامس وهو تكراره لقوله مالا تفعلون وهو لفظ واحد فى كلام واحد ومن فوائد التكرار التهويل والإعظام وإلا فقد كان الكلام مستقلا لو قيل كبر مقتا عندالله ذلك فما إعادته إلا لمكان هذه الفائدة الثانية والله أعلم ۞ قوله تعالى «إنّ الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص» (قال فيه ذكره لهذا عقيب ذكر مقت المخلف دليل الخ) قال أحمد صدق والأوّل كالبسطة العامة لهذه القصة الخاصة كقوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إنّ الله سميع عليم ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى» فالنهى العام ورد أوّلا والمقصود اندراج هذا الخاص فيه كما تقول للمقترف جرما معينا لاتفعل مايلصق العار بك ولا تشاتم زيدا وفائدة مثل هذا النظم النهى عن الشىء الواحد مرتين مندرجا فى العموم ومفردا بالخصوص وهو أولى من النهى عنه على الخصوص مرتين فإن ذلك معدود فى حيز التكرار وهذا يتكرر مع مافى التعميم من التعظيم والتهويل والله أعلم ۞ عاد كلامه (قال فى قوله تعالى إنّ الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص حالان متداخلتان) قال أحمد يريد أنّ معنى الأولى مشتمل على معنى الثانية لأنّ التراص هيئة للاصطفاف والله أعلم

(قوله على الرابة ولم يقتصر) هى بتشديد الباء كالدابة وفى الصحاح نكاح المقت كان فى الجاهلية أن يتزوج الرجل امرأة أبيه اه

فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۞ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

آياته وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذى هو تضييع حق الله وحقه (وقد تعلمون) فى موضع الحال أى تؤذوننى عالمين علما يقينا (أنى رسول الله إليكم) وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمى وتوقيرى لا أن تؤذونى وتستهينوا بى لأن من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بأن تعظيمه فى تعظيم رسوله ولأن من آذاه كان وعيد الله لاحقا به (فلما زاغوا) عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) بأن منع ألطافه عنهم (والله لا يهدى القوم الفاسقين) لا يلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف (فإن قلت) مامعنى قد فى قوله وقد تعلمون (قلت) معناه التوكيد كأنه قال وتعلمون علما يقينا لاشبهة لكم فيه ۞ قيل إنما قال يابنى إسرائيل ولم يقل ياقوم كما قال موسى لأنه لانسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى أرسلت إليكم فى حال تصديقى ماتقدمنى (من التوراة) وفى حال تبشيرى (برسول يأتى من بعدى) يعنى أن دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعاً ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدى بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى ياروح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل ۞ (فإن قلت) بم انتصب مصدقا ومبشراً بما فى الرسول من معنى الإرسال أم بإليكم (قلت) بل بمعنى الإرسال لأن إليكم صلة للرسول فلا يجوز أن تعمل شيئاً لأن حروف الجر لاتعمل بأنفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فإذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن أين تعمل وقرئ هذا ساحر مبين ۞ وأى الناس أشد ظلماً ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء

۞ قوله تعالى وإذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون الآية (قال فيه بين أنهم على عكس الصواب حيث قال تؤذوننى عالمين الخ) قال أحمد أهل العربية تقول إن قد تصحب الماضى لتقريبه من الحال ومنه قول المؤذن قد قامت الصلاة وتشتمل المصاحبة للماضى أيضاً على معنى التوقع فلذلك قال سيبويه قد فعل جواب لما يفعل وقال الخليل هذا الخبر لقوم ينتظرونه وأما مع المضارع فإنها تفيد التقليل مثل ربما كقولهم إن الكذوب قد يصدق فإذا كان معناها مع المضارع التقليل وقد دخلت فى الآية على مضارع فالوجه والله أعلم أن يكون هذا من الكلام الذى يقصدون به الإفراط فيما ينعكس عنه وتكون قد فى هذا المعنى نظير ربما فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فإنها فى هذا الموضع أبلغ من كم فى التكثير فلما أوردت ربما فى التكثير على عكس معناه الأصلى فى التقليل فكذلك إيراد قد ههنا لتكثير علمهم أى تحقيق تأكيده على عكس معناها الأصلى فى تقليل الأصل وعليه ۞ قد أترك القرن مصفراً أنامله ۞ وإنما مدح نفسه بكثرة هذا الفعل منه عكس ديدنه الأصلى ولا يقال أن حملها فى الآية على التكثير متعذر لأن العلم معلوم التعلق لايتكثر ولا يتقلل لأنا نقول يعبر عن تمكن الفعل وتحققه وتأكده وبلوغه الغاية فى نوعه بما يعبر به عن التكثير وهو تعبير صحيح ألا ترى أن قوله ربما يود الذين كفروا وهو من هذا القبيل فإن المراد شدة ودهم لذلك وبلوغه أقصى منتهاه لاغير والله الموفق (قال الزمخشرى وإنما قال يابنى إسرائيل ولم يقل ياقوم لأنه لم يكن له صلوات الله على نبينا وعليه نسب فيهم) قال أحمد وهذا نظير قوله تعالى إذ قال لهم شعيب لأن شعيبا لم يكن من قوم من أرسل إليهم ۞ عاد كلامه

(قوله بأن منع ألطافه عنهم) فسر الإزاغة بذلك بناء على مذهب المعتزلة أنه تعالى لايريد الشر ومذهب أهل السنة أنه تعالى يريد الشر والخير كما تقرر فى محله

الظالمين * يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون * يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن

عباده إلى الحق هذا سحر لأن السحر كذب وتمويه * وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعى دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدعى بمعنى يدعو وهو الله عز وجل * أصله يريدون أن يطفؤا كما جاء في سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيداً له لما فيها من معنى الإرادة في قولك جئتك لإكرامك كما زيدت اللام في لا أبا لك تأكيدا لمعنى الإضافة في لا أباك وإطفاء نور الله بأفواههم تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه (والله متم نوره) أي متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالإضافة (ودين الحق) الملة الحنيفية (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جميع الأديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام وعن مجاهد إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام * وقرئ أرسل نبيه (تنجيكم) قرئ مخففا ومثقلا و (تؤمنون) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الأمر ولهذا أجيب بقوله (يغفر لكم) وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا (فإن قلت) لم جيء به على لفظ الخبر (قلت) للإيذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت (فإن قلت) هل لقول الفراء أنه جواب هل أدلكم وجه (قلت) وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد فكأنه قيل هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم (فإن قلت) فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما تؤمنوا وتجاهدوا (قلت) وجهها أن تكون على إضمار لام الأمر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس * إذا ماخفت من أمر تبالا وعن ابن عباس أنهم قالوا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فنزلت هذه الآية فمكثوا ماشاء الله يقولون ليتنا نعلم ماهي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على أن تؤمنون كلام مستأنف وعلى أن الأمر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها إليه أوقع فيها وأقرب من قولها له مما فوجئت به (ذلكم) يعني ماذكر من الإيمان والجهاد

قوله تعالى يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم (قال فيه) مثلت حالهم بحالة من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه * قوله تعالى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله إلى قوله يغفر لكم (قال فيه قوله) تؤمنون استئناف كلام كأنه لما قال الكلام الأول قيل كيف نفعل فقيل تؤمنون الخ) قال أحمد إنما وجه إعراب الفراء بما ذكر لأنه لو جعله جوابا لقوله هل أدلكم فإنكم إن أدلكم على كذا وكذا أغفر لكم فتكون المغفرة حينئذ مترتبة على مجرد دلالته إياهم على الخير وليس كذلك إنما تترتب المغفرة على فعلهم لما دلهم عليه لا على نفس الدلالة فلذلك أول هل أدلكم على تجارة بتأويل هل تتجرون بالإيمان والجهاد حتى تكون المغفرة مترتبة على فعل الإيمان والجهاد لا على الدلالة وهذا التأويل غير محتاج إليه فإن حاصل الكلام إذا صار إلى هل أدلكم أغفر لكم التحق ذلك بأمثال قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة فإنه رتب فعل الصلاة على الأمر بها حتى كأنه قال فإنك إن تقل لهم أقيموا يقيموها * وللقائل أن يقول قد قيل لبعضهم أقم الصلاة فتركها فالجواب عنه أن الأمر الموجه على المؤمن الراسخ في الإيمان لما كان مظنة لحصول الامتثال جعل كالمحقق وقوعه مرتبا عليه وكذلك ههنا لما كانت دلالة الذين آمنوا على فعل الخير مظنة لامتثالهم وامتثالهم سببا في المغفرة محققا عومل معاملة تحقق الامتثال والمغفرة مرتبين على الدلالة والله أعلم * قوله تعالى

(قوله من أمر تبالا) أي هلاكا كما أفاده الصحاح

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوٓا أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ *

(خير لكم) من أموالكم وأنفسكم (فإن قلت) مامعنى قوله (إن كنتم تعلمون) (قلت) معناه إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ماتحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون (وأخرى تحبونها) ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب فى الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أى عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم وفى تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل (فإن قلت) علام عطف قوله (وبشر المؤمنين) (قلت) على تؤمنون لأنه فى معنى الأمر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يارسول الله المؤمنين بذلك (فإن قلت) لم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا (قلت) يجوز أن ينصب على الاختصاص أو على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى نصرا من الله وفتحا * قرئ كونوا أنصار الله وأنصارا لله وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله وفيه زيادة حثم للنصرة عليهم (فإن قلت) ماوجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى صلوات الله عليه (من أنصارى إلى الله) (قلت) التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصارى إلى الله (فإن قلت) مامعنى قوله من أنصارى إلى الله (قلت) يجب أن يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين (نحن أنصار الله) والذى يطابقه أن يكون المعنى من جندى متوجها إلى نصرة الله وإضافة أنصارى خلاف إضافة أنصار الله فإنّ معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصارى من الأنصار الذين يختصون بى ويكونون معى فى نصرة الله ولا يصح أن يكون معناه من ينصرنى مع الله لأنه لايطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرأ من أنصار الله والحواريون أصفياؤه وهم أوّل من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحوارى الدرمك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الزبير ابن عمتى وحوارىّ من أمتى وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحوارى فى زنته الحوالى الكثير الحيل (فآمنت طائفة) منهم بعيسى (وكفرت) به (طائفة فأيدنا) مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد بن على كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله

«ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» (قال فيه معناه إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرا لكم الخ) قال أحمد كأنه يجرى الشرط على حقيقته وليس بالظاهر لأن علمهم لذلك محقق إذ الخطاب مع المؤمنين والظاهر أنه من وادى قوله « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين » والمقصود بهذا الشرط التنبيه على المعنى الذى يقتضى الامتثال وإلهاب الحمية للطاعة كما تقول لمن تأمره بالانتصاف من عدوه إن كنت حرا فانتصر تريد أن تثير منه حمية الانتصار لاغير والله أعلم * قوله تعالى «ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين» (قال إن قلت ماوجه التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارا الخ) قال أحمد كلام حسن وتمام على الذى أحسن أن يميز بين الاضافتين المذكورتين بأنّ الاولى محضة والثانية غير محضة فتنبه لها والله الموفق

(قوله وخلصانه من الحور) أى خالصته يستوى فيه الواحد والكثير كذا فى الصحاح وفيه الدرمك دقيق الحوارى وفيه أيضا والحوّارى ماحوّر من الطعام أى بيض وهذا دقيق حوّارى وكل هذه بالضم كما أفاده الصحاح

سورة الجمعة مدنية : وآياتها ١١ نزلت بعد الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ◦ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ◦ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ◦ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ◦ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ◦ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ◦ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ

صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

﴿سورة الجمعة مدنية وهى إحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قرئت صفات الله عزّ وعلا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمدلله أهل الحمد ◦ الأمى منسوب إلى أمّة العرب لأنهم كانوا لايكتبون ولايقرؤن من بين الأمم وقيل بدأت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الانبار ومعنى (بعث فى الأميين رسولا منهم) بعث رجلا أميا فى قوم أميين كما جاء فى حديث شعياء أنى أبعث أعمى فى عميان وأميا فى أميين وقيل منهم كقوله تعالى من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله وقرئ فى الأمين بحذف ياءى النسب (يتلوا عليهم آياته) يقرؤها عليهم مع كونه أميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أمى بغير تعلم آية بينة (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة ◦ وإن فى (وإن كانوا) هى المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أى كانوا فى ضلال لاترى ضلالا أعظم منه (وآخرين) مجرور عطف على الأميين يعنى أنه بعثه فى الأميين الذين على عهده وفى آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يارسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم القيامة و ـ وزأن ينتصب عطفا على المنصوب فى ويعلمهم أى يعلمهم ويعلم آخرين لأنّ التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله فكأنه هو الذى تولى كل ماوجد منه (وهو العزيز الحكيم) فى تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إياه من بين كافة البشر (ذلك) الفضل الذى أعطاه محمدا وهو أن يكون نبى أبناء عصره ونبى أبناء العصور الغوابر هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) إعطاءه وتقتضيه حكمته ◦ شبه اليهود فى أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ مافيها ثم أنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك أنّ فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفارا أى كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشى بها ولايدرى منها إلا مايمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل (بئس) مثلا (مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ◦ ومعنى حملوا

﴿القول فى سورة الجمعة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا (قال فيه إما أن يكون قوله يحمل حالا كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبنى) قلت يريد المراد فيها الجنس فتعريفه وتنكيره سواء

لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ۝ ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ۝
قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ۝
يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم

التوراة كلفوا علمها والعمل بها ۝ ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها وقرئ حملوا التوراة أى حملوها ثم لم يحملوها فى الحقيقة لفقد العمل ۝ وقرئ يحمل الأسفار (فإن قلت) يحمل ما محله (قلت) النصب على الحال أو الجر على الوصف لأن الحمار كاللئيم فى قوله ولقد أمر على اللئيم يسبنى ۝ هاد يهود إذا تهود (أولياء لله) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أى إن كان قولكم حقا وكنتم على ثقة (فتمنوا) على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا إلى دار كرامته التى أعدها لأوليائه ثم قال (ولا يتمنونه أبد) بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه فلولا أنهم كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمنوا ولكنهم علموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك أحد منهم أن يتمنى وهى إحدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا ۝ ولا فرق بين لا ولن فى أن كل واحدة منهما نفى للمستقبل إلا أن فى لن تأكيداً وتشديدا ليس فى لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه ثم قيل لهم (إن الموت الذى تفرون منه) ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة (ثم تردون) إلى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب وقرأ زيد بن على رضى الله عنه إنه ملاقيكم وفى قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهى ظاهرة وأما التى بالفاء فلتضمن الذى معنى الشرط وقد جعل أن الموت الذى تفرون منه كلاما برأسه فى قراءة زيد أى إن الموت هو الشىء الذى تفرون منه ثم استؤنف إنه ملاقيكم يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ولعبة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة فى عسرة وقرئ بهن جميعا (فإن قلت) من فى قوله (من يوم الجمعة) ما هى (قلت) هى بيان لإذا وتفسير له ۝ والنداء الأذان وقالوا المراد به الأذان عند قعود الإمام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان إذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فإذا نزل اقام للصلاة ثم كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما على ذلك حتى إذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الأول على داره التى تسمى زوراء فإذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثانى فإذا نزل اقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤى وكان يقال لها العروبة وقيل إن الأنصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الإسلام وأما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى أنه لما قدم المدينة مهاجراً نزل قباء على بنى عمرو بن عوف واقام بها يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن وادلهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد أبطل الله قول اليهود فى ثلاث افتخروا بأنهم أولياء الله واحباؤه فكذبهم فى قوله فتمنوا الموت إن كنتم صادقين وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفاراً وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه اهبط إلى الأرض

(قوله هاد يهود إذا تهود) فى الصحاح هاد يهود تاب ورجع إلى الحق وهاد وتهود إذا صار يهوديا (قوله قعد الملائكة على أبواب المسجد) لعله المساجد وفى الخازن إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المساجد ملائكة يكتبون الخ

وفيه تقوم الساعة وهو عندالله يوم المزيد وعنه عليه السلام أتانى جبريل وفى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيداً ولأمتك من بعدك وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه إلى الآخرة يوم المزيد وعنه صلى الله عليه وسلم إنّ لله تعالى فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وعن كعب إنّ الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر وفى الحديث إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم وكانت الطرقات فى أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرج وقيل أول بدعة أحدثت فى الإسلام ترك البكور إلى الجمعة وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول أراك رابع أربعة وما رابع أربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند أبى حنيفة رضى الله عنه إلا فى مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا فى مصر جامع والمصر الجامع ما أقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الأحكام ومن شروطها الإمام أو من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله إمام عادل أو جائر الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم أربع إلى الولاة الفىء والصدقات والحدود والجماعات فإن أم رجل بغير إذن الإمام أو من ولاه من قاض أو صاحب شرطة لم يجز فإن لم يمكن الاستئذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهى تنعقد بثلاثة سوى الإمام وعند الشافعى بأربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الأعمى عند أبى حنيفة ولا على الشيخ الذى لا يمشى إلا بقائد ﴿ وقرأ عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال من أقرأك هذا قال أبىّ بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائى وقيل المراد بالسعى القصد دون العدو والسعى التصرف فى كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وعن الحسن ليس السعى على الأقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن رحمه الله فى موطئه أن ابن عمر سمع الإقامة وهو بالبقيع فأسرع المشى قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه (إلى ذكر الله) إلى الخطبة والصلاة ولتسمية الله الخطبة ذكراً له قال أبو حنيفة رحمه الله إن اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان أنه صعد المنبر فقال الحمد لله وأرتج عليه فقال إن أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالا وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه أحد وعند صاحبيه والشافعى لابد من كلام يسمى خطبة (فإن قلت) كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله (قلت) ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو فى حكم ذكر الله فأما

قوله تعالى «فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع» (قال استدل بذلك على مذهب أبى حنيفة رحمه الله الخ) قال أحمد ولا دليل فيه فإن العرب تسمى الشىء باسم بعض ما يشتمل عليه كما سميت الصلاة مرة قرآنا ومرة سجوداً ومرة ركوعاً لأنها مشتملة على ذلك فكذلك الخطبة لما كانت مشتملة على ذكر الله سميت به ولا يلزم أن يكون كذلك كل ما اشتملت عليه لاسيما والمسمى خطبة عند العرب لابدّ أن يزيد على القدر الذى اكتفى به أبو حنيفة قال بعض أصحاب مالك رحمه الله أقلها حمد الله والصلاة على نبيه وتحذير وتبشير وقرآن (ثم أتبع الزمخشرى) الاستدلال على مذهب أبى حنيفة بالآية بأثر عن عثمان وهو أنه صعد المنبر فقال إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه أحد انتهى كلامه) قال أحمد ساقه بلا اشتباه فإن عثمان لم يصدر ذلك منه فى خطبة الجمعة وإنما كان ذلك فى ابتداء خلافته وصعوده المنبر للبيعة وكانت عادة العرب الخطب فى المهمات ألا ترى إلى قوله وستأتيكم بعد ذلك الخطب فإن ذلك يحقق أن مقالته هذه ليست بخطبة ولو كان فى الجمعة لكان تاركا للخطبة بالكلية وهى منقولة فى التاريخ أنه أرتج عليه فقال سيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد عى بيانا وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وستأتيكم الخطب ﴿ عاد كلامه (قال إن قلت كيف فسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله وأجاب بأن ذكر رسول الله والصحابة والخلفاء الراشدين الخ) قال أحمد الدعاء للسلطان الواجب الطاعة مشروع بكل حال وقد نقل عن بعض السلف أنه دعا لسلطان ظالم فقيل له أتدعو له وهو ظالم فقال إى والله أدعو له إن ما يدفع الله ببقائه أعظم مما يندفع بزواله لاسيما إذا ضمن ذلك الدعاء بصلاحه وسداده وتوفيقه والله الموفق

إن كنتم تعلمون ۝ فإذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ۝ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ۝

سورة المنافقون مدنية : وآياتها ١١ نزلت بعد الحج

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله

ماعداذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل وإذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا أفلا يكون الخطيب الغالى فى ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الإسلام ونكد الايام ۝ أراد الأمر بترك مايذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وإنما خص البيع من بينها لأن يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون إلى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الأسواق بهم إذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضى إلى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله الذى لاشىء أنفع منه وأربح (وذروا البيع) الذى نفعه يسير وربحه مقارب (فإن قلت) فإذا كان البيع فى هذا الوقت مأمورا بتركه محرما فهل هو فاسد (قلت) عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لأن البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة فى الأرض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس إنه فاسد ۝ ثم أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية بإكثار الذكر وأن لا يلهيهم شىء من تجارة ولا غيرها عنه وأن تكون هممهم فى جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به لا ينفصلون عنه لأن فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شىء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع وعن بعض السلف أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشىء من أمور الدنيا نظرا فى هذه الآية ۝ روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى ﷺ يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشوا أن يسبقوا إليه فما بقى معه إلا يسير قيل ثمانية وأحد عشر واثنا عشر وأربعون فقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات فى كل مقدم عير (فإن قلت) فإن اتفق تفرق الناس عن الإمام فى صلاة الجمعة كيف يصنع (قلت) إن بقى وحده أو مع أقل من ثلاثة فعند أبى حنيفة يستأنف الظهر إذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه إذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر إذا نفروا قبل التشهد بطلت ۝ (فإن قلت) كيف قال (إليها) وقد ذكر شيئين (قلت) تقديره إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوا انفضوا إليه فحذف أحدهما للدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ انفضوا إليه وقراءة من قرأ لهوا أو تجارة انفضوا إليها وقرئ إليهما عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها فى أمصار المسلمين

﴿سورة المنافقين مدنية وهى إحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ أرادوا بقولهم (نشهد إنك لرسول الله) شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم فقال الله

﴿القول فى سورة المنافقين﴾ بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون (قال إنما كذبهم لأنهم ادعوا أن شهادتهم بألسنتهم تواطئ لقلوبهم الخ) قال أحمد ومثل

(قوله إذا انتفخ النهار) أى علا وقوله تحر أى تعطش أو يشتد حرها أفاده الصحاح

يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۞ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ

عزّ وجل قالوا ذلك (والله يعلم) أن الأمر كما يدل عليه قولهم إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون فى قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطأة أو إنهم لكاذبون فيه لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسميته شهادة أو أراد والله يشهد إنهم لكاذبون عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم إنك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (فإن قلت) أى فائدة فى قوله تعالى والله يعلم إنك لرسوله (قلت) لو قال قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم إنك لرسوله ليميط هذا الإيهام (اتخذوا أيمانهم جنة) يجوز أن يراد أن قولهم نشهد إنك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة لأن الشهادة تجرى مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل أشهد وأشهد بالله وأعزم وأعزم بالله فى موضع أقسم وأولى وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن أشهد يمين ويجوز أن يكون وصفا للمنافقين فى استجنانهم بالإيمان وقرأ الحسن البصرى إيمانهم أى ما أظهروه من الإيمان بألسنتهم ويعضده قوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا (ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفى ساء معنى التعجب الذى هو تعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك إشارة إلى قوله ساء ما كانوا يعملون أى ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا (ب) سبب (أنهم آمنوا ثم كفروا) أو إلى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالإيمان أى ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا (فطبع على قلوبهم) فجسروا على كل عظيمة (فإن قلت) المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا (قلت) فيه ثلاثة أوجه أحدها آمنوا أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الإسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما أطلع عليه من قولهم إن كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم فى غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم أى وظهر كفرهم بعد أن أسلموا ونحوه قوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم والثانى آمنوا أى نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله تعالى وإذا لقوا الذين

هذا من نمطه المليح قوله قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وقد كان المطابق لقوله ولكن قولوا أسلمنا أن يقال لهم لا تقولوا آمنا ولكنه لما كان موهما للنهى عن قول الإيمان عدل عنه على ما فيه من الطباق إلى ما سلم الكلام فيه من الوهم وذلك أجل وأعظم من فائدة المطابقة لا سيما فى مخاطبة هؤلاء الذين كانوا يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ألا تراهم كيف غالطوا أنفسهم متغابين وليسوا على ضعفهم متجاهلين عندما أنزل قوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ۞ عاد كلامه (قال استدلال لأبى حنيفة على أن قول القائل أشهد يمين بقوله اتخذوا أيمانهم جنة ولم يصدر منهم إلا قولهم نشهد إنك لرسول الله فجعله يمينا) قال أحمد أحد القولين عند مالك رحمه الله إذا قال أشهد وأحلف وأقسم ولم ينو بالله ولا بغيره كما نقل عن أبى حنيفة أنه يمين وليس بالمشهور أما لو نوى بالله وإن لم يتلفظ فيمين بلا إشكال وليس فيما ذكره دليل على ما ذكره فإن قوله اتخذوا أيمانهم جنة غايته أن ما ذكروه يسمى يمينا وليس الخلاف فى تسميته يمينا وإنما الخلاف هل يكون يمينا منعقدة يلزم بالحنث فيها كفارة أم لا وليس كل ما يسمى حلفا أو قسما يوجب حكما لا ترى أنه لو قال أحلف ولم يقل بالله ولا بغيره فهو من محال الخلاف فى وجوب الكفارة به وإن كان حلفا لغة باتفاق لأنه فعل مشتق منه ۞ عاد كلامه قوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا (قال فيه المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم الخ) قال أحمد ويحتمل وجها رابعا وهو أنهم آمنوا به قبل مبعثه على الصفة المذكورة فى التوراة لأنهم كانوا يسمعونها من جيرانهم اليهود ثم كفروا به بعد مبعثه وموافقة الصفة ولعل فى المنافقين يهودا وإن لم يكن فقد كان الإيمان قبل مبعثه من الفريقين اليهود وعبدة الأوثان من العرب إلى نزول قوله

تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۞ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ

آمنوا إلى قوله تعالى إنما نحن مستهزؤن والثالث أن يراد أهل الردة منهم ۞ وقرئ فطبع على قلوبهم وقرأ زيد بن على فطبع الله ۞ كان عبدالله بن أبي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين فى مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم (فإن قلت) ما معنى قوله (كأنهم خشب مسندة) (قلت) شبهوا فى استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط ولأن الخشب إذا انتفع به كان فى سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان شبهوا بها فى حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب فى رأيتهم تعجبك لرسول الله أو لكل من يخاطب وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر وهى فى قراءة ابن عباس وعن اليزيدى أنه قال فى خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التى دعر جوفها شبهوا بها فى نفاقهم وفساد بواطنهم (عليهم) ثانى مفعولى يحسبون أى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما فى قلوبهم من الرعب إذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ومنه أخذ الأخطل

مازلت تحسب كل شىء بعدهم ۞ خيلا تكر عليهم ورجالا

يوقف على عليهم ويبتدأ (هم العدو) أى الكاملون فى العداوة لأن أعدى الأعداء العدو المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فاحذرهم) ولا تغترر بظاهرهم ويجوز أن يكون هم العدو المفعول الثانى كما لو طرحت الضمير (فإن قلت) فحقه أن يقال هى العدو (قلت) منظور فيه إلى الخبر كما ذكر فى هذا ربى وأن يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة (قاتلهم الله) دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم (لووا رؤسهم) عطفوها وأمالوها إعراضا عن ذلك

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة كيف حكى الله تعالى عن الفريقين ما كانوا يقولونه والبينة النبي ﷺ ۞ قوله تعالى كأنهم خشب مسندة (قال فيه كانوا يجالسون رسول الله ﷺ ويستندون فى المجالس ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن الخ) قال أحمد وفيما قال اليزيدى نظر من حيث مقتضى العربية وإلا فهو متمكن المعنى ذلك أنها قرئت بضم الشين وسكونها قراءتين مستفيضتين ففيه دليل أن أصلها الضم والسكون إنما هو طارئ عليه تخفيفا وهذا يبعد كونها جمع خشباء على وزن فعلاء لأن قياس جمعه فعل بسكون العين كحمراء وحمر ولا يطرأ الضم فلو كان كما قال لم تضم شينها والله تعالى أعلم ۞ قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو (قال المفعول الثانى عليهم تقديره واقعة عليهم الخ) قال أحمد وغلا المتنبى فى المعنى فقال : وضاقت الأرض حتى صار هاربهم ۞ إذا رأى غير شىء ظنه رجلا

عان كلامه (قال) ويوقف على قوله عليهم ويبتدأ هم العدو أى الأعداء الكاملون الخ

(قوله فصيحا ذلق اللسان) أى طلق اللسان كذا فى الصحاح (قوله التى دعر جوفها) أى فسد أفاده الصحاح (قوله العدو المداجى الذى يكاشرك) أى المدارى والكشر التبسم تبدو منه الأسنان والدوى مقصور المرض تقول دوى الرجل بالكسر مرض ودوى صدره أيضا ضغن ودوى الريح حفيفها كذا فى الصحاح (قوله تعجبا من جهلهم) لعله تعجب بل لعله تعجيب

أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۞ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۞ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ

واستكباراً قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين اتى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم إزدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهنى حليف لعبدالله ابن أبى واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ماصحبنا محمداً إلا لنلطم والله مامثلنا ومثلهم إلا كما قال سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الاعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه و بالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث يقال أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبدالله أسكت فإنما كنت ألعب فاخبر زيد رسول الله فقال عمر دعنى أضرب عنق هذا المنافق يارسول الله فقال إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فإن كرهت أن يقتله مهاجرى فأمر به أنصاريا فقال فكيف إذا تحدّث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيئاً من ذلك وإن زيداً لكاذب وهو قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يارسول الله شيخنا وكبيرنا لاتصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم وروى أن رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله زيداً من خلفه فعرك أذنه وقال وفت أذنك ياغلام إنّ الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما أراد عبدالله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبدالله بن عبدالله غير رسول الله اسمه وقال إنّ حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لاتدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل فلم يزل حبيساً فى يده حتى أمره رسول الله بتخليته وروى أنه قال له لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد أنّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً فلما بان كذب عبدالله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتمونى أن أومن فآمنت أمرتمونى أن أزكى مالى فزكيت فما بقى إلا أن أسجد لمحمد فنزلت وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات (سواء عليهم) الاستغفار وعدمه لأنهم لايلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله لايغفر لهم ۞ وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لأنّ أم المعادلة تدل عليه وقرأ أبو جعفر آستغفرت إشباعا لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان لاقلبا لهمزة الوصل ألفا كما فى آلسحر وآلله (ينفضوا) يتفرقوا وقرئ ينفضوا من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم (ولله خزائن السموات والأرض) وبيده الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم ولكن عبدالله وأضرابه جاهلون (لايفقهون) ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان ۞ وقرئ ليخرجنّ الأعز منها الأذل بفتح الياء وليخرجنّ على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن أبى عبلة لنخرجنّ بالنون ونصب الأعز والأذل ومعناه خروج الأذل أو إخراج الأذل أو مثل الأذل (ولله العزة) الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كما أنّ المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض

لا يعلمون * يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخسرون * وأنفقوا من ما رزقنكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصلحين * ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون *

سورة التغابن مدنية : وآياتها ١٨ نزلت بعد التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم * يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شىء

الصالحات وكانت فى هيئة رثة ألست على الإسلام وهو العز الذى لاذل معه والغنى الذى لافقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أن رجلا قال له إن الناس يزعمون أن فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (لاتلهكم) تشغلكم (أموالكم) والتصرف فيها والسعى فى تدبير أمرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها (ولا أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية مايصلحهم من معايشهم فى حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد وأنه أهون شىء وأدونه فى جنب ماعندالله (عن ذكر الله) وإيثاره عليها (ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدنيا عن الدين (فأولئك هم الخاسرون) فى تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من فى (مما رزقناكم) للتبعيض والمراد الإنفاق الواجب (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين مايبأس معه من الإمهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس رضى الله عنه تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه مايمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكى وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه أنها نزلت فى مانعى الزكاة ووالله لو رأى خيراً لما سأل الرجعة فقيل له أماتتقى الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنا يعنى أنها نزلت فى المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن مامن أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج إلاسأل الرجعة وعن عكرمة أنها نزلت فى أهل القبلة (لولا أخرتنى) * وقرئ أخرتن يريد هلاأخرت موتى (إلى أجل قريب) إلى زمان قليل (فأصدق) وقرأ أبى فأتصدق على الأصل وقرئ وأكن عطفا على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتنى أصدق وأكن ومن قرأ وأكون على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير وأكون على وأنا أكون عدة منه بالصلاح (ولن يؤخر الله) نفى للتأخير على وجه التأكيد الذى معناه منافاة المنفى الحكمة والمعنى أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لاسبيل إليه وأنه هاجم لامحالة وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم تبق إلاالمسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله * وقرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

﴿سورة التغابن مختلف فيها وهى ثمان عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شىء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم

قَدِيرٌ ۞ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۞ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

مؤمن) يعنى فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان وفاعل له كقوله تعالى وجعلنا فى ذريتهما والنبوة الكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله تعالى (والله بما تعملون بصير) أى عالم بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والإيجاد عن العدم فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عباداً شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم وقيل هو الذى خلقكم فمنكم كافر بالخالق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (فإن قلت) نعم إن العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق فى علم الحكيم أنه إذا خلقهم لم يفعلوا إلا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه إلى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح إلا واحد وهل مثله إلا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا أما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق فى فروته كما يذمون القاتل بل إنحاؤهم باللوائم على الواهب أشد (قلت) قد علمنا أن الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا أن أفعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب أن يكون حسنا وأن يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح فى حسنه كما لا يقدح فى حسن أكثر مخلوقاته جهلنا بداعى الحكمة إلى خلقها (بالحق) بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فأحسن صوركم) وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا وإليه مصيركم لجزاؤكم على الشكر والتفريط فيه (فإن قلت) كيف أحسن صورهم (قلت) جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل فى أحسن تقويم (فإن قلت) فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون (قلت) لا سماجة ثم

﴿القول فى سورة التغابن﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن (قال فيه معناه فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان الخ) قال أحمد لقد ركب عمياء وخبط خبط عشواء واقتحم وعرا السالك فيه هالك والغابر فيه عاثر وإنما ينصب إلى مهاوى الأراك ويحوم حول مراتع الإشراك ويبحث ولكن على حتفه بظلفه ويتحذلق وما هو إلا يتشدق ويتحقق وما هو إلا يتفسق وهب أنه أعرض عن الأدلة العقلية والنصوص النقلية المتظافرة على أن الله تعالى خالق كل شىء واطرد له فى الشاهد ما ادعاه ومن مذهبه قياس الغائب على الشاهد قد التجأ إلى الاعتراف بأن الله خالق العبد الفاعل للقبيح وأن خلق العبد الفاعل للقبيح بمثابة إعطاء السيف الباتر الرجل الفاجر وأن هذا قبيح شاهدا ولا يلزم أن يكون مثله قبيحا فى خلق الله تعالى أفلا يجوز أن يكون منطويا على حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فما يؤمنه من دعوى أن أفعال العبد وإن استقبحها العقلاء مخلوقة لله تعالى وفى خلقها حكمة استأثر الله بعلمها وهل الفرق إذا إلا عين التحكم ونفس اتباع الهوى هذا ودون تمكنه من اتباع هذه القواعد أن يمكن من القتاد اختراط ومن الجمل أن يلج فى سم الخياط

(قوله فمنكم آت بالكفر وفاعل له) قد أول الآية بمذهب المعتزلة من أن العبد هو الخالق لفعله الاختيارى ومذهب أهل السنة أن العبد ليس له فى فعله إلا الكسب وخالقه فى الحقيقة هو الله عز وجل بدليل قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون، خيرا كان أو شرا وكما أن خالق الكافر لا يستوجب الذم كما سيقول فخالق كفره لا يستوجب الذم لأنه لحكمة وإن خفيت علينا (قوله والدق فى فروته) فى الصحاح الفروة جلدة الرأس والفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة اه

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن

ولكن الحسن كغيره من المعانى على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب مافوقها انحطاط بيناً وإضافتها إلى الموفى عليها لاتستملح وإلافهى داخلة فى حيز الحسن غير خارجة عن حده ألاترى أنك قدتعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى أملح وأعلى فى مراتب الحسن منها فينبو عن الأولى طرفك وتستثقل النظر إليها بعدافتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيآن لاغاية لهما الجمال والبيان نبه بعلمه مافى السموات والأرض ثم يعلمه مايسره العباد ويعلنونه ثم يعلمه ذوات الصدور أن شيئاً من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولاعازب عنه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شىء مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى فى معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما أجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخالق أعظم نعمة من الله على عباده والكفر أعظم كفران من العباد لربهم (ألم يأتكم) الخطاب لكفار مكة و (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا وما أعد لهم من العذاب فى الآخرة (بأنه) بأن الشأن والحديث (كانت تأتيهم رسلهم * أبشر يهدوننا) أنكروا أن تكون الرسل بشراً ولم ينكروا أن يكون الله حجراً (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شىء ومن جملته إيمانهم وطاعتهم (فإن قلت) قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولى والاستغناء معاً والله تعالى لم يزل غنياً (قلت) معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الإيمان ولم يضطرهم إليه مع قدرته على ذلك * الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شىء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى إلى المفعولين تعدى العلم قال ولم أزعمك عن ذاك معزلا * وإن مع مافى حيزه قائم مقامهما * والذين كفروا أهل مكة و (بلى) إثبات لما بعد لن وهو البعث (وذلك على الله يسير) أى لايصرفه عنه صارف * وعنى برسوله والنور محمداً صلى الله عليه وسلم والقرآن * وقرئ نجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون * (فإن قلت) بم انتصب الظرف (قلت) بقوله لتنبؤن أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم أو بإضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون * التغابن مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضاً لنزول السعداء منازل الأشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الأشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم ليس بغبن وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً وما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة ومعنى (ذلك يوم التغابن) وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظام له

* قوله تعالى « واستغنى الله » (قال فيه أطلقه ليتناول كل شىء ثم قال فإن قلت كان التولى فيهم الخ) قال أحمد إنما الحق أنه لم يخلق لهم إيمانا ولاقدرة عليه فكان قادراً أن يخلق لهم الإيمان والقدرة عليه وإنما حرفها الزمخشرى إلى قاعدته

(قوله وإضافتها إلى الموفى عليها) يعنى إلى المفوق عليها من الصور (قوله فما أجهل من يمزج الكفر بالخالق) يريد أهل السنة حيث يقولون أنه تعالى هو الخالق لأعمال العباد حتى الكفر وغيره من المعاصى ولاوجه لتجهيلهم مع استنادهم إلى قوله تعالى « والله خلقكم وما تعملون »

يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

وأن تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لاالتغابن فى أمور الدنيا وإن جلت وعظمت (صالحاً) صفة للمصدر أى عملا صالحاً (إلا بإذن الله) إلا بتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه (يهد قلبه) يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد إن ابتلى صبر وإن أعطى شكر وإن ظلم غفر ۝ وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع او منصوب ووجه النصب أن يكون مثل سفه نفسه أى يهد فى قلبه ويجوز أن يكون المعنى أنّ الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد إليه كقوله تعالى لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون ويهدّ قلبه بمعنى يهتد ويهدأ قلبه يطمئن ويهد ويهدأ على التخفيف (والله بكل شىء عليم) يعلم مايؤثر فيه اللطف من القلوب ممالايؤثر فيه فيمنحه ويمنعه (فإن توليتم) فلا عليه إذا توليتم لأنه لم يكتب عليه طاعتكم إنما كتب عليه أن يبلغ ويبين فحسب (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على التوكل عليه والتقوى به فى أمره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه ۝ إنّ من الأزواج أزواجا يعادين بعولتهنّ ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الأولاد أولاداً يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والأذى (فاحذروهم) الضمير للعدوّ أو للأزواج والأولاد جميعا أى لما علمتم أن هؤلاء لايخلون من عدوّ فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وإن تعفوا) عنهم إذا طلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فإن الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل إنّ ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا أن يعفوا عنهم ويردّوا إليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الأشجعى ذا أهل وولد فإذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا إليه ورققوه فكأنه هم بأذاهم فنزلت (فتنة) بلاء ومحنة لأنهم يوقعون فى الإثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما ألا ترى إلى قوله (والله عنده أجر عظيم) وفى الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل إليهما فأخذهما ووضعهما فى حجره على المنبر فقال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما ثم أخذ فى خطبته وقيل إذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل إلى الأموال والأولاد عنهما (ما استطعتم) جهدكم ووسعكم أى ابذلوا فيها استطاعتكم (واسمعوا) ما توعظون به (وأطيعوا) فيما تأمرون به وتنهون عنه (وأنفقوا) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خيراً لأنفسكم) نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيراً لأنفسكم وافعلوا ما هو

يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝

سورة الطلاق مدنية : وآياتها ١٢ نزلت بعد الإنسان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

خير لها وأنفع وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وبيان لأن هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا ۝ وذكر القرض تلطف فى الاستدعاء (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشراً وسبعمائة إلى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه (شكور) مجاز أى يفعل بكم ما يفعل المبالغ فى الشكر من عظيم الثواب وكذلك (حليم) يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

﴿سورة الطلاق مدنية وهى إحدى عشرة أو اثنتا عشرة أو ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لأن النبى إمام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت إظهاراً لتقدمه واعتباراً لترؤسه وإنه مدره قومه ولسانهم والذى يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده فى حكم كلهم وساداً مسد جميعهم ومعنى (إذا طلقتم النساء) إذا أردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشى إلى الصلاة والمنتظر لها فى حكم المصلى (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك أتيته لليلة بقيت من المحرم أى مستقبلا لها وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبل عدتهن وإذا طلقت المرأة فى الطهر المتقدم للقرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن فى طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضى

﴿القول فى سورة الطلاق﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ قوله تعالى «يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن» (قال فيه خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب الخ) قال أحمد وعلى هذا الفرق جرى قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فمن ربكما يا موسى فأفرد موسى عليه السلام بالنداء لأنه كان أجل الاثنين عليهما السلام وعمهما بالخطاب وقد تقدم فيه وجه آخر ۝ عاد كلامه (قال ومعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن الخ) قال أحمد حمل القراءتين المستفيضة والشاذة على إن وقت الطلاق هو الوقت الذى تكون العدة مستقبلة بالنسبة اليه وادعى أن ذلك معنى المستقبل فيها ونظر اللام فيها باللام فى قولك مؤرخا الليلة لليلة بقيت من المحرم وإنما يعنى أن العدة بالحيض كل ذلك تحامل لمذهب أبى حنيفة فى أن الإقراء الحيض ولا يتم له ذلك فقد استدل أصحابنا بالقراءة المستفيضة وأكدوا الدلالة بالشاذة على أن الإقراء الإطهار ووجه الاستدلال لها على ذلك أن الله تعالى جعل العدة وإن كانت فى الأصل مصدر أظرفا للطلاق المأمور به وكثيراً ما تستعمل العرب المصادر ظرفا مثل خفوق النجم ومقدم الحاج وإذا كانت العدة ظرفا للطلاق المأمور به وزمانه هو الطهر وفاقا فالطهر عدة إذاً ونظير اللام هنا على التحقيق اللام فى قوله ياليتنى قدمت لحياتى وإنما تمنى أن لو عمل عملا فى حياته وقراءته عليه السلام فى قبل عدتهن تحقق ذلك ۝ فإن قيل الشيء جزء منه وداخل فيه وفى صفة مسح الرأس فأقبل بهما وأدبر أى مسح قبل الرأس وهو مقدمها فحينئذ قبل العدة جزء منها وهو الطهر ۝ عاد كلامه (قال والمراد أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه إلى آخره) قال أحمد الأمر كما نقله وضابط السنة عند مالك أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه واحدة وهى غير معتدة والآية تدل لمذهبه على تأويل المتقدمين جميعا أما على تأويل

(قوله وإنه مدرة قومه) فى الصحاح العرب تسمى القرية مدرة اه فالمعنى أنه بمنزلة القرية لقومه

رَبَّكُمْ لَاتُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَايَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ

عدّتهنّ وهذا أحسن الطلاق وأدخله فى السنة وأبعده من الندم ويدل عليه ماروى عن إبراهيم النخعى أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون أن لايطلقوا أزواجهم للسنة إلا واحدة ثم لايطلقوا غير ذلك حتى تنقضى العدّة وكان أحسن عندهم من أن يطلق الرجل ثلاثا فى ثلاثة أطهار وقال مالك بن أنس رضى الله عنه لاأعرف طلاق السنة إلا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت أو متفرقة وأما أبوحنيفة وأصحابه فإنما كرهوا مازاد على الواحدة فى طهر واحد فأما مفرقا فى الأطهار فلا لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهى حائض ماهكذا أمرك الله إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروى أنه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها إن شاء فتلك العدّة التى أمر الله أن تطلق لها النساء وعند الشافعى رضى الله عنه لابأس بإرسال الثلاث وقال لاأعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح. فمالك يراعى فى طلاق السنة الواحدة والوقت وأبو حنيفة يراعى التفريق والوقت والشافعى يراعى الوقت وحده (فإن قلت) هل يقع الطلاق المخالف للسنة (قلت) نعم وهو آثم لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنّ رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم وفى حديث ابن عمر أنه قال يارسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثا فقال له إذن عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر رضى الله عنه أنه كان لايؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا إلاأوجعه ضربا وأجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين أنّ من خالف السنة فى الطلاق فأوقعه فى حيض أو ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف (فإن قلت) كيف تطلق للسنة التى لاتحيض لصغر أو كبر أو حمل وغير المدخول بها (قلت) الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند أبى حنيفة وأبى يوسف يفرق عليهن الثلاث فى الأشهر وخالفهما محمد وزفر فى الحامل فقالا لاتطلق للسنة إلاواحدة وأما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة إلاواحدة ولا يراعى الوقت (فإن قلت) هل يكره أن تطلق المدخول بها واحدة بائنة (قلت) اختلفت الرواية فيه عن أصحابنا والظاهر الكراهة (فإن قلت) قوله إذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الأقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صحّ تخصيصه بذوات الأقراء المدخول بهن (قلت) لاعموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للإناث من الإنس وهذه الجنسية معنى قائم فى كلهن وفى بعضهن فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل «فطلقوهنّ لعدّتهنّ» علم أنه أطلق على بعضهنّ وهنّ المدخول بهن من المعتدات بالحيض (وأحصوا العدّة) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لانقصان فيهنّ (ولا تخرجوهنّ) حتى تنقضى عدّتهنّ (من بيوتهنّ) من مساكنهنّ التى يسكنها قبل العدّة وهى بيوت الأزواج وأضيفت إليهنّ لاختصاصها بهنّ من حيث السكنى (فإن قلت) مامعنى الجمع بين إخراجهم أو خروجهن (قلت) معنى الإخراج أن لايخرجهنّ البعولة غضبا عليهنّ وكراهة

الزمخشرى وتفسيره المقيد بالاستقبال فلأن الطلاق المأمور به أى المأذون فيه فى الآية مقيد بوقت تكون العدة مستقبلة بالنسبة اليه وهذا يأبى وقوع الطلاق فى أثناء العدة الماضى بعضها وأما على تأويلنا فلأنه مقيد بزمان يكون أولا للعدّة وقبلا لها وهذا يأبى من وقوعه مرادفا فى الطهر الثانى والثالث غير أن البدعة عند مالك تتفاوت فلا جرم قال إن طلقها فى الحيض أجبر على الرجعة فإن أبى ارتجع عليه الحاكم وإن طلقها فى طهر مسها فيه أو أردف الطلاق لم يجبره * قوله تعالى وأحصوا العدّة واتقوا الله ربكم لاتخرجوهنّ من بيوتهنّ ولايخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة (قال فيه معناه أكملوا العدّة أقراء ثلاثة مستوفاة) قال أحمد وقوله واتقوا الله ربكم توطئة لقوله لاتخرجوهنّ من

(قوله بين إخراجهم أوخروجهن) لعله وخروجهن (قوله قلت معنى الإخراج) الأولى معنى الجمع بينهما وإلا فالأولى فيما يأتى ومعنى الخروج أن لايخرجن بأنفسهن.

اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ

لمساكنتهن أو لحاجة لهم إلى المساكن وأن لايأذنوا لهن فى الخروج إذا طلبن ذلك إيذانا بأن إذنهم لا أثر له فى رفع الحظر ولايخرجن بأنفسهن إن أردن ذلك (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هى الزنا يعنى إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحد عليهن وقيل إلا أن يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها فى السكنى وقيل إلا أن يبذون فيحل إخراجهن لبذائهن وتؤكده قراءة أبى إلا أن يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة فى نفسه ﴿ الأمر الذى يحدثه الله أن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون (فإذا بلغن أجلهن) وهو آخر العدة وشارفنه فأنتم بالخيار إن شئتم فالرجعة والإمساك بالمعروف والإحسان وإن شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها فى آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (وأشهدوا) يعنى عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبى حنيفة كقوله وأشهدوا إذا تبايعتم وعند الشافعى هو واجب فى الرجعة مندوب إليه فى الفرقة وقيل فائدة الإشهاد أن لايقع بينهما التجاحد وأن لايتهم فى إمساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعى الباقى ثبوت الزوجية ليرث (منكم) قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم (لله) لوجهه خالصا وذلك أن تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الظلم كقوله تعالى « كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم » أى (ذلكم) الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط (يوعظ به ﴿ ومن يتق الله) يجوز أن تكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة وطريقة الأحسن والأبعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد (يجعل) الله (له مخرجا) مما فى شأن الأزواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص (ويرزقه) من وجه لايخطر بباله ولا يحتسبه إن أوفى المهر وأدى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عمن طلق ثلاثا أو ألفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة إثم فى عنقك ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعنى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه السلام إنى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروى أن عوف بن مالك الأشجعى أسر المشركون ابناله يسمى سالما فأتى رسول الله فقال أسر ابنى وشكا إليه الفاقة فقال ما أمسى عند آل محمد إلا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لاحول ولاقوة إلا بالله ففعل فبينا هو فى بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (بالغ أمره) أى يبلغ مايريد لايفوته مراد ولايعجزه مطلوب وقرئ بالغ

بيوتهن حتى كأنه نهى عن الإخراج مرتين مندرجا فى العموم ومفرداً بالخصوص وقد تقدمت أمثاله ﴿ قوله تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره » (قال فيه قوله بالغ أمره بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض

(قوله وقيل إلا أن يبذون) فى الصحاح البذاءة بالمد الفحش تقول بذوت على القوم وأبذيت وقد بذو الرجل
(قوله ويكون ومن يتق الله فطلق للسنة) لعله ويكون المعنى ومن الخ كما فى النسفى

أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا * واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا * ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا * أسكنوهن من حيث سكنتم من

أمره بالإضافة وبالغ أمره بالرفع أى نافذأمره وقرأ المفضل بالغا أمره على أن قوله (قد جعل الله) خبرإن وبالغا حال (قدرا) تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لايكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل * روى أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائى لايحضن فنزلت فمعنى (إن ارتبتم) إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل إن ارتبتم فى دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أواستحاضة (فعدتهن ثلاثة أشهر) وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائى لم يحضن) هن الصغائر المعنى فعدتهن ثلاثة أشهر لحذف لدلالة المذكور عليه * اللفظ مطلق فى أولات الأحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وأبى وأبوهريرة وغيرهم لايفرقون وعن على وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الأجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد التى فى البقرة يعنى أن هذا اللفظ مطلق فى الحوامل وروت أم سلمة أن سبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فأنكحى (يجعل له من أمره يسرا) ييسر له من أمره ويحلل له من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) يريد ماعلم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى ومن يتق الله فى العمل بما أنزل الله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مماذكر من الإسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وإيتاء أجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والأجر العظيم (أسكنوهن) ومابعده بيان لما شرط من التقوى فى قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل أسكنوهن (فإن قلت) من فى (من حيث سكنتم) ماهى (قلت) هى من التبعيضية مبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أى بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أى بعض أبصارهم قال قتادة إن لم يكن إلا بيت واحد فأسكنها فى بعض جوانبه (فإن قلت) فقوله (من وجدكم)

الأمر إليه الخ) قال أحمد ليس بعشك فأدرجى إبراء القدرى وأين التسليم للقدر وليس هذا دينه ولا معتقده من تقسيم الحوادث ثلاثة أقسام فمنها مايريد الله تعالى وجوده وهو المأمورات ولا يقع أكثر مراده منها ومنها مايريد عدمه وهو المنهيات فيوجد أكثرها على خلاف مراده ومنها مالا يريد عدمه ولا وجوده فإن وجد فبغير إرادته عز وجل وإن عدم فكذلك فيتحصل من هذا الهذيان الذى لايتصور أن الكائنات إنما تتبع إرادة الخلق لأنها لاتقع إلا بها فإن وافقت إرادة الله تعالى فليس وقوعها تابعا لها لأنها وقعت بدونها وإن خالفت إرادة الله تعالى لم يكن لمخالفتها للإرادة الربانية تأثير فى منع وقوعها فمن يتوغل فى أدغال هذا الضلال كيف له بالتوكل الذى يتوقف على اعتقاد أن الكائنات جميعها إنما تتوقف على إرادة الله عز وجل فمهما أراده وقع ومهما لم يرده لم يقع شاء العبد أو أبى فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن والعبد مجرى لحدوث الكائنات الواقعة بقدرة الله تعالى وإرادته لاغير لاراد لأمره ولا معقب لحكمه فما القدرى من هذا المقام الشريف إلا على مراحل لايقربه إليها إلا راحلة الإنصاف وزاد التقوى ودليل التوفيق والله حسبنا ونعم الوكيل * قوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم إلى قوله وإن كن أولات حمل الآية

(قوله مبعضها محذوف معناه) قد يقال مبعضها هو مدخولها وهو حيث سكنتم بمعنى مكان سكناهم فلا حذف إلا أن يراد بمبعضها البعض المدلول عليه بها (قوله فإن قلت فقوله من وجدكم) لعل عقبه سقطا تقديره ماموقعه

وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ۞ لِيُنفِقْ

(قلت) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعى ليس للمبتوتة إلا السكنى ولانفقة لها وعن الحسن وحماد لانفقة لها ولاسكنى لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها أبت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسكنى لك ولانفقة وعن عمر رضى الله عنه لاندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها نسيت أوشبه لها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولاتضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقواعليهن) فى المسكن ببعض الاسباب من إنزال من لايوافقهن أو يشغل مكانهن أوغير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج وقيل هو أن يراجعها إذا بقى من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها وقيل هو أن يلجئها إلى أن تفتدى منه (فإن قلت) فإذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط فى قوله (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن) (قلت) فائدته أن مدة الحمل ربما طالت فظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم (فإن قلت) فما تقول فى الحامل المتوفى عنها (قلت) مختلف فيها فأكثرهم على أنه لانفقة لها لوقوع الإجماع على أن من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أوولد صغير لايجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن على وعبد الله وجماعة أنهم أوجبوا نفقتها (فإن أرضعن لكم) يعنى هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدا من غيرهن أومنهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن أجورهن) حكمهن فى ذلك حكم الأظآر ولايجوز عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم الاستئجار إذا كان الولد منهن مالم يبن ويجوز عند الشافعى ۞ الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والأمهات (بمعروف) بجميل وهو المسامحة وأن لايماكس الأب ولاتعاسر الأم لأنه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفى وجوب الاشفاق عليه (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) فستوجد ولاتعوز مرضعة غير الأم ترضعه وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة كماتقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم وقوله له أى للأب أى سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه (لينفق) كل واحد من الموسر والمعسر مابلغه وسعه

(قال أحمد) لايخفى على المتأمل لهذه الآى أن المبتوتة غير الحامل لانفقة لها لأن الآى سيقت لبيان الواجب فأوجب السكنى لكل معتدة تقدم ذكرها ولم يوجب سواه ثم استثنى الحوامل فخصهن بإيجاب النفقة لهن حتى يضعن حملهن وليس بعد هذا البيان بيان والقول بعد ذلك بوجوب النفقة لكل معتدة مبتوتة حاملا أوغير حامل لايخفى منافرته لنظم الآية والزمخشرى نصر مذهب أبى حنيفة فقال فائدة تخصيص الحوامل بالذكر أن الحمل ربما طال أمده فيتوهم متوهم أن النفقة لاتجب بطوله فخصت بالذكر تنبيها على قطع هذا الوهم وغرض الزمخشرى بذلك أن يحمل التخصيص على هذه الفائدة كيلا يكون له مفهوم فى إسقاط النفقة لغير الحوامل لأن أباحنيفة يسوى بين الجميع فى وجوب النفقة ۞ عاد كلامه (قال وفى قوله وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى معاتبة الأم على المعاسرة كما تقول لمن تستفيضه حاجة الخ) قال أحمد وخص الأم بالمعاتبة لأن المبذول من جهتها هو لبنها لولدها وهو غير متمول ولامضنون به فى العرف وخصوصا فى الأم على الولد ولا كذلك المبذول من جهة الأب فإنه المال المضنون به عادة فالأم إذاً أجدى باللوم وأحق بالعتب والله أعلم

(قوله أن زوجها أبتّ طلاقها) لعله بت كما فى النسفى (قوله فى ذلك حكم الأظآر) الظئر المرضع لولد غيرها والجمع ظؤار بالضم وظؤور وأظآر كما فى الصحاح (قوله وفى وجوب الإشفاق) كذا عبارة النسفى

ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا

يريد ماأمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ ليفنق بالنصب أى شرعنا ذلك لينفق ۝ وقرأ ابن أبى عبلة قدر (سيجعل الله) موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الازواج إن أنفقوا ماقدروا عليه ولم يقصروا (عتت عن أمر ربها) أعرضت عنه على وجه العتو والعناد (حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (عذابا نكرا) وقرئ نكرا منكراً عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها ومايذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضى كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونحو ذلك لأن المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى فى الحقيقة وماهو كائن فكأن قد وقوله (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك (يا أولى الألباب) من المؤمنين لطفا فى تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد إحصاء السيئات واستقصاؤها عليهم فى الدنيا وإثباتها فى صحائف الحفظة وماأصيبوا به من العذاب فى العاجل وأن يكون عتت وماعطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين (رسولا) هو جبريل صلوات الله عليه أبدل من ذكرا لأنه وصف بتلاوة آيات الله فكان إنزاله فى معنى إنزال الذكر فصح إبداله منه أو أريد بالذكر الشرف من قوله وإنه لذكر لك ولقومك فأبدل منه كأنه فى نفسه شرف إما لأنه شرف للمنزل عليه وإما لأنه ذو مجد وشرف عند الله كقوله تعالى عند ذى العرش مكين أو جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كأنه ذكر أو أريد ذا ذكر أى ملكا مذكورا فى السموات وفى الأمم كلها أو دل قوله أنزل الله إليكم ذكرا على أرسل فكأنه قيل أرسل رسولا أو أعمل ذكرا فى رسولا إعمال المصدر فى المفاعيل أى أنزل الله أن ذكر رسولا أو ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول ۝ أنزل (ليخرج الذين آمنوا) بعد إنزاله أى ليحصل لهم ماهم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح لأنهم كانوا وقت إنزاله غير مؤمنين وإنما آمنوا بعد الإنزال والتبليغ أو ليخرج الذين عرف منهم أنهم يؤمنون ۝ قرئ يدخله بالياء والنون (قد أحسن الله له رزقا) فيه معنى التعجيب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب (الله الذى خلق) مبتدأ وخبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الأرض قيل مافى القرآن آية تدل على أن الارضين سبع إلا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والأرضون مثل السموات (يتنزل الامر بينهن) أى يجرى أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة فى كل سماء وفى كل أرض من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو مايدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس أن نافع

قوله تعالى قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا (ذكر فيه ستة أوجه إبدال الرسول من الذكر لأن إنزاله فى معنى إنزال الذكر الخ) قال أحمد وعلى هذين الوجهين الأخيرين يكون مفعولا إما بالفعل المحذوف أو بالمصدر وعلى الاربعة المتقدمة بدلا والله سبحانه وتعالى أعلم

أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

سورة التحريم مدنية : وآياتها ١٢ نزلت بعد الحجرات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ

ابن الأزرق سأله هل تحت الأرضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال إما ملائكة أوجن (لتعلموا) قرئ بالتاء والياء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿سورة التحريم مدنية وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم وهى ثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى علىّ وقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعاً وعشرين ليلة فى بيت مارية وروى أن عمر قال لها لو كان فى آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك فى الجنة وروى أنه شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له إنا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فمعناه (لم تحرم ما أحلّ الله لك) من ملك اليمين أو العسل و (تبتغى) إما تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحلّ الله لأنّ الله عزّ وجل إنما أحلّ ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها فى إحلاله فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (والله غفور) قد غفر لك مازللت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم)

﴿القول فى سـورة التحريم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك (نقل فى سبب نزولها أنه عليه السلام خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى الخ) قال أحمد ما أطلقه الزمخشرى فى حق النبى صلى الله عليه وسلم تقول وافتراء والنبى صلى الله عليه وسلم منه براء وذلك أن تحريم ما أحله الله على وجهين اعتقاد ثبوت حكم التحريم فيه فهذا بمثابة اعتقاد حكم التحليل فيما حرمه الله عزّ وجل وكلاهما محظور لا يصدر من المتسمين بسمة الإيمان وإن صدر سلب المؤمن حكم الإيمان واسمه ۞ الثانى الامتناع مما أحله عز وجل وحمل التحريم بمجرده صحيح لقوله وحرمنا عليه المراضع من قبل أى منعناه لا غير وقد يكون مؤكداً باليمين مع اعتقاد حله وهذا مباح صرف حلال محض ولو كان على المنع ترك المباح والامتناع منه غير مباح استحالت حقيقة الحال بلا إشكال فإذا علمت بون ما بين القسمين فعلى القسم الثانى تحمل الآية والتفسير الصحيح يعضده فإن النبى صلى الله عليه وسلم حلف بالله لا أقرب مارية ولما نزلت الآية كفر عن يمينه ويدل عليه قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم وقال مالك فى المدونة عن زيد بن أسلم إنما كفر النبى ﷺ فى تحريمه أم ولده لأنه حلف أن لا يقربها ومثله عن الشعبى وهذا المقدار مباح ليس فى ارتكابه جناح وإنما قيل له لم تحرم ما أحل الله لك رفقاً به وشفقة عليه وتنويهاً لقدره ولمنصبه ﷺ أن يراعى مرضات أزواجه بما يشق عليه جرياً على ما ألف من لطف الله تعالى بنبيه ورفعه عن أن يحرج بسبب أحد من البشر الذين هم أتباعه ومن أجله خلقوا ليظهر الله كال نبوته بظهور نقصانهم عنه والزمخشرى قطعاً لم يحمل التحريم على هذا الوجه لأنه جعل زلة فيلزمه أن يحمله على المحمل الأول ومعاذ الله وحاش لله وإن آحاد المؤمنين يحاشى عن أن يعتقد تحريم ما أحل الله له فكيف لا يربأ بمنصب النبى عليه السلام عما يرتفع عنه

حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ

فيه معنيان أحدهما قد شرع الله لكم الاستثناء فى أيمانكم من قولك حلل فلان فى يمينه إذا استثنى فيها ومنه حلا أبيت اللعن بمعنى استثن فى يمينك إذا أطلقها وذلك أن يقول إن شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثانى قد شرع الله لكم تحلتها بالكفارة ومنه قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم وقول ذى الرمة قليلا كتحليل الألىّ (فإن قلت) ما حكم تحريم الحلال (قلت) قد اختلف فيه فأبو حنيفة يراه يميناً فى كل شىء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فإذا حرم طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية وإن نوى الظهار فظهار وإن نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك إن نوى ثنتين وإن نوى ثلاثا فكما نوى وإن قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين فى القضاء بإبطال الإيلاء وإن قال كل حلال علىّ حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعى يميناً ولكن سبباً فى الكفارة فى النساء وحدهن وإن نوى الطلاق فهو رجعى عنده وعن أبى بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضى الله عنهم أن الحرام يمين وعن عمر إذا نوى الطلاق فرجعى وعن على رضى الله عنه ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما أبالى أحرمتها أم قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبى قال ليس بشىء محتجاً بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام و قوله تعالى تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم وما لم يحرمه الله تعالى فليس لأحد أن يحرمه ولا أن يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أحله الله هو حرام علىّ وإنما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله عليه السلام والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما أحل الله لك أى لم تمتنع منه بسبب اليمين يعنى قدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع أى منعناه منها وظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أنه كانت منه يمين (فإن قلت) هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك (قلت) عن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم المؤمنين وعن مقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة فى تحريم مارية (والله مولاكم) سيدكم ومتولى أموركم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم لأنفسكم (بعض أزواجه) حفصة والحديث الذى أسر إليها حديث مارية وإمامة الشيخين (نبأت به) أفشته إلى عائشة وقرئ أنبأت به (وأظهره) وأطلع النبى عليه السلام (عليه) على الحديث أى على إفشائه على لسان جبريل وقيل أظهر الله الحديث على النبى صلى الله عليه وسلم من الظهور (عرف بعضه) أعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه أى جازى عليه من قولك للمسىء لأعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت ومنه أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم وهو كثير فى القرآن وكان جزاؤه تطليقه إياها وقيل المعرف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها ألم أقل لك اكتمى علىّ قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها أباها (فإن قلت) هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه (قلت) ليس الغرض بيان المذاع إليه ومن المعروف وإنما هو ذكر جناية حفصة فى وجود الإنباء به وإفشائه من قبلها وأن رسول الله

منصب عامة الأمة وما هذه من الزمخشرى إلا جراءة على الله ورسوله وإطلاق القول من غير تحرير وإبراز الرأى الفاسد بلا تخمير نعوذ بالله من ذلك وهو المسئول أن يجعل وسيلتنا إليه تعظيما لنبينا صلوات الله عليه وأن يجنبنا خطوات الشيطان ويقيلنا من عثرات اللسان آمين * قوله تعالى فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض (قال فيه إن قلت هلا قيل فلما نبأت به بعضهن

(قوله ومنه حلا أبيت اللعن) فى الصحاح يقال حلا أى استثنى وياحالف اذكر حلا وهو بالكسر أفاده الصحاح أيضاً
(قوله كتحليل الألى) فى الصحاح الإلية اليمين على فعيلة وكذلك الألوه والألوه والألوة فأما الألوّة بالتشديد فهو العود الذى يتبخر به اهـ فالألى فى كلام ذى الرمة جمع الألوة بالتخفيف كالمدية والمدى والخطوة والخطى

نَبَّأَنِىَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۞ إِن تَتُوبَآ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۞ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ

صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه إلا الإعلام ببعضه وهو حديث الإمامة ألا ترى أنه لما كان المقصود فى قوله (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا) ذكر المنبأ كيف أتى بضميره (إن تتوبا) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما وعن ابن عباس لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالإداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ما سألته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة (فقد صغت قلوبكما) فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب فى مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت (وإن تظاهرا) وإن تعاونا (عليه) بما يسوءه من الإفراط فى الغيرة وإفشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه أى وليه وناصره وزيادة هو إيذان بأن نصرته عزيمة من عزائمه وأنه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من بين الملائكة تعظيما له وإظهارا لمكانته عنده (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين يعنى كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الأنبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم (فإن قلت) صالح المؤمنين واحد أم جمع (قلت) هو واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت فى السامر والحاضر ويجوز أن يكون أصله صالحوا المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت أشياء فى المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط (والملائكة) على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وناموسه وصالحى المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه (فإن قلت) قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله تعالى أعظم وأعظم (قلت) مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكأنه فضل نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته تعالى لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا ۞ قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (سائحات) صائمات وقرئ سيحات وهى أبلغ وقيل للصائم سائح لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم فى إمساكه إلى أن يجئ وقت إفطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن أسلم لم تكن فى هذه الأمة سياحة إلا الهجرة (فإن قلت) كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم تكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين (قلت) إذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وإيذائهن إياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك فى قوله قانتات لأن القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله فى طاعة رسوله (فإن قلت) لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والأبكار (قلت) لأنهما صفتان متنافيتان

وعرفها ببعضه وأجاب بأنه ليس الغرض بيان من المذاع إليه ومن المعروف الخ ۞ قوله تعالى إن تتوبا إلى الله إلى قوله والملائكة بعد ذلك ظهير (قال فيه جاء على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما الخ ۞ قوله تعالى عسى ربه إن طلقكن الآية (قال فيه إن قلت لم أخليت هذه الصفات من العاطف الخ) قال أحمد وقد ذكر لى الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله أن القاضى الفاضل

(قوله لفضلهم على جميع خلقه) مذهب المعتزلة تفضيل الملك على البشر وأهل السنة على تفضيل بعض البشر على الملائكة

(قوله نساء خير من أمهات المؤمنين) لعله خيرا

وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ۝ يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون ۝ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله

لا يجتمعن فيهما اجتماعهن فى سائر الصفات فلم يكن بد من الواو (قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وفى الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه فى الجنة وقيل إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل (فإن قلت) أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم (قلت) لا ولكن المعطوف مقارن فى التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لا يتقد إلا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى حجارة الكبريت وهى أشد الأشياء حرا إذا أوقد عليها وقرئ وقودها بالضم أى ذو وقودها (عليها) يلى أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعنى الزبانية التسعة عشر وأعوانهم (غلاظ شداد) فى أجرامهم غلظة وشدة أى جفاء وقوة أو فى أفعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة فى تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه (ما أمرهم) فى محل النصب على البدل أى لا يعصون ما أمر الله أى أمره كقوله أفعصيت أمرى أو لا يعصونه فيما أمرهم (فإن قلت) أليست الجملتان فى معنى واحد (قلت) لا فإن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (فإن قلت) قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحى بهذا بعينه فى قوله تعالى فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين (قلت) الفساق وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فإنهم مساكنون الكفار فى دار واحد فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الكفار الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقى من الارتداد والندم على الدخول فى الإسلام وأن يكون خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله تعالى على أثره (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لأنه لا عذر لكم أو لأنه

عبد الرحيم البيسانى الكاتب رحمه الله كان يعتقد أن الواو فى الآية هى الواو التى سماها بعض ضعفة النحاة واو الثمانية لأنها ذكرت مع الصفة الثامنة فكان الفاضل يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة صلة أحدها التى فى الصفة الثامنة من قوله التائبون العابدون عند قوله والناهون عن المنكر والثانية فى قوله وثامنهم كلبهم والثالثة فى قوله وفتحت أبوابها قال الشيخ أبو عمرو ابن الحاجب ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه إلى أن ذكره يوما بحضرة أبى الجود النحوى المقرى فبين له أنه واهم فى عدها من ذلك القبيل وأحال البيان على المعنى الذى ذكره الزمخشرى من دعاء الضرورة إلى الإتيان بها ههنا لامتناع اجتماع الصفتين فى موصوف واحد وواو الثمانية إن ثبتت فإنما ترد بحيث لا حاجة إليها إلا الإشعار بتمام نهاية العدد الذى هو السبعة فأنصفه الفاضل رحمه الله واستحسن ذلك منه وقال أرشدتنا يا أبا الجود ۝ عاد كلامه (قال فى قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا) قرئ وأهلوكم . قال أحمد ولكن المعطوف مقارن فى التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده كأنه قال قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم ولكن لما اجتمع ضمير المخاطب والغائبين غلب ضمير الخطاب على ضمير الغيبة (ثم قال فإن قلت قوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أليس الجملتان فى معنى واحد وأجاب بأن معنى الأولى أنهم يلتزمون الأوامر ولا يأتونها الخ) قال أحمد جوابه الأول مفرع على قاعدته الفاسدة فى اعتقاد خلود الفساق فى جهنم ولعله إنما أورد السؤال ليتكلف عنه بجواب ينفس عما فى نفسه مما لا يطيق كتمانه من هذا الباطل نعوذ بالله منه وإلا فالسؤال غير وارد فإنه لا يمتنع أن المؤمن يحذر من عذاب الكافر أن يناله على الإيمان كقوله فى آل عمران خطابا للمؤمنين واتقوا النار التى أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون

(قوله لا يجتمعن فيهما اجتماعهن) لعل فيه قلبا والأصل لا يجتمعان فيهن اجتماع سائر الصفات فيهن

تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞

لاينفعكم الاعتذار (توبة نصوحا) وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازى والنصح صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيآت وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لايعودون فى قبيح من القبائح إلى أن يعود اللبن فى الضرع موطنين أنفسهم على ذلك وعن على رضى الله تعالى عنه أنه سمع أعرابيا يقول اللهم إنى أستغفرك وأتوب اليك فقال ياهذا إنّ سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وماالتوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة وردّ المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لاتعود وأن تذيب نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصى وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب أن لايعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وعن ابن السماك أن تنصب الذنب الذى أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك ويستعد لمنتظرك وقيل توبة لايتاب منها وعن السدى لاتصح التوبة إلا بنصيحة النفس والمؤمنين لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خلك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح إذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن على توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور أى ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له (عسى ربكم) إطماع من الله لعباده وفيه وجهان أحدهما أن يكون على ماجرت به عادة الجبابرة من الإجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثانى أن يجىء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذى يدل على المعنى الأول وأنه فى معنى البت قراءة ابن أبى عبلة ويدخلكم بالجزم عطفاً على محل عسى أن يكفر كأنه قيل توبوا يوجب لكم تكفير سيآتكم ويدخلكم (يوم لايخزى الله) نصب بيدخلكم ولا يخزى تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق واستحماد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم (يسعى نورهم) على الصراط (أتمم لنا نورنا) قال ابن عباس يقولون ذلك إذا طفىء نور المنافقين إشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا إلى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله أدناهم منزلة لأنهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ أقدامهم لأنّ النور على قدر الأعمال فيسألون إتمامه تفضلا وقيل السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفاً فأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا (فإن قلت) كيف يشفقون والمؤمنون آمنون أم من يأتى آمنا يوم القيامة لاخوف عليهم لايحزنهم الفزع الأكبر أو كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب (قلت) أما الإشفاق فيجوز أن يكون على عادة البشرية وإن كانوا معتقدين الأمن وأما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ماهو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالاحتجاج واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين لإقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل

(قوله وترم خلك) فى الصحاح الخل الثوب البالى وعبارة النسفى خللك وفى الصحاح الخلل بالتحريك الفرجة بين الشيئين وفساد فى الأمر (قوله الفزع الأكبر أو كيف) لعله وكيف

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۞ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ

بإفشاء أسرارهم ۞ مثل الله عز وجل حال الكفار فى أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير إبقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد وإن كان المؤمن الذى يتصل به الكافر نبياً من أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج إغناء تاما من عذاب الله (وقيل) لهما عند موتهما أو يوم القيامة (ادخلا النار مع) سائر (الداخلين) الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط ومثل حال المؤمنين فى أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئاً من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفاراً وفى طى هذين التمثيلين تعريض بأمى المؤمنين المذكورتين فى أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما فى التمثيل من ذكر الكفر ونحوه فى التغليظ قوله تعالى ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين وأشار إلى أن من حقهما أن تكونا فى الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله فإن ذلك الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة أرجح لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله وأسرار التنزيل ورموزه فى كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره ۞ (فإن قلت) ما فائدة قوله من عبادنا (قلت) لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح فى الإنسان كائناً من كان وأنه وحده هو الذى يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بأنهما عبدان لم يكونا إلا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم إلا بالصلاح وحده إظهاراً وإبانة لأن عبدا من العباد لا يرجح عنده إلا بالصلاح لا غير وأن ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب الرجحان عنده (فإن قلت) ما كانت خيانتهما (قلت) نفاقهما وإبطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه إنه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لأنه سمج فى الطباع نقيصة عند كل أحد بخلاف الكفر فإن الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما بغت امرأة نبى قط وامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هى عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الإفك فعذبها فرعون . عن أبى هريرة أن فرعون وتد امرأته بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس وأضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل أمر بأن تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقى بروحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله أكرم نجاة فرفعها إلى الجنة فهى تأكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة أريت بيتها فى الجنة يبنى وقيل إنه من درة وقيل كانت تعذب فى الشمس فتظلها الملائكة (فإن قلت) ما معنى الجمع بين عندك وفى الجنة (قلت) طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه ثم بينت مكان القرب

۞ عاد كلامه فى قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا الآية (قال فيه) مثل الله حال الكفار فى أنهم يعاقبون على كفرهم أغلظ عقاب

(قوله حال الكفار فى أنهم يعاقبون على كفرهم) أى الذين بينهم وبين المؤمنين علاقة وقوله مثلهم أى ممن لا علاقة بينهم وبين المؤمنين (قوله على التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم) لعله من التظاهر كعبارة النسفى

عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ۞

بقولها فى الجنة أو أرادت ارتفاع الدرجة فى الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التى هى أقرب إلى العرش وهى جنات المأوى فعبرت عن القرب إلى العرش بقولها عندك (من فرعون وعمله) من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الأصنام والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجنى من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على أنّ الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الأنبياء والمرسلين فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين (فيه) فى الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ فى سورة الأنبياء والضمير للجملة وقد مرلى فى هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب الدرع ومعنى أحصنته منعته جبريل وأنه جمع فى التمثيل بين التى لها زوج والتى لازوج لها تسلية للأرامل وتطييبا لأنفسهن (وصدّقت) قرئ بالتشديد والتخفيف على أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعنى وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه (فإن قلت) فما كلمات الله وكتبه (قلت) يجوز أن يراد بكلماته صحفه التى أنزلها على إدريس وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الأربعة وأن يراد جميع ماكلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه فى اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه أى بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الإنجيل (فإن قلت) لم قيل (من القانتين) على التذكير (قلت) لأنّ القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على إناثه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لأنها من أعقاب هرون أخى موسى صلوات الله عليهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وأما ماروى أنّ عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة تعنى مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضالها قالت وما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث أثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله تعالى جماعة من الكفار بأسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم فى التمثيل للمؤمنين وأبى الله إلا أن يجعل المصنوع أمارة تنم عليه وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أحكم وأسلم من ذلك . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

وأشدّه من غير إبقاء الخ ۞ قوله تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه (قال فيه يجوز أن يراد بالكلمات الصحف التى أنزلها الله تعالى على إدريس وغيره سماها كلمات لقصرها الخ) قال أحمد هو يعتقد حدوث كلام الله ويجحد الكلام القديم فلا جرم أن كلامه لايعدو الإشعار بأنّ كلمات الله متناهية لأنه فى الوجه الأول جعلها مجموعة جمع قلة لقصرها وفى الثانى حصرها بقوله جميع وأين وصفه لها بالقصر والحصر من الآيتين التوأمتين اللتين إحداهما قوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى والأخرى قوله ولو أنّ مافى الأرض من شجرة أقلام الآية وما هو فى الحقيقة إلا غير مؤمن بكلمات الله تعالى فالحق أنّ كلام الله تعالى صفة من صفات كماله أزلية أبدية غير متناهية فهكذا آمنت امرأة فرعون المتلو ثناؤها فى كتاب الله العزيز ثبتنا الله على الإيمان ووقانا الخذلان والله المستعان ۞ عاد كلامه (قال) وامرأة فرعون اسمها آسية بنت مزاحم وما نقل فى الحديث أنّ عائشة قالت يارسول الله لم سمى الله المؤمنة ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها الخ

(قوله وبكتبه الكتب الأربعة) لعلها علمت بالإنجيل والقرآن نزولهما

سورة الملك مكية : وآياتها ٣٠ نزلت بعد الطور

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير ۝ الذى خلق الموت والحيوة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ۝ الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من

﴿ســـورة الملك مكية وهى ثلاثون آية

وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقى وتنجى قارئها من عذاب القبر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذى بيده الملك) على كل موجود (وهو على كل) مالم يوجد مما يدخل تحت القدرة (قدير) وذكر اليد مجاز عن الإحاطة بالملك والاستيلاء عليه ۝ والحياة ما يصح بوجوده الإحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذى يصح منه أن يعلم ويقدر ۝ والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) ويسمى علم الواقع منهم باختبارهم بلوى وهى الخبرة استعارة من فعل المختبر ونحوه قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ۝ (فإن قلت) من أين تعلق قوله (أيكم أحسن عملا) بفعل البلوى (قلت) من حيث أنه تضمن معنى العلم فكأنه قيل ليعلمكم أيكم أحسن عملا وإذا قلت علمته أزيد أحسن عملا أم هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثانى من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملا (فإن قلت) أتسمى هذا تعليقا (قلت) لا إنما التعليق أن توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت أيهما عمرو وعلمت أزيد منطلق ألا ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا فى قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا أحسن عملا قيل أخلصه وأصوبه لأنه إذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك إذا كان صوابا غير خالص فالخالص أن يكون لوجه الله تعالى والصواب أن يكون على السنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فلما بلغ قوله أيكم أحسن عملا قال أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله يعنى أيكم أتم عقلا عن الله وفهما لأغراضه والمراد أنه أعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح لأن وراءه البعث والجزاء الذى لا بد منه وقدم الموت على الحياة لأن أقوى الناس داعيا إلى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم (وهو العزيز) الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب من أهل الإساءة (طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل إذا خصفها طبقا

﴿القول فى سورة الملك﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى هو الذى خلق الموت والحياة (قال أى ما يوجب كون الشيء حيا أو ما يصح بوجوده الإحساس والموت عدم ذلك الخ) قال أحمد أخطأ فى تفسير الموت ديدنه المعروف أن يفسر ويتبع التفسير آراء القدرية ومنها قطع الله ذكرها أن الموت عدم وهو خطأ صراح ومعتقد أهل السنة أنه أمر وجودى يضاد الحياة وكيف يكون العدم بهذه المثابة ولو كان العدم مخلوقا حادثا وعدم الحوادث مقرر أزلا للزم قطع الحوادث أزلا وذلك أبشع من القول بقدم العالم فانظر إلى هذا الهوى أين مؤداه وكيف أهوى بصاحبه فأرداه نعوذ بالله من الزلل والخطل عاد كلامه قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا (قال فيه أين تعلق قوله أيكم أحسن عملا بفعل البلوى وأجاب بأن معناه ليعلمكم أيكم أحسن عملا لأن البلوى تتضمن العلم الخ) قال أحمد التعليق عن أحد المفعولين مختلف فيه بين النحاة والأصح ما أجازه وهو فى هذا الفن يمشى وفيه يدرج ويدرى كيف يدخل فيه ويخرج ۝ قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك

تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝
وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا

على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقا (من تفاوت) وقرئ من تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته أى من اختلاف واضطراب من الخلقة ولا تناقض إنما هى مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفى نقيضه متناصف (فإن قلت) كيف موقع هذه الجملة مما قبلها (قلت) هى صفة مشايعة لقوله طباقا وأصلها ماترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب فى ماترى للرسول أو لكل مخاطب وقوله تعالى (فارجع البصر) متعلق به على معنى التسبيب أخبره بأنه لا تفاوت فى خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ماأخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع ۝ وأمره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا (ينقلب إليك) أى إن رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب بل يرجع إليك بالخسوء والحسور أى بالبعد عن إصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالإعياء والكلال لطول الإجالة والترديد (فإن قلت) كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين (قلت) معنى التثنية التكرير بكثرة كقولك لبيك وسعديك تريد إجابات كثيرة بعضها فى أثر بعض وقولهم فى المثل دهدرين سعد القين من ذلك أى باطلا بعد باطل (فإن قلت) فما معنى ثم ارجع (قلت) أمره برجع البصر ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الأولى بالنظرة الحمقاء وأن يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة فإنه لا يعثر على شيء من فطور (الدنيا) القربى لأنها أقرب السموات إلى الناس ومعناه السماء الدنيا منكم ۝ والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بإثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التى اجتمعتم فيها (بمصابيح) أى بأى مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة وضممنا إلى ذلك منافع أخر أنا (جعلناها رجوما ا) لأعدائكم ا(لشياطين) الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات وتهتدون بها فى ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف مالا علم له به وعن محمد بن كعب فى السماء نجم والله مالأحد من أهل الأرض ولكنهم يبتغون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم

البصر خاسئاً وهو حسير (قال فيه لم خص الكرتين فأجاب بأن معنى التثنية ههنا التكثير الخ) قال أحمد وفى قوله ينقلب إليك البصر وضع للظاهر موضع المضمر وفيه من الفائدة التنبيه على أن الذى يرجع خاسئاً حسيراً غير مدرك الفطور هو الآلة التى يلتمس بها إدراك ماهو كائن فإذا لم يدرك شيء دل على أنه لا شيء ومن هذا القبيل قوله خلق سبع سموات طباقا ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت وأصله ماترى فى خلقهن من تفاوت ولكنه ذكرهن منسوبات لخالق الرحمن تنبيهاً على السبب الذى ربأ بهن

(قوله بالصغار والقماءة) أى الصغر والذل كما فى الصحاح (قوله دهدرين) دهدرين الخ فى القاموس بضم الدالين وفتح الراء المشددة اسم لبطل وللباطل والكذب كالدهدر ودهدرين سعد القين أى بطل سعد الحداد أو أن فينا ادعى أن اسمه سعد زمانا ثم تبين كذبه فقيل له ذلك أى جمعت باطلا إلى باطل ياسعد الحداد ويروى منفصلا ده أمر من الدهاء ودرين من دراى تتابع أى بالغ فى الكذب ياسعد وفيه غير ذلك فراجعه كذا بهامش الأصل (قوله ودورهم بأثقاب المصابيح) فى الصحاح ثقبت النار اتقدت وأثقبتها أنا وشهاب ثاقب أى مضيء

بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ۞ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور ۞ تكاد تميز من الغيظ كلما
ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ۞ قالوا بلى قد جاءنا نذير ۞ فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء
إن أنتم إلا فى ضلال كبير ۞ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ۞ فاعترفوا بذنبهم

وهو مصدر سمى به مايرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين أن الشهب التى تنقض لرمى المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لأنهم يرجمون بالكواكب أنفسها لأنها قارة فى الفلك على حالها وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لاتنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الإنس وهم النجامون (وأعتدنا لهم عذاب السعير) فى الآخرة بعد عذاب الإحراق بالشهب فى الدنيا والذين كفروا بربهم أى ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفاً على عذاب السعير (إذا ألقوا فيها) أى طرحوا كما يطرح الحطب فى النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله تعالى حصب جهنم (سمعوا لها شهيقاً) إما لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها أو من أنفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق وإما للنار تشبيهاً لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه ۞ وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظاً ويتقصف غضباً وغضب فطارت منه شقة فى الأرض وشقة فى السماء إذا وصفوه بالإفراط فيه ويجوز أن يراد غيظ الزبانية (ألم يأتكم نذير) توبيخ يزدادون به عذابا إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم ۞ وخزنتها مالك وأعوانه من الزبانية (قالوا بلى) اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأن الله عز وعلا أزاح عللهم ببعثة الرسل وإنذارهم ماوقعوا فيه وأنهم لم يؤتوا من قدره كما تزعم المجبرة وإنما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وأمر به وأوعد على ضده (فإن قلت) (إن أنتم إلا فى ضلال كبير) من المخاطبون به (قلت) هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على أن النذير بمعنى الإنذار والمعنى ألم يأتكم أهل نذير أو وصف منذروهم لغلوهم فى الإنذار كأنهم ليسوا إلا إنذاراً وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله تعالى إنا رسول رب العالمين أى حاملا رسالته ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على إرادة القول أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم فى الدنيا أو أرادوا بالضلال الهلاك أو سموا عقاب الضلال باسمه أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أى قالوا لنا هذا فلم نقبله (لو كنا نسمع) الإنذار سماع طالبين للحق ۞ أو نعقله عقل متأملين وقيل إنما جمع بين السمع والعقل لأن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأى كأن هذه الآية نزلت بعد

على الفطور والتفاوت قوله تعالى «وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير» (حمل الشياطين على ظاهره ونقل عن بعضهم أن معناها وجعلناها ظنونا ورجوماً بالغيب الخ) قال أحمد وهذا من الاستطراد لما ذكر وعيد الشياطين استطرد ذلك وعيد الكافرين عموما والله أعلم ۞ قوله تعالى لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير (قال فيه معناه لو كنا نسمع للانذار سماع طالبين للحق الخ) قال أحمد إن عنى أن الأحكام الشرعية تستفاد من العقل كما تستفاد من السمع بناء على قاعدة التحسين والتقبيح فهو غير بعيد من أصحاب السعير وإن عنى أن العقل يرشد إلى العقائد الصحيحة والسمع يختص بالأحكام الشرعية فهو مع أهل السنة ۞ عاد كلامه (قال ومن بدع التفاسير أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأى الخ) قال أحمد

(قوله تشبيهاً لحسيسها) فى الصحاح الحس والحسيس الصوت الخفى (قوله كما تزعم المجبرة) إن كان مراده أهل السنة كعادته لقولهم إنه تعالى هو الخالق لأفعال العباد وأنها بقضائه تعالى وقدره بل من جهة مالهم فيها من الكسب والاختيار كما تقرر فى محله وإن كان مراده القائلين بالجبر المحض وأن العبد كالريشة المعلقة فى الهواء لادخل له فى عمله أصلا فقد أصاب للفرق الضرورى بين حركة اليد فى البطش وحركتها فى الارتعاش كما تقرر فى علم التوحيد فارجع إليه

فَسُحْقًا لِأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ

ظهور هذين المذهبين وكأن سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين قد أنزل الله وعيدهم وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم إليهم حادى عشر كأن من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين (بذنبهم) بكفرهم فى تكذيبهم الرسل (فسحقا) قرئ بالتخفيف والتثقيل أى فبعدا لهم اعترفوا أو جحدوا فإن ذلك لا ينفعهم ۝ ظاهره الأمر بأحد الأمرين الإسرار والإجهار ومعناه ليستوعندكم إسراركم وإجهاركم فى علم الله بهما ثم أنه علله (أنه عليم بذات الصدور) أى بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ۝ ثم أنكر أن لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر (من خلق) الأشياء وحاله أنه اللطيف الخبير والمتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا بمعنى ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروى أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمعه إله محمد فنبه الله على جهلهم (فإن قلت) قدرت فى ألا يعلم مفعولا على معنى ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر فى القلب وأظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطى ويمنع وهلا كان المعنى ألا يكون عالما من هو خالق لأن الخالق لا يصح إلا مع العلم (قلت) أبت ذلك الحال التى هى قوله وهو اللطيف الخبير لأنك لو قلت ألا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لأن ألا يعلم معتمد على الحال والشىء لا يوقت بنفسه فلا يقال ألا يعلم وهو عالم ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم بكل شىء ۝ المشى فى مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شىء من البعير وأنبأه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فإذا جعلها فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فى جبالها فإذا أمكنكم السلوك فى جبالها فهو أبلغ التذليل وقيل جوانبها ۝ والمعنى وإليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (من فى السماء) فيه وجهان أحدهما من ملكوته فى السماء لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ

ولو تفطن نبيه لهذه الآية لقدها دليلا على تفضيل السمع على البصر فإنه قد استدل على ذلك بأخفى منها ۝ قوله تعالى «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» (قال فيه أنكر أن لا يحيط علما بالسر أو الجهر من خلق ذلك الخ) قال أحمد هذه الآية رد على المعتزلة وتصحيح للطريق التى يسلكها أهل السنة فى الرد عليهم فإن أهل السنة يستدلون على أن العبد لا يخلق أفعاله بأنه لا يعلمها وهو استدلال بنفى اللازم الذى هو العلم على نفى الملزوم الذى هو الخلق وبهذه الملازمة دلت الآية فإن الله تعالى أرشد إلى الاستدلال على ثبوت العلم له عز وجل بثبوت الخلق وهو استدلال بوجود الملزوم على وجود اللازم فهو نور واحد يقتبس منه ثبوت العلم للبارى عز وجل وإبطال خلق العبد لأفعاله وإعراب الآية ينزل على هذا المعنى فإن الوجه فيها أن يكون من فاعلا مرادا به الخالق ومفعول العلم محذوف تقديره ذلك إشارة إلى السر والجهر ومفعول خلق محذوف ضميره عائد إلى ذلك والتقدير فى الجميع ألا يعلم السر والجهر من خلقهما ومتى حذونا غير هذا الوجه من الإعراب ألقانا إلى مضايق التكلف والتعسف فمن المحتمل أن يكون من مفعولة واقعة على فاعل السر والجهر والتقدير ألا يعلم الله المسرين والجاهرين وليس مطابقا للمفصل فإنه لم يقع على ذوات الفاعلين وإنما وقع على أفعالهم من السر والجهر وعليه وقع الاستدلال ويحتمل غير ذلك أبعد منه والأول هو الأولى لفظا ومعنى والله الموفق

(قوله إسراركم وإجهاركم فى علم الله) فى الصحاح إجهار الكلام إعلانه (قوله يمشى فى مناكبها لم يترك) لعل هنا سقطا تقديره لم يترك شيئا منها إلا قد ذلله (قوله فهو مسائلكم) عبارة النسفى سائلكم

من قبلهم فكيف كان نكير ۝ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شىء بصير ۝ أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا فى غرور ۝ أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور ۝ أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم ۝ قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ۝ قل هو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون ۝ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ۝

ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه والثانى أنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه فى السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء. وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل إذا رأيته يركب بعض المعاصى (فستعلمون) قرئ بالتاء والياء (كيف نذير) أى إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذارى حين لا ينفعكم العلم (صافات) باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها لأنهن إذا بسطنها صففن قوادمها صفا (ويقبضن) ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن (فإن قلت) لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات (قلت) لأن الأصل فى الطيران وهو صف الأجنحة لأن الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والأصل فى السباحة مد الأطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن إلا الرحمن) بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافى وبنى الأجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجرى فى الجو (إنه بكل شىء بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب (أمن) يشار اليه من الجموع ويقال (هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون) الله إن أرسل عليكم عذابه (أمن) يشار اليه ويقال (هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه) وهذا على التقدير ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا (بل لجوا فى عتو ونفور) بل تمادوا فى عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه ۝ يجعل أكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع وما هو كذلك ولا شىء من بناء أفعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا إلا حملة كتاب سيبويه وإنما أكب من باب انفض وألأم ومعناه دخل فى الكب وصار ذا كب وكذلك أقشع السحاب دخل فى القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع (فإن قلت) ما معنى (يمشى مكبا على وجهه) وكيف قابل يمشى سويا على صراط مستقيم (قلت) معناه يمشى معتسفا فى مكان معتاد غير مستوفية وفيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا لحاله نقيض حال من يمشى سويا أى قائما سالما من العثور والخرور أو مستوى الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف

۝ قوله تعالى «أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن» (قال فيه معناه باسطات أجنحتها لأنها إذا بسطنها صففت قوادمها الخ) قال أحمد ويلاحظ هذا المعنى فى قوله والطير محشورة بعد قوله إنا سخرنا الجبال معه يسبحن ولم يقل مسبحات مثل محشورة لقربه من هذا التفسير ولقد أحسن فيه كل الإحسان

(قوله من القوادم والخوافى) فى الصحاح قوادم الطير مقاديم ريشه وهى عشر ريشات فى كل جناح والخوافى مادون الريشات العشر من مقدم الجناح (قوله من باب انفض وألأم) فى الصحاح انفض القوم هلكت أموالهم وانفضوا أيضا مثل ارملوا فنى زادهم وفيه أيضا ألأم الرجل إذا صنع مايدعوه الناس عليه لئيما

قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ۝

سورة القلم مكية

إلا من آية ١٧ إلى غاية آية ٣٣ ومن آية ٤٨ إلى غاية آية ٥٠ فمدنية وآياتها ٥٢ نزلت بعد العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا

الذى ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز أن يراد الأعمى الذى لايهتدى إلى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وأنه ليس كالرجل السوى الصحيح البصر الماشى فى الطريق المهتدى له وهو مثل المؤمن والكافر وعن قتادة الكافر أكب على معاصى الله تعالى فحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبى عنى به أبو جهل بن هشام وبالسوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب (فلما رأوه) الضمير للوعد ۝ والزلفة القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أى رأوه ذا زلفة أو مكانا ذا زلفة (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد إلى القتل أو يعرض على بعض العذاب (وقيل) القائلون الزبانية (تدعون) تفتعلون من الدعاء أى تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى أى كنتم بسببه تدعون أنكم لاتبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد أنه تلاها فى أول الليل فى صلاته فبقى يكررها وهو يبكى إلى أن نوى لصلاة الفجر ولعمرى أنها لوقاذة لمن تصور تلك الحالة وتأملها ۝ كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لإحدى الحسنيين إما أن نهلك كما تتمنون فننقلب إلى الجنة أو نرحم بالنصرة والإدالة للإسلام كما نرجو فأنتم ماتصنعون من يجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لابد لكم منه يعنى إنكم تطلبون لنا الهلاك الذى هو استعجال للفوز والسعادة وأنتم فى أمر هو الهلاك الذى لاهلاك بعده وأنتم غافلون لاتطلبون الخلاص منه أو إن أهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وإن رحمنا بالإمهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فإن المقتول على أيدينا هالك أو إن أهلكنا الله فى الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وإن رحمنا بالإيمان فمن يجير من لاإيمان له (فإن قلت) لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا (قلت) لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ماأنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم (غورا) غائرا ذاهبا فى الأرض وعن الكلبى لاتناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن بعض الشطار أنها تليت عنده فقال تجىء به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

﴿سورة ن مكية وهى ثمان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ قرئ ن والقلم بالبيان والإدغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما فى ص والمراد

(قوله وكلحوا وكما يكون وجه) لعله كما بدون واو (قوله أنها لوقاذة لمن تصور) فى الصحاح وقذه ضربه حتى استرخى وأشرف على الموت

غَيْرَ مَمْنُونٍ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۞ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۞ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۞ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۞ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ

هذا الحرف من حروف المعجم وأمّا قولهم هو الدواة فما أدرى أهو وضع لغوى أم شرعى ولا يخلو إذا كان اسماً للدواة من أن يكون جنساً أو علماً فإن كان جنساً فأين الإعراب والتنوين وإن كان علماً فأين الإعراب وأيهما كان فلا بدله من موقع فى تأليف الكلام فإن قلت هو مقسم به وجب إن كان جنساً أن تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كأنه قيل ودواة والقلم وإن كان علما أن تصرفه وتجره أو لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت إما أن يراد نون من النينان أو يجعل علما لليهموت الذى يزعمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر فى الجنة نحو ذلك وأقسم بالقلم تعظيما له لما فى خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف (ومايسطرون) وما يكتب من كتب وقيل مايسطره الحفظة وما موصولة أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير فى يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وسطرهم ويرادبهم كل مايسطر أو الحفظة ۞ (فإن قلت) بم يتعلق الباء فى (بنعمة ربك) وما محله (قلت) يتعلق بمجنون منفياً كما يتعلق بعاقل مثبتا فى قولك أنت بنعمة الله عاقل مستويا فى ذلك الإثبات والنفى استواءهما فى قولك ضرب زيد عمراً وما ضرب زيد عمراً تعمل الفعل مثبتاً ومنفياً إعمالا واحداً ومحله النصب على الحال كأنه قال ماأنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفى والمعنى استبعادما كان ينسبه إليه كفار مكة عداوة وحسداً وأنه من إنعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التى يقتضيها التأهيل للنبوة بمنزلة (وإن لك) على احتمال ذلك وإساغة الغصة فيه والصبر عليه (لأجرا) لثوابا (غيرممنون) غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك به لأنه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وإنما تمن الفواضل لا الأجور على الأعمال استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذى أمره الله تعالى به فى قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضى الله عنها أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون (المفتون) المجنون لأنه فتن أى محن بالجنون أو لأن العرب يزعمون أنه من تخييل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أى بأيكم الجنون أو بأى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبى جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وإضرابهما وهذا كقوله تعالى سيعلمون غداً من الكذاب الأشر (إن ربك هو أعلم) بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم) بالعقلاء وهم المهتدون أو يكون وعيداً ووعداً وأنه أعلم

(القول فى سورة ن والقلم) بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى وإن لك لأجراً غير ممنون (قال معناه غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ الخ) قال أحمد ما كان النبى ﷺ يرضى من الزمخشرى بتفسير الآية هكذا وهو ﷺ يقول لا يدخل أحدمنكم الجنة بعمله قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة ولقد بلغ الزمخشرى سوء الأدب إلى حد

(قوله أو يجعل علماً لليهموت) لعله للبهموت بالموحدة كعبارة غيره فليحرر (قوله يتعلق بمجنون منفياً) فى النسفى تتعلق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون (قوله منعما عليك بذلك) كذا فى النسفى بعد ماسبق فيه ماأنت بنعمة ربك أى بإنعامه عليك بالنبوة وغيرها وهذا مرجع الإشارة (قوله وإنه من إنعام الله بحصافة) لعله من إنعام الله عليه بحصافة العقل أى استحكامه كما أفاده الصحاح (قوله لأنه ثواب تستوجبه على عملك) وجوب الثواب عليه تعالى مذهب المعتزلة ولا يجب عليه شىء عند أهل السنة (قوله احتماله الممضات) أى الموجعات أفاده الصحاح (قوله أو بأى الفريقين منكم الجنون) لعله المجنون وفى النسفى قال الزجاج الباء بمعنى فى تقول كنت ببلد كذا أى فى بلد كذا وتقديره فى أيكم المفتون أى فى أى الفريقين منكم المجنون

مَهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۞ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۞ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۞ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ

بجزاء الفريقين (فلا تطع المكذبين) تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (لو تدهن) لو تلين وتصانع (فيدهنون) (فإن قلت) لم رفع فيدهنون ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمنى (قلت) قد عدل به إلى طريق آخر وهو إن جعل خبر مبتدا محذوف أى فهم يدهنون كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودّوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودّوا إدهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم فى إدهانك قال سيبويه وزعم هرون أنها فى بعض المصاحف ودّوا لو تدهن فيدهنوا (حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم (مهين) من المهانة وهى القلة والحقارة يريد القلة فى الرأى والتمييز أو أراد الكذاب لأنه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان وعن الحسن يلوى شدقيه فى أقفية الناس (مشاء بنميم) مضرب نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وأنشدنى بعض العرب
تشبى تشبب النميمه ۞ تمشى بها زهرا إلى تميمه (مناع للخير) بخيل والخير المال أو مناع أهله الخير وهو الإسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كأنه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومى كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولحمته من أسلم منكم منعته رفدى عن ابن عباس وعنه أنه أبو جهل وعن مجاهد الأسود بن عبد يغوث وعن السدى الأخنس بن شريق أصله فى ثقيف وعداده فى زهرة ولذلك قيل زنيم (معتد) مجاوز فى الظلم حدّه (أثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف من عتله إذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ما عدله من المثالب والنقائص (زنيم) دعى قال حسان وأنت زنيم نيط فى آل هاشم ۞ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم ادّعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده وقيل بغت أمّه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته أشدّ معايبه لأنه إذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولأنّ الغالب أنّ النطفة إذا خبثت خبث الناشىء منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم فى قوله ثم كان من الذين آمنوا وقرأ الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة فى حلقها لأنه زيادة معلقة بغير أهله (أن كان ذا مال) متعلق بقوله ولا تطع يعنى لا تطعه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال أى ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده على معنى لكونه متموّلا مستظهراً بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذى هو جواب إذاً لأنّ ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ أأن كان على الاستفهام على إلا أن كان ذا مال وبنين كذب أو أتطيعه لأن كان ذا مال وروى الزبيرى عن نافع إن كان بالكسر والشرط للمخاطب أى لا تطع كل حلاف شارطا يساره لأنه إذا أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط فى الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط إلى المخاطب صرف الترجى إليه فى قوله تعالى لعله يتذكر ۞ الوجه أكرم موضع فى الجسد والأنف أكرم موضع من الوجه

يوجب الحدوحاصل قوله أنّ الله لا منة له على أحد ولا فضل فى دخول الجنة لأنه قام بواجب عليه نعوذ بالله من الجراءة عليه قوله تعالى «عتل بعد ذلك زنيم» (قال العتل الجافى والزنيم الدعى وكذلك كان الوليد بن المغيرة المخزومى استلحقه المغيرة بعد ثمان عشر من مولده الخ) قال أحمد وإنما أخذ كون هذين أشد معايبه من قوله بعد ذلك فإنه يعطى تراخى المرتبة فيما بين المذكور أولا والمذكور بعده فى الشر والخير ونظيره فى الخير قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ومن ثم

(قوله بنميم مضرب مثال) فى الصحاح التضريب بين القوم الإغراء (قوله يقول لهم ولحمته) فى الصحاح اللحمة بالضم القرابة (قوله كذب آياتنا) عبارة النسفى كذب بآياتنا

ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۞ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۞ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۞ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۞ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۞ فَتَنَادَوْا۟

لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الأنفة وقالوا الأنف فى الأنف وحمى أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا فى الذليل جدع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة لأن السمة على الوجه شين وإذالة فكيف بها على أكرم موضع منه ولقد وسم العباس أباعرة فى وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها فى جواعرها وفى لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة فى الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل أن الخرطوم الخمر وأن معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهى ما سلف من عصير العنب أو لأنها تطير فى الخياشيم ۞ أنا بلونا أهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم (كما بلونا أصحاب الجنة) وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقى وكان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل وما فى أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شىء كثير فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين فى السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا فى يمينهم فأحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بنى إسرائيل (مصبحين) داخلين فى الصبح مبكرين (ولا يستثنون) ولا يقولون إن شاء الله (فإن قلت) لم سمى استثناء وإنما هو شرط (قلت) لأنه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث أن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد (فطاف عليها) بلاء أو هلاك (طائف) كقوله تعالى وأحيط بثمره وقرئ طيف (فأصبحت كالصريم) كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل أى احترقت فاسودت وقيل النهار

استعملت ثم لتراخى المراتب وإن أعطت عكس الترتيب الوجودى ۞ قوله تعالى إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إلى آخر الآيات (قال فيه أصحاب الجنة قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين الخ) قال أحمد وفائدة التنكير الإبهام تعظيما لما أصابها ومعنى كالصريم أى لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل لأنها احترقت واسودت وقيل النهار أى خالية فارغة من قولهم بيض الإناء إذا فرغه (قلت) ومنه البياض من الأرض أى الخالية من الشجر ورد فى الحديث ويستعمله الفقهاء فى المساقاة ومعنى صارمين حاصدين قال وإنما عدل عن إلى فى قوله على حرثكم لأن غدوهم كان ليصرموه فهو غدو عليه ومعنى يتخافتون يسرون حديثهم خيفة من ظهور المساكين عليهم وقوله ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين مثل لا أرينك ههنا والحرد من حاردت السنة إذا منعت خيرها والمعنى وغدوا على نكد ومنع غير عاجزين عن النفع وقيل الحرد السرعة أى غدوا مسارعين نشطين لما عزموا عليه من الحرمان ومعنى قادرين على هذا التأويل عند أنفسهم وقيل حرد اسم الجنة المذكورة وقولهم إنا لضالون قالوه فى بديهة أمرهم دهشا لما رأوا ما لم يعهدوه فاعتقدوا أنهم ضلوا عنها وأنها ليست هى ثم لما تبينوا وأيقنوا أنها هى أضربوا عن الأول إلى قولهم بل نحن محرومون

(قوله وإذالة فكيف بها على أكرم) إذالة فى القاموس أذلته أهنته اه (قوله أباعرة فى وجوهها) لعله أباعرة بالإضافة إلى الضمير لأن الجمع أبعرة وأباعر كما فى الصحاح (قوله فوسمها فى جواعرها) الجاعرة ما حول الدبر أفاده الصحاح (قوله وما فى أسفل الأكداس) فى الصحاح الكدس بالضم واحد أكداس الطعام (قوله مصبحين فى السدف خفية) فى الصحاح السدفة فى لغة نجد الظلمة وفى لغة غيرهم الضوء

مُصْبِحِينَ ۞ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ۞ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ۞ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۞ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ۞ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۞ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۞ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۞ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ

أى يبست وذهبت خضرتها أولم يبق شيء فيها من قولهم بيض الإناء إذا فرغه وقيل الصريم الرمال (صارمين) حاصدين (فإن قلت) هلا قيل اغدوا إلى حرثكم ومامعنى على (قلت) لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح أى فأقبلوا على حرثكم باكرين (يتخافتون) يتسارون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش (أن لا يدخلنها) أن مفسرة وقرأ ابن مسعود بطرحها بإضمار القول أى يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهى عن الدخول للمسكين نهى لهم عن تمكينه منه أى لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا أرينك ههنا ۞ الحرد من حردت السنة إذا منعت خيرها وحاردت الإبل إذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعنى أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها إلا على التنكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أى غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع أو لما قالوا غدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بأن حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وإنما غدوا على حرد و (قادرين) من عكس الكلام للتهكم أى قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد أى لم يقدروا إلا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال أقبل سيل جاء من أمر الله ۞ يحرد حرد الجنة المغله وقطا حراد سراع يعنى وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند أنفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزى منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة أى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان (قالوا) فى بديهة وصولهم (إنا لضالون) أى ضللنا جنتنا وما هى بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا أنها هى قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (أوسطهم) أعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه وأعطنى من سطات مالك ومنه قوله تعالى أمة وسطا (لولا تسبحون) لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم إلى التكلم به على أثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لأن الاستثناء تفويض إليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلاة كأنهم كانوا يتوانون فى الصلاة إذ لو أقاموها لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا فى أن يستثنوا ولا يحرموا (سبحان ربنا) سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم فى منع المعروف وترك الاستثناء (يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا لأن منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكف وعذر ومنهم من عصى الأمر ومنهم من سكت وهو راض (أن يبدلنا) قرئ بالتشديد والتخفيف (إنا إلى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجون لعفوه (كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذى

(قوله وزى منفعتها) فى الصحاح تقول زوى فلان المال عن وارثه زيا

الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم * أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون * أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون * سلهم أيهم بذلك زعيم * أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين *

بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا (ولعذاب الآخرة) أشد وأعظم منه وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتنى تعباً وعن مجاهد تابوا فأبدلوا خيراً منها وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغنى أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً (عند ربهم) أى فى الآخرة (جنات النعيم) ليس فيها إلا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا * كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا إلا مثل ما هى فى الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا فقيل أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين * ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الأعوج كأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (تدرسون) فى ذلك الكتاب أن ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله تعالى أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والأصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح أن لأنه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز أن تكون حكاية المدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين * وتخير الشىء واختاره أخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله إذا أخذ منخوله * لفلان علىّ يمين بكذا إذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعنى أم ضمنا منكم وأقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية فى التوكيد * (فإن قلت) بم يتعلق (إلى يوم القيامة) (قلت) المقدر فى الظرف أى هى ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها إلا يومئذ إذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون ويجوز أن يتعلق ببالغة على أنها تبلغ ذلكم اليوم وتنتهى إليه وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير فى الظرف (إن لكم لما تحكمون) جواب القسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم (أيهم بذلك) الحكم (زعيم) أى قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بأمورهم (أم لهم شركاء) أى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه (فليأتوا) بهم (إن كانوا صادقين) فى دعواهم يعنى أن أحداً لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما أنه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به * الكشف عن الساق والإبداء عن الخدام مثل فى شدة الأمر وصعوبة الخطب وأصله فى الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب وإبداء خدامهن عند ذلك قال حاتم

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها * وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

قوله تعالى « مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون إن لكم فيه لما تخيرون » (قال هذا خطاب على وجه الالتفات لأهل مكة إذا اعتقدوا أنهم فى الآخرة أكثر نعماً من المؤمنين الخ) قال أحمد ولما كان الدرس قولا كسرها * قوله أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة (قال) فيه تعلق إلى يوم القيامة بالمقدر فى الظرف أى هى ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها إلا يومئذ إذا أعطيناكم ما تحكمون به قال أو يتعلق ببالغة أى تبلغ ذلك اليوم وتنتهى إليه وافرة لم يبطل منها يمين أن يحصل المقسم عليه

(قوله إذا ضمنته منه وحلفت له) لعله عنه وكذا قوله منكم لعله عنكم وفى الصحاح ضمنته الشىء تضميناً فتضمنه عنى (قوله والإبداء عن الخدام) جمع خدمة وهى الخلخال أفاده الصحاح وذلك كرقاب جمع رقبة (قوله وأما من شبه فلضيق عطنه) أى من قال بمذهب المشبهة على ما هو مقرر فى علم الكلام كما سيشير إليه بعد

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ * فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ

وقال ابن الرقيات تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى * عن خدام العقيلة العذراء

فمعنى (يوم يكشف عن ساق) فى معنى يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للأقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وإنما هو مثل فى البخل وأما من شبه فيضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان والذى غره منه حديث ابن مسعود رضى الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فأما المؤمنون فيخرون سجداً وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقاً طبقاً كأن فيها سفافيد ومعناه يشتد أمر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الأكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق أن تعرف على ما ذهب إليه المشبه لأنها ساق مخصوصة معهودة عنده وهى ساق الرحمن (فإن قلت) فلم جاءت منكرة فى التمثيل (قلت) للدلالة على أنه أمر مبهم فى الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداع إلى شىء نكر كأنه قيل يوم يقع أمر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن أبى عبيدة خرج من خراسان رجلان أحدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن أحس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعاً والفعل للساعة أو للحال أى يوم تشتد الحال أو الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف إذا دخل فى الكشف ومنه أكشف الرجل فهو مكشوف إذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا أو إضمار اذكر أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وإن ثم من الكوائن مالا يوصف لعظمه * عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم أصلابهم أى ترد عظاما بلا مفاصل لا تثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحداً أى فقارة واحدة (فإن قلت) لم يدعون إلى السجود ولا تكليف (قلت) لا يدعون إليه تعبداً وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود فى الدنيا مع إعقام أصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا إلى السجود وهم سالمون الأصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به * يقال ذرنى وإياه يريدون كله إلى فإنى أكفيكه كأنه يقول حسبك إيقاعا به أن تكل أمره إلى وتخلى بينى وبينه فإنى عالم بما يجب أن يفعل به مطيق له والمراد حسبى مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديداً للمكذبين * استدرجه إلى كذا إذا استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا إلى ازدياد الكفر والمعاصى (من حيث لا يعلمون) أى من الجهة التى لا يشعرون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم يحسبونه إيثاراً لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم (وأملى لهم) وأمهلهم كقوله تعالى إنما نملى لهم ليزدادوا إثما والصحة والرزق والمد فى العمر إحسان من الله وإفضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا فى الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به إلى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالإحسان إليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه * وسمى إحسانه وتمكينه كيداً كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للتورط فى الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه فى التسبب للهلاك * المغرم الغرامة أى لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجراً فيثقل عليهم حمل الغرامات فى أموالهم فيثبطهم ذلك عن الإيمان (أم عندهم الغيب) أى اللوح (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (لحكم ربك) وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم

(قوله كأن فيها السفافيد) واحدها سفود بالتشديد وهى حديدة يشوى بها اللحم أفاده الصحاح (قوله وهم سالمون الأصلاب) لعله سالمو الأصلاب بالإضافة (قوله والمراد حسبى مجازيا) الاستعمال المعروف حسبك بى مجازيا أو حسبك الله مجازيا

رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۝ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۝ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝

سورة الحاقة مكية وآياتها ٥٢ نزلت بعد الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝

(ولا تكن كصاحب الحوت) يعني يونس عليه السلام (إذ نادى) في بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء إذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلي ببلائه ۝ حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته وقرأ الحسن تداركه أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فنعه فلان أي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام ۝ ونعمة ربه أن أنعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال أعني قوله (وهو مذموم) يعني أن حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روى أنها نزلت بأحد حين حل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل به فأراد أن يدعو على الذين انهزموا وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف ۝ وقرئ رحمة من ربه (فاجتباه ربه) فجمعه إليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (فجعله من الصالحين) أي من الأنبياء وعن ابن عباس ردّ الله إليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه ۝ أن مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وأزلقه بمعنى ويقال زلق الرأس وأزلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وأزهقها يعني أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزراً بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظر إلى نظراً يكاد يصرعني ويكاد يأكلني أي لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله قال : يتقارضون إذا التقوا في موطن ۝ نظراً يزل مواطئ الأقدام وقيل كانت العين في بني أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله إلا عانه فأريد بعض العيانين على أن يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال لم أر كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أي القرآن ويهلكوا أنفسهم حسدا على ما أوتيت من النبوة (ويقولون إنه لمجنون) حيرة في أمره وتنفيرا عنه وإلا فقد علموا أنه أعقلهم والمعنى إنهم جننوه لأجل القرآن (وما هو إلا ذكر) وموعظة (للعالمين) فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

﴿سورة الحاقة إحدى وخمسون آية وهي مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها أو التي فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب أو التي تحق فيها الأمور أي تعرف على الحقيقة من قولك لا أحق هذا أي لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لأهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها (ما الحاقة) والأصل الحاقة ما هي أي أي شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لأنه أهول لها (وما أدراك) وأي شيء أعلمك ما الحاقة يعني أنك لا علم

﴿القول في سـورة الحاقة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة (قال) معناه الحاقة ما أدراك ما هي تعظيما لها وتفخيما الخ

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ۝ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۝ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۝ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ

لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك وما في موضع الرفع على الابتداء وأدراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام ۝ القارعة التي تقرع الناس بالإفزاع والأهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والأرض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيراً لأهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية أي بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله (بريح صرصر) والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق لشدة بردها (عاتية) شديدة العصف والعتو استعارة أو عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة فإنها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسل الله سفية من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من مطر إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح فإن الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وإن الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والإفراط فيها ۝ الحسوم لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود أو مصدرا كالشكور والكفور فإن كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة أو متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وإن كان مصدراً فإما أن ينتصب بفعله مضمر أي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا أو يكون صفة كقولك ذات حسوم أو يكون مفعولا له أي سخرها عليهم للاستئصال وقال عبد العزيز ابن زرارة الكلابي

ففرق بين بينهم زمان ۝ تتابع فيه أعوام حسوم

وقرأ السدي حسوما بالفتح حالا من الريح أي سخرها عليهم مستأصلة وقيل هي أيام العجوز وذلك أن عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هي أيام العجز وهي آخر الشتاء وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى (سخرها عليهم) سلطها عليهم كما شاء (فيها) في مهابها أو في الليالي والأيام وقرئ أعجاز نخيل (من باقية) من بقية أو من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (ومن قبله) يريد ومن عنده من تباعه وقرئ ومن قبله أي ومن تقدمه وتعضد الأولى قراءة عبد الله وأبي ومن معه وقراءة أبي موسى ومن تلقاءه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط (بالخاطئة) بالخطإ أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطإ العظيم (رابية) شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء يربو إذا زاد لير و في أموال الناس (حملناكم) حملنا آباءكم (في الجارية) في سفينة لأنهم إذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكأنهم هم المحمولين لأن نجاتهم سبب ولادتهم (لنجعلها) الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين وإغراق

(قوله وقيل مكفئ الظعن) جمع ظعينة وهي الهودج أفاده الصحاح

فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۞ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۞ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ۞ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ

الكفرة (تذكرة) عظة وعبرة (أذن واعية) من شأنها أن تعى وتحفظ ماسمعت به ولاتضيعه بترك العمل وكل ماحفظته فى نفسك فقد وعيته وما حفظته فى غير نفسك فقد أوعيته كقولك وعيت الشيء فى الظرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلىّ رضى الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله أن يجعلها أذنك ياعلىّ قال علىّ رضى الله عنه فما نسيت شيئاً بعد وما كان لى أن أنسى (فإن قلت) لم قيل أذن واعية على التوحيد والتنكير (قلت) للإيذان بأن الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعى منهم وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الأعظم عند الله وأن ماسواها لايبالى بهم بالة وإن ملئوا مابين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعى بكبد ۞ أسند الفعل إلى المصدر وحسن تذكيره للفصل ۞ وقرأ أبو السمال نفخة واحدة بالنصب مسنداً للفعل إلى الجار والمجرور (فإن قلت) هما نفختان فلم قيل واحدة (قلت) معناه أنها لاتثنى فى وقتها (فإن قلت) فأى النفختين هى (قلت) الأولى لأن عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روى عنه أنها الثانية (فإن قلت) أما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض إنما هو عند النفخة الثانية (قلت) جعل اليوم اسما للحين الواسع الذى تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وإنما كان مجيئك فى وقت واحد من أوقاته (وحملت) ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال أو بخلق من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب وقرئ وحملت بحذف المحمل وهو أحد الثلاثة (فدكتا) فدكت الجملتان جملة الأرضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندقّ وترجع كثيباً مهيلا وهباء منبثا والدك أبلغ من الدقّ وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لاترى فيها عوجا ولا أمتا من قولك اندكّ السنام إذا انفرش وبعير أدكّ وناقة دكاء ومنه الدكان (فيومئذ وقعت الواقعة) فحينئذ نزلت النازلة وهى القيامة (واهية) مسترخية ساقطة القوة جدّا بعد ما كانت محكمة مستمسكة ۞ يريد والخلق الذى يقال له الملك وردّ إليه الضمير مجموعا فى قوله فوقهم على المعنى (فإن قلت) مالفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة (قلت) الملك أعمّ من الملائكة ألا ترى أن قولك مامن ملك إلا وهو شاهد أعم من قولك مامن ملائكة (على أرجائها) على جوانبها الواحد رجا مقصور يعنى أنها تنشقّ وهى مسكن الملائكة فينضوون إلى أطرافها وما حولها من حافاتها (ثمانية) أى ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الإنسان وبعضهم على صورة الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية أملاك فى خلق الأوعال مابين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون

۞ قوله تعالى وتعيها أذن واعية (قال فيه يقال وعيته أى حفظته فى نفسك الخ) قال أحمد هو مثل قوله ولتنظر نفس ماقدمت لغد وقد ذكر أن فائدة التنكير والتوحيد فيه الاشعار بقلة الناظرين ۞ قوله تعالى فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة (قال فيه إن قلت لم قال واحدة وهما نفختان الخ) قال أحمد وأما فائدة الاشعار بعظم هذه النفخة أن المؤثر لدكّ الأرض والجبال وخراب العالم هى وحدها غير محتاجة إلى أخرى ۞ قوله تعالى والملك على أرجائها (قال أى على حافتها لأنها تنشقّ فتضوى الملائكة الذين هى سكانها إلى أذيالها الخ قال أحمد كلاهما معرّف تعريف الجنس فالواحد

(قوله فينضوون إلى أطرافها) فى الصحاح ضويت إليه أويت إليه وانضممت

فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَـٰبِيَهْ ۞ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي

سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم كم هم أثمانية أم ثمانية آلاف ؟ وعن الضحاك ثمانية صفوف لايعلم عددهم إلا الله ويجوز أن تكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون ۞ العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله وروى أن فى يوم القيامة ثلاثة عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله (خافية) سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا بستر الله عليكم (فأما) تفصيل للعرض ۞ هاء صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما أشبه ذلك و (كتابيه) منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لأنه أقرب العاملين وأصله هاؤم كتابى اقرؤا كتابى فحذف الأول لدلالة الثانى عليه ونظيره آتونى أفرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الأول لقيل اقرؤه وأفرغه والهاء للسكت فى كتابيه وكذلك فى حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت أن تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل وقد استحب إيثار الوقف إيثارا لثباتها لثباتها فى المصحف وقيل لابأس بالوصل والإسقاط وقرأ ابن محيصن بإسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة بإثبات الهاء فى الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف (ظننت) علمت وإنما أجرى الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقام مقام العلم فى العادات والأحكام ويقال أظن ظنا كاليقين أن الأمر كيت وكيت (راضية) منسوبة إلى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها (عالية) مرتفعة المكان فى السماء أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المبانى والقصور والأشجار (دانية) ينالها القاعد والنائم يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) أكلا وشربا هنيئا أو هنيتم هنيئا على المصدر (بما أسلفتم) بما قدمتم من الأعمال الصالحة (فى الأيام الخالية) الماضية من أيام الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام أى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله وروى يقول الله عز وجل ياأوليائى طالما نظرت إليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ۞ الضمير

والجمع سواء فى العموم ۞ عاد كلامه (قال وحق هذه الهاآت يعنى فى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه الخ) قال أحمد تعليل القراءة باتباع المصحف عجيب مع أن المعتقد الحق أن القراآت السبع بتفاصيلها منقولة تواترا عن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فالذى أثبت الهاء فى الوصل إنما أثبتها من التواتر عن قراءة النبى صلى الله عليه وسلم آيها كذلك قبل أن تكتب فى المصحف وما نفس هؤلاء إلا الادخال الاجتهاد فى القراآت المستفيضة واعتقاد أن فيها ما أخذ بالاختيار النظرى وهذا خطأ لاينبغى فتح بابه فإنه ذريعة إلى ما هو أكبر منه ولقد جرت بينى وبين الشيخ أبى عمرو رحمه الله مفاوضة فى قوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه على قراءة حفص انتهت إلى أن ألزم الرد على من أثبت الهاء فى الوصل فى كلمات سورة الحاقة لأنى حججته بإثبات القراء المشاهير لها كذلك ففهمت من رده لذلك ما فهمه من كلام الزمخشرى ههنا ولم أقبله منه رحمه الله فتراجع عنه وكانت هذه المفاوضة بمكاتبة بينى وبينه وهى آخر ما كتب من العلوم على ما أخبرنى به خاصته وذلك صحيح لأنها كانت فى أوائل مرضه رحمه الله والله أعلم

(قوله كاف وحس وما أشبه ذلك) يفهم من كل منهما معنى التضجر والتألم كما يفيده الصحاح (قوله كلوا واشربوا هنيأ) فى الصحاح هنؤ الطعام وهنىء أى صار هنيأ وهنأنى الطعام يهنئنى ويهنؤنى ولا نظير له فى المهموز هنأ وهناء وهنئت الطعام أى تهنأت به وكلوه هنيأ مريأ

لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۝
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝
وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۝
فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۝

فى (ياليتها) للموتة يقول ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) أى القاطعة لأمرى فلم أبعث بعدها ولم ألق مالقى أو للحالة أى ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لأنه رأى تلك الحالة أبشع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها (ماأغنى) نفى أو استفهام على وجه الإنكار أى أى شىء أغنى عنى ما كان لى من اليسار (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس أنها نزلت فى الأسود بن عبد الأشد وعن فناخسرو الملقب بالعضد أنه لما قال عضد الدولة وابن ركنها ۝ ملك الأملاك غلاب القدر
لم يفلح بعده وجن فكان لاينطق لسانه إلا بهذه الآية وقال ابن عباس ضلت عنى حجتى ومعناه بطلت حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا (ثم الجحيم صلوه) ثم لاتصلوه إلا الجحيم وهى النار العظمى لأنه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلى النار وصلاه النار ۝ سلكه فى السلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها وهو فيما بينها مرهق ضيق عليه لايقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا إرادة الوصف بالطول كما قال أن تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية أى لاتسلكوه إلا فى هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق فى الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت مابين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك فى السلسلة لاعلى تراخى المدة (أنه) تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بذلك وفى قوله (ولا يحض على طعام المسكين) دليلان قويان على عظم الجرم فى حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثانى ذكر الحاض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما أحسن قول القائل إذا نزل الأضياف كان عذورا ۝ على الحى حتى تستقل مراجله
يريد حضهم على القرى واستعجالهم وتشاكس عليهم وعن أبى الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع نصفها الآخر وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين (حميم) قريب يدفع عنه ويحزن عليه لأنهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولايسأل حميم حميما ۝ والغسلين غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل (الخاطئون) الآثمون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل إذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس وقرئ الخاطيون بإبدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ماالخاطون كلنا نخطو وروى عنه أبو الأسود الدؤلى ماالخاطون إنما هو الخاطئون ماالصابون إنما هو الصابئون ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق إلى الباطل ويتعدون حدود الله ۝ وأقسام بالأشياء كلها على الشمول والإحاطة لأنها لاتخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والأجسام والأرواح والإنس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة أن هذا القرآن (لقول رسول كريم) أى يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وماهو بقول شاعر) ولا كاهن كما تدعون ۝ والقلة فى معنى العدم أى لاتؤمنون

(قوله وتشاكس عليهم) فى الصحاح رجل شكس أى صعب الخلق (قوله وخطئ الرجل إذا تعمد الذنب) فى الصحاح قال الأموى المخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره والخاطئ من تعمد لما لاينبغى

وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝

سورة المعارج مكية وآياتها ٤٤ نزلت بعد الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝

ولاتذكرون البتة والمعنى ما أكفركم وماأغفلكم (تنزيل) هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين) وقرأ أبو السمال تنزيلا أى نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله وماهو بقول شاعر دليل على أنه محمد صلى الله عليه وسلم لأن المعنى على إثبات أنه رسول لاشاعر ولا كاهن ۝ التقول افتعال القول لأن فيه تكلفا من المفتعل ۝ وسمى الأقوال المتقولة أقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الأعاجيب والأضاحيك كأنها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيأ لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ بيساره وإذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف أخذ بيمينه ومعنى (لأخذنا منه باليمين) لأخذنا بيمينه كما أن قوله (لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد إذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول قيل (حاجزين) فى وصف أحد لانه فى معنى الجماعة وهو اسم يقع فى النفى العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لانفرق بين أحد من رسله لستن كأحد من النساء والضمير فى عنه للقتل أى لايقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه أو لرسول الله أى لاتقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك فى قوله تعالى (وإنا لنعلم أن منكم مكذبين) وهو إيعاد على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى أن منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وأنه الضمير للقرآن (لحسرة) على الكافرين به المكذبين له إذا رأوا ثواب المصدقين به أو للتكذيب وأن القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح) الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ماأهلك له من إيحائه إليك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة المعارج مكية وهى أربع وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ضمن سأل معنى دعا فعدى تعديته كأنه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا إذا استدعى وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر بن الحرث قال إن كان هذا هو الحق من عند فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب

قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل قال فيه التقول افتعال القول لأن فيه تكلفا الخ قال أحمد وبناء أفعولة من القول وهو معتل كما ترى غيب عن القياس التصريفى ويحتمل أن تكون الأقاويل جمع الجمع كالأناعيم جمع أقوال وأنعام وهو الظاهر والله أعلم

﴿القول فى سورة المعارج﴾

﴿بسم الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع (قال) فيه سأل بمعنى دعا لقوله يدعون فيها بكل فاكهة

تَعرُجُ الْمَلَٰئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۞ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۞ وَنَرَٰهُ قَرِيبًا ۞ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَآءُ كَالْمُهْلِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۞ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۞ يُبَصَّرُونَهُمْ

للكافرين وقرئ سال سائل وهو على وجهين إما أن يكون من السؤال وهى لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسيلان وأن يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيلا والسيل مصدر فى معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادى عذاب فذهب بهم وأهلكهم وعن قتادة سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسأل على هذا الوجه مضمن معنى عنى واهتم ۞ (فإن قلت) بم يتصل قوله (للكافرين) (قلت) هو على القول الأول متصل بعذاب صفة له أى بعذاب واقع كائن للكافرين أو بالفعل أى دعا للكافرين بعذاب واقع أو بواقع أى بعذاب نازل لأجلهم وعلى الثانى هو كلام مبتدأ جواب للسائل أى هو للكافرين (فإن قلت) فقوله (من الله) بم يتصل (قلت) يتصل بواقع أى واقع من عنده أو بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه (ذى المعارج) ذى المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها فى العلوّ والارتفاع فقال (تعرج الملائكة والروح إليه) إلى عرشه وحيث تهبط منه أوامره (فى يوم كان مقداره) كمقدار مدة (خمسين ألف سنة) مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام أفرده لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس (فإن قلت) بم يتعلق قوله (فاصبر) (قلت) بسائل سائل لأن استعجال النصر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو فإنما سأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سال سائل أو سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل فى يوم من صلة واقع أى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة إما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار وإما لأنه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة وماقدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر الضمير فى (يرونه) للعذاب الواقع أو ليوم القيامة فيمن علق فى يوم بواقع أى يستبعدونه على جهة الإحالة (و) نحن (نراه قريباً) هيناً فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الإمكان وبالقريب القريب منه نصب (يوم تكون) بقريباً أى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم أو بإضمار يقع لدلالة واقع عليه أو يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت أو هو بدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع (كالمهل) كدردى الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلوّنها (كالعهن) كالصوف المصبوغ ألواناً لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فإذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) أى لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لأن بكل أحد مايشغله عن المساءلة (يبصرونهم) أى يبصر الأحماء الأحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المساءلة أن بعضهم لا يبصر بعضاً وإنما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسئل على البناء للمفعول أى لا يقال الحميم أين حميمك ولا يطلب منه لأنهم يبصرونهم فلا يحتاجون إلى السؤال والطلب (فإن قلت) ماموقع يبصرونهم (قلت) هو كلام مستأنف كأنه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم (فإن قلت) لم جمع الضميران فى يبصرونهم وهما للحميمين (قلت) المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز أن يكون يبصرونهم صفة أى حميما مبصرين معرفين إياهم قرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لأنه فى معنى تعذيب

آمنين الخ قوله تعالى ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم الآية (قال فيه معناه يبصر الأصدقاء أصدقاءهم فيعرفونهم الخ) قال أحمد وفيه دليل على أن الفاعل والمفعول الواقعين فى سياق النفى يعمان كما التزم فى والله لا أشرب ماء من إداوة أنه عام فى المياه والأدوات خلافاً

يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۝ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝

(وفصيلته) عشيرته الأدنون الذين فصل عنهم (تؤويه) تضمه انتماء إليها أو لياذاً بها فى النوائب (ينجيه) عطف على يفتدى أى يودّ لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء أو من فى الأرض وثم لاستبعاد الإنجاء يعنى تمنى لو كان هؤلاء جميعاً تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه (كلا) ردّ للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال (إنها) والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لأنّ ذكر العذاب دل عليها ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة و (لظى) علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز أن يراد اللهب و (نزاعة) خبر بعد خبر لأنّ أو خبر للظى إن كانت الهاء ضمير القصة أو صفة له إن أردت اللهب والتأنيث لأنه فى معنى النار أو رفع على التهويل أى هى نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة أو على أنها متلظية نزاعة أو على الاختصاص للتهويل والشوى الأطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد (تدعو) مجاز عن إحضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذى الرمة تدعو أنفه الريب وقوله ليالى اللهو يطبينى فأتبعه وقول أبى النجم تقول للرائد أعشبت أنزل وقيل تقول لهم إلىّ إلىّ يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز أن يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه فى جلودهم وأيديهم وأرجلهم وكما خلقه فى الشجرة ويجوز أن يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله أى أهلكك قال دعاك الله من رجل بأفعى (من أدبر) عن الحق (وتولى) عنه (وجمع) المال فجعله فى وعاء وكنزه ولم يؤدّ الزكاة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه وتكبر ۝ أريد بالإنسان الناس فلذلك استثنى منه إلا المصلين . والهلع سرعة الجزع عند مسّ المكروه وسرعة المنع عند مسّ الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن أحمد بن يحيى قال لى محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذى إذا ناله شراً أظهره شدّة الجزع وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس والخير المال والغنى والشرّ الفقر أو الصحة والمرض إذا صحّ الغنى منع المعروف وشحّ بماله وإذا مرض جزع وأخذ يوصى والمعنى إن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقى وضرورى غير اختيارى كقوله تعالى «خلق الإنسان من عجل» والدليل عليه أنه حين كان فى البطن والمهد لم يكن به هلع ولأنه ذمّ والله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين

لبعضهم فى الأدوات قوله تعالى «إن الإنسان خلق هلوعا» الآية (قال فيه المعنى أن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع ورسوخهما فيه كأنه الخ) قال أحمد هو يشرك باطنا ويتزه ظاهراً فينفى كون الهلع الذى هو موجود للآدمى مخلوقا لله تعالى تنزيها له عن ذلك ويثبت خالقا مع الله ويتغافل عن اقتضاء نظم الآية لذلك فإنك إذا قلت بريت القلم رقيقا فقد نسبت إليك الحال وهو ترقيقه كما نسب إليك البرى وكذلك الآية وأما قوله والله لا يذمّ خلقه فالله تعالى له الحمد على كل حال وإنما المذموم العبد بحجة أنه محل فيه

(قوله فتبتكها) أى تقطعها (قوله تدعو أنفه الربب) فى الصحاح الربة بالكسر ضرب من النبت والجمع الربب قال ذى الرمة يصف الثور الوحشى : أمسى بوهبين مجتازاً لموقعه ۝ من ذى الفوارس تدعو أنفه الربب
ووهبين اسم موضع وفيه أيضا طباه يطبوه ويطبيه إذا دعاه قال ذو الرمة : ليالى اللهو يطبينى فأتبعه ۝ كأننى ضارب غمرة لعب
(قوله وكما خلقه فى الشجرة) على زعم المعتزلة أنه تكليم الله موسى كأنه كذلك وعند أهل السنة أنه أطلعه على كلامه القديم القائم بذاته تعالى

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۝ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ۝ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ۝ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ۝ عَلَى

الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما أعطى ابن آدم شح هالع وجبن خالع (فإن قلت) كيف قال (على صلوتهم دائمون) ثم على صلاتهم يحافظون (قلت) معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل العمل أدومه وإن قل وقول عائشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها (حق معلوم) هو الزكاة لأنها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة السائل الذي يسأل (والمحروم) الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (يصدقون بيوم الدين) تصديقا بأعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله (إن عذاب ربهم غير مأمون) أي لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الطاعة والاجتهاد أن يأمنه وينبغي أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء ۝ قرئ بشهادتهم وبشهاداتهم والشهادة من جملة الأمانات وخصها من بينها إبانة لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها وفي زيها تضييعها وإبطالها كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (مهطعين) مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك (عزين) فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى فهم مفترقون قال الكميت: ونحن وجندل باغ تركنا ۝ كتائب جندل شتى عزينا

وقيل كان المستهزئون خمسة أرهط (كلا) ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله (إنا خلقناهم مما يعلمون) إلى آخر السورة وهو كلام دال على إنكارهم البعث فكأنه قال كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء فمن أين يطمعون في دخول الجنة (فإن قلت) من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث (قلت) من حيث أنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون أي من النطف وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض أن من قدر على ذلك لم تعجزه الإعادة ويجوز أن يراد إنا خلقناهم مما يعلمون أي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع

اختيارا يفرق به بالضرورة بين الاختياريات والقسريات ألا لله الحجة البالغة والله أعلم ۝ قوله تعالى «والذين هم على صلوتهم دائمون» (قال أي لا يتركونها في وقت ولا يحبطونها الخ) قال أحمد حفظها من الإحباط نص عند أهل السنة على حفظها من الكفر خاصة فلا يحبط ما سواه خلافا للقدرية وقد تقدمت أمثاله والله أعلم

(قوله وظلفوها عن الشهوات) في الصحاح ظلف نفسه عن الشيء أي منعها من أن تفعله أو تأتيه

أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين ۞ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ۞ يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ۞ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ۞

سورة نوح مكية وآياتها ٢٨ نزلت بعد النحل

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ۞ قال يا قوم إنى لكم نذير مبين ۞ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ۞ يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ۞ قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا ۞ فلم يزدهم دعاءى إلا فرارا ۞ وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم

منه ولذلك أبهم وأخفى إشعارا بأنه منصب يستحيا من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحدمنهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها من ليس له إيمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون ويخرجون ومن الأجداث سراعا بالإظهار والإدغام ونصب ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله (يوفضون) يسرعون إلى الداعى مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

﴿سورة نوح مكية وهى تسع أو ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (أن أنذر) أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل وهى أن الناصبة للفعل والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أى أرسلناه بالأمر بالإنظار ويجوز أن تكون مفسرة لأن الإرسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود أنذر بغير أن على إرادة القول و(أن اعبدوا) نحو أن أنذر فى الوجهين (فإن قلت) كيف قال (ويؤخركم) مع إخباره بامتناع تأخير الأجل وهل هذا إلا تناقض (قلت) قضى الله مثلا أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أى إلى وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف ۞ ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى أوقات الإمهال والتأخير (ليلا ونهارا) دائبا من غير فتور مستغرقا به الأوقات كلها (فلم يزدهم دعائى) جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على أنهم ازدادوا عنده فرارا لأنه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا إلى رجسهم فزادتهم إيمانا (لتغفر لهم) ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذى هو حظهم خالصا ليكون أقبح لإعراضهم عنه ۞ سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم فى دين الله ۞ وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله

﴿القول فى سورة نوح عليه السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر (قال فيه) إن قلت كيف

وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ

تعالى ألا أنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه إلا حين يستغشون ثيابهم ۝ الإصرار من أصر الحمار على العانة إذ أصر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للإقبال على المعاصى والإكباب عليها (واستكبروا) وأخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر تأكيد ودولة على فرط استقبالهم وعتوهم (فإن قلت) ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف (قلت) قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى الابتداء بالأهون والترقى فى الأشد فالأشد فافتتح بالمناصحة فى السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما و(جهارا) منصوب بدعوتهم نصب المصدر لأن الدعاء أحد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها أحد أنواع القعود أو لأنه أراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا أى مجاهرا به أو مصدرا فى موضع الحال أى مجاهرا ۝ أمرهم بالاستغفار الذى هو التوبة عن الكفر والمعاصى وقدم إليهم الموعد بما هو أوقع فى نفوسهم وأحب إليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا فى الإيمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال وأخرى تحبونها نصر من الله ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروى سبعين فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله تعالى الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضى الله عنه أنه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر شبه الاستغفار بالأنوار الصادقة التى لا تخطئ وعن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب فقال استغفر الله وشكا إليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له هذه الآية ۝ والسماء المظلة لأن المطر منها ينزل إلى السحاب ويجوز أن يراد السحاب أو المطر من قوله إذا نزل السماء بأرض قوم ۝ والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار ومتفال (جنات) بساتين (لا ترجون لله وقارا) لا تأملون له توقيرا أى تعظيما والمعنى مالكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار وقوله (وقد خلقكم أطوارا) فى موضع الحال كأنه قال مالكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للإيمان به لأنه خلقكم أطوارا أى تارات خلقكم أولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم أنشأكم خلقا آخر أو لا تخافون لله حلما وترك معاجلة العقاب فتؤمنوا وقيل مالكم لا تخافون لله عظمة وعن

قال ويؤخركم مع إخباره بامتناع التأخر الخ قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا (قال فيه مالكم لا تكونون على حال يكون فيهما تعظيم الله تعالى الخ) قال أحمد وهذا التفسير يبقى الرجاء على بابه ونقل قولا آخر لحمله على الخوف أى

(قوله من أصر الحمار على العانه) هى القطيع من حمر الوحش والكدم العض بأدنى الفم أفاده الصحاح وفيه صر الفرس أذنيه ضمها إلى رأسه فإذا لم يوقعوا قالوا أصر الفرس بالألف اه يعنى إذا لم يجعلوا الفعل متعديا إلى مفعول (قوله وأخذتهم العزة من اتباع نوح) لعله عن

سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ۝ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ۝

ابن عباس لاتخافون لله عاقبة لأنّ العاقبة حال استقرار الأمور وثبات الثواب والعقاب من وقرأ إذا ثبت واستقر ۝ نبههم على النظر فى أنفسهم أولا لأنها أقرب منظور فيه منهم ثم على النظر فى العالم وماسوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والأرض والشمس والقمر (فيهن) فى السموات وهو فى السماء الدنيا لأن بين السموات ملابسة من حيث أنها طباق فجاز أن يقال فيهنّ كذا وإن لم يكن فى جميعهنّ كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما أنّ الشمس والقمر وجوههما مما يلى السماء وظهورهما مما يلى الأرض (وجعل الشمس سراجا) يبصر أهل الدنيا فى ضوئها كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج مايحتاجون إلى أبصاره والقمر ليس كذلك إنما هو نور لم يبلغ قوة ضياء للشمس ومثله قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء أقوى من النور ۝ أستعير الإنبات للإنشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة أدلّ على الحدوث لأنهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين لامحالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم فى الإسلام من غير أولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى أنبتكم فنبتم نباتا أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم (ثم يعيدكم فيها) مقبورين ثم (يخرجكم) يوم القيامة ۝ وأكده بالمصدر كأنه قال يخرجكم حقاً ولا محالة جعلها بساطاً مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (فجاجا) واسعة منفجة (واتبعوا) رؤسهم المقدمين أصحاب الأموال والأولاد وارتسموا مارسموا لهم من التمسك بعبادة الأصنام وجعل أموالهم وأولادهم التى لم تزدهم إلا وجاهة ومنفعة فى الدنيا زائدة (خسارا) فى الآخرة وأجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقاً له وتثبيتاً وإبطالا لما سواه وقرئ وولده بضم الواو وكسرها (ومكروا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع إلى من لأنه فى معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل إليه والاستماع منه وقولهم لهم لاتذرون آلهتكم إلى عبادة رب نوح (مكراً كبارا) قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار أكبر من الكبير والكبار أكبر من الكبار ونحوه طول وطوال (ولا تذرن ودا) كأن هذه المسميات كانت أكبر صنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبدود وعبد يغوث وقيل هى أسماء رجال صالحين وقيل من أولاد آدم ماتوا فقال إبليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ودا على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر ۝ وقرئ ودا بضم الواو وقرأ الأعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة

لاتخافون لله عظمة وعن ابن عباس أنّ الوقار العاقبة لاستقرار الثواب وثبات العقاب من وقر إذا ثبت قوله تعالى وجعل القمر فيهنّ نورا (قال فيه وإنما هو فى السماء الدنيا لأنّ بين السموات وبين السماء الدنيا مناسبة) قال أحمد

(قوله أدل على الحدوث) لعله أدل دليل على الخ (قوله من غير أولية لهم فيه) إن كان مراده بالحشوية أهل السنة فأوليتهم فى مذهبهم الكتاب والسنة

مِمَّا خَطِيئَـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۞ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ

مشكله لأنهما إن كانا عربيين أو عجميين ففيهما سببا منع الصرف إما التعريف ووزن الفعل وأما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بإمالة لوقوعه مع الممالات للازدواج (وقد أضلوا) الضمير للرؤساء ومعناه وقد أضلوا (كثيرا) قبل هؤلاء الموصين بأن يتمسكوا بعبادة الأصنام ليسوا بأول من أضلوهم أو وقد أضلوا بإضلالهم كثيرا يعني أن هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز أن يكون للأصنام كقوله تعالى إنهن أضللن كثيرا من الناس (فإن قلت) علام عطف قوله (ولا تزد الظالمين) (قلت) على قوله رب إنهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب إنهم عصوني وقال لا تزد الظالمين إلا ضلالا أي قال هذين القولين وهما في محل النصب لأنهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي للصلاة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا أحدهما على صاحبه (فإن قلت) كيف جاز أن يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته (قلت) المراد بالضلال أن يخذلوا ويمنعوا الألطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من إيمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز أن يريد بالضلال الضياع والهلاك لقوله تعالى ۞ ولا تزد الظالمين إلا تبارا ۞ تقديم (مما خطيئاتهم) لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان فإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم وأكد هذه المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما أغرقوا بتأخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فإن كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وإن كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على إسلامه ويعلم أن معه ما يستوجب به العذاب وإن خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمزة وخطياتهم بقلبها ياء وإدغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على إرادة الجنس ويجوز أن يراد الكفر (فأدخلوا نارا) جعل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب لإغراقهم لاقترابه ولأنه كائن لا محالة فكأنه قد كان أو أريد عذاب القبر ومن مات في ماء أو في نار أو أكلته السباع والطير أصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير النار إما لتعظيمها أو لأن الله أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله

ويلاحظ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ۞ عاد كلامه قوله تعالى «ولا تزد الظالمين إلا ضلالا» (قال فيه كيف جاز أن يريد الضلال وأجاب بأن المراد به منع الألطاف) قلت هذا على قاعدته ۞ قوله تعالى «مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا» (قال فيه ما موجب إغراقهم حين أغرقوا وأجاب بأنهم ما أغرقوا لا على وجه العقاب الخ) قال أحمد هذا السؤال مفصح عما في باطنه من وجوب تعليل أفعال الله تعالى وعليه يبني أنه لا يجوز الألم من الله تعالى إلا باستحقاق سابق أو لإعواض مترقبة أو لغير ذلك من المصالح بناء على القاعدة لهم في الصلاح والأصلح والصبيان لا جناية سبقت منهم ولا عوض يترقب فيهم فيرد السؤال على ذلك وأما أهل السنة فالله تعالى قد تكفل الجواب عنهم بقوله لا يسئل عما يفعل وهذا الكلام بالنظر إلى خصوص واقعة قوم نوح وينجر الكلام منها إلى حكم الله علينا في العدو إذا خيف من مقاتلتهم بالآلات على ذراريهم إن ذلك لا يوجب الإكفاف عن مقاتلتهم بالآلات المهلكة لهم والمذرية ويستدل برمي النبي صلى الله عليه وسلم على أهل الطائف بالمجانيق وقيل لهم فيهم الذرية فقال هم من آبائهم وإما رميهم بالنار وفيهم الذرية فمنعه مالك رحمه الله إلا أن يخاف غائلتهم فيرمون بها إن لم يندفعوا بغيرها والله تعالى أعلم

(قوله يخذلوا ويمنعوا) مبني على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يريد الشر ولا يفعله وأجيب بأنه إنما دعا عليهم بذلك بعد أن أعلمه الله تعالى أنهم لا يؤمنون حيث قال له إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وهذا على مذهب أهل السنة الذين أجازوا أنه تعالى يفعل الشر كخلق الضلال في القلب لأن فعله لا يخلو عن حكمة

مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۞ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۞

سورة الجن مكية : وآياتها ٢٨ نزلت بعد الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۞ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۞ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ

وأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كأنه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله تعالى وأم لهم آلهة تمنعهم من دوننا» (ديارا) من الأسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور أومن الدار أصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا (فإن قلت) بم علم أن أولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة (قلت) لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فذاقهم وأكلهم وعرف طباعهم وأحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه ويقول أحذر هذا فإنه كذاب وإن أبى حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد أخبره الله عزّ وجل أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ومعنى (لا يلدوا إلا فاجراً كفارا) لا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون إليه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه (ولوالدى) أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخاء بنت أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرأ الحسين ابن على ولولدى يريد ساما وحاما (بيتى) منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى خص أولا من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه ۞ ثم عم المؤمنين والمؤمنات (تبارا) هلاكا (فإن قلت) ما فعل صبيانهم حين اغرقوا (قلت) غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالأنواع من أسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة فى عذاب الآباء والأمهات إذا أبصروا أطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنه فلم يكن معهم صبى حين أغرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

﴿سورة الجنّ مكية وهى ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قرئ أحى وأصله وحى يقال أوحى إليه ووحى إليه فقلبت الواو همزة كما يقال أعد وأزن وإذا الرسل أقتت وهو من القلب المطلق جرازه فى كل واو مضمومة وقد أطلقه المازنى فى المكسورة أيضا كاشاح واسادة واعاء أخيه وقرأ ابن أبى عبلة وحى على الأصل (أنه استمع) بالفتح لأنه فاعل أوحى وإنا سمعنا بالكسر لأنه مبتدأ محكى بعد القول ثم تحمل عليهما البواقى فما كان من الوحى فتح وما كان من قول الجنّ كسر وكلهنّ من قولهم إلا الثنتين الأخريين وأن المساجد وأنه لما قام ومن فتح كلهنّ فعطفا على محل الجار والمجرور فى آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقى (نفر من الجن) جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وعامة جنود إبليس منهم (فقالوا إنا سمعنا) أى قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم كقوله فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا (عجبا) بديعا مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الإعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره (يهدى إلى الرشد) يدعو إلى الصواب وقيل إلى التوحيد والإيمان ۞ والضمير فى (به) للقرآن ولما كان الإيمان به

سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا

إيمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا (ولن نشرك بربنا أحدا) أى ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به فى طاعة الشيطان ويجوز أن يكون الضمير لله عز وجل لأنّ قوله بربنا يفسره (جد ربنا) عظمته من قولك جد فلان فى عينى أى عظم وفى حديث عمر رضى الله عنه كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآ ل عمران جدفينا وروى فى أعيننا أو ملكه وسلطانه أو غناه استعارة من الجد الذى هو الدولة والبخت لأنّ الملوك والأغنياءهم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والوالد لعظمته أوسلطانه وملكوته أولغناه وقوله (ما اتخذ صاحبة ولا ولداً) بيان لذلك ﴿ وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر أى صدق ربوبيته وحق آلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والإيمان تنبهوا عن الخطإ فيما اعتقده كفرة الجنّ من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه ﴿ سفيهم إبليس لعنه الله أوغيره من مردة الجنّ والشطط مجاوزة الحد فى الظلم وغيره ومنه أشط فى السوم إذا أبعد فيه أى يقول قولا هو فى نفسه شطط الفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله وكان فى ظننا أنّ أحدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفترى عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما أضافوا إليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم (كذبا) قولا كذبا أى مكذوبا فيه أو نصب نصب المصدر لأنّ الكذب نوع من القول ومن قرأ أن لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لأنّ التقول لا يكون إلا كذبا ﴿ الرهق غشيان المحارم والمعنى أنّ الإنس باستعاذتهم بهم زادوهم كبراً وكفراً وذلك أنّ الرجل من العرب كان إذا أمسى فى واد قفر فى بعض مسايره وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والإنس فذلك رهقهم أو فزاد الجنّ الإنس رهقاً بإغوائهم وإضلالهم لاستعاذتهم بهم (وأنهم) وأنّ الإنس (ظنوا كما ظننتم) وهو من كلام الجن بقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحى والضمير فى وأنهم ظنوا للجنّ والخطاب فى ظننتم لكفار قريش ﴿ اللمس المس فاستعير للطلب لأنّ الماس طالب متعرف قال

مسنا من الآباء شيئاً وكلنا ﴿ إلى نسب فى قومه غير واضح

يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وأطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه بأعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها ﴿ والحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب إلى معناه لقيل شداداً ونحوه ﴿ أخشى رجيلا أو ركيباً غادياً ﴿ لأنّ الرجل والركب مفردان فى معنى الرجال والركاب ﴿ والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد أو كقوله ومعى جياعا يعنى يجدشهابا راصداً له ولأجله (فإن قلت) كأن الرجم لم يكن فى الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين فى خلق

﴿القول فى سورة الجن﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى «وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً» (قال فيه إن قلت كان الرجم لم يكن فى الجاهلية وقد قال تعالى «ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين» فذكر فائدتى

(قوله ومعى جياعا) فى الصحاح المعى واحد الأمعاء والجياع جمع الجائع وأول البيت

كأن قتود رحلى حين ضمت ﴿ حوالب غزرا ومعى جياعا والقتود جمع قتد وهو خشب الرحل

رَصَدًا ۞ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۞ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ۞ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۞ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۞ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ

الكواكب التزيين ورجم الشياطين (قلت) قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو إحدى آياته والصحيح أنه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره فى شعر أهل الجاهلية قال بشر بن أبى خازم

والعير يرهقها الخبار وجحشها ۞ ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر وانقض كالدرى يتبعه ۞ نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع يرد علينا العير من دون إلفه ۞ أو الثور كالدرى يتبعه الدم

ولكن الشياطين كانت تسترق فى بعض الأحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلا وعن معمر قلت للزهرى أكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله تعالى وأنا كنا نقعد فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم وروى الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من الأنصار إذ رمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم وفى قوله ملئت دليل على أن الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد أى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب فى البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته ۞ يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا إلا لأمر أراده الله بأهل الأرض ولا يخلو من يكون شراً أو رشداً أى خيراً من عذاب أو من رحمة أو من خذلان أو توفيق (منا الصالحون) منا الأبرار المتقون (ومنا دون ذلك) ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا إلا له مقام معلوم وهم المقتصدون فى الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا الطالحين (كنا طرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة أى كنا ذوى مذاهب مفترقة مختلفة أو كنا فى اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة أو كنا فى طرائق مختلفة كقوله ۞ كما عسل الطريق الثعلب ۞ أو كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذى هو الطرائق وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق (فى الأرض) و(هربا) حالان أى لن نعجزه كائنين فى الأرض أينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء وقيل لن نعجزه فى الأرض إن أراد بنا أمراً ولن نعجزه هربا إن طلبنا ۞ والظن بمعنى اليقين وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم منهم أخيار وأشرار ومقتصدون وأنهم يعتقدون أن الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجى عنه مهرب (لما سمعنا الهدى) هو سماعهم القرآن ۞ وإيمانهم به (فلا يخاف) فهو لا يخاف أى فهو غير خائف ولأن الكلام فى تقدير مبتدإ وخبر دخلت الفاء ولولا ذاك لقيل لا يخف (فإن قلت) أى فائدة فى رفع الفعل وتقدير مبتدإ قبله حتى يقع خبراً له ووجوب إدخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى

الزينة والرجم الخ) قال أحمد ومن عقائدهم أن الرشد والضلال جميعاً مرادان لله تعالى بقولهم وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ولقد أحسنوا الأدب فى ذكر إرادة الشر محذوفة الفاعل والمراد بالمريد هو الله عز وجل وإبرازهم لاسمه عند إرادة الخير والرشد فجمعوا بين العقيدة الصحيحة والآداب المليحة

(قوله والعير يرهقها الخبار) وهو الأرض الرخوة ذات الحجرة والنقع والغبار والطنب بضمتين حبل الخباء كما فى الصحاح

تحروا رشدا ۝ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ۝ وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ۝ لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا ۝ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ۝ وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ۝ قل إنما أدعوا ربى ولا أشرك به أحدا ۝ قل إنى لا أملك

عنه بأن يقال لا يخف (قلت) الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الأعمش فلا يخف على النهى (بخسا ولا رهقا) أى جزاء بخس ولا رهق لأنه لم يبخس أحد حقا ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم ويجوز أن يراد فلا يخاف أن يبخس بل يجزى الجزاء الأوفى ولا أن ترهقه ذلة من قوله عز وجل وترهقهم ذلة (القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه أن الحجاج قال له حين أراد قتله ما تقول فىّ قال قاسط عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة إنه سمانى ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى وأما القاسطون وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا أن الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا أن قال فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد (وأن لو استقاموا) أن مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى وأوحى إلىّ أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى أى لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم ۝ وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لأنه أصل المعاش وسعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز أن يكون معناه وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التى كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا لاتباعهم شهواتهم ووقوعهم فى الفتنة وازديادهم إثما أو لنعذبهم فى كفران النعمة (عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن موعظته أو عن وحيه (يسلكه) وقرئ بالنون مضمومة ومفتوحة أى ندخله (عذابا) والأصل نسلكه فى عذاب كقوله ما سلككم فى سقر فعدى إلى مفعولين إما بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه وإما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه وأسلكه قال حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تصعدنى شىء ما تصعدتنى خطبة النكاح يريد ما شق على ولا غلبنى (وأن المساجد) من جملة الموحى وقيل معناه ولأن المساجد (لله فلا تدعوا) على أن اللام متعلقة بلا تدعوا أى فلا تدعوا (مع الله أحدا) فى المساجد لأنها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعنى الأرض كلها لأنها جعلت للنبى صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ، ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وعن قتادة كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله فأمرنا أن نخلص لله الدعوة إذا دخلنا المساجد وقيل المساجد أعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة آراب وهى الجبهة والأنف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هى جمع مسجد وهو السجود (عبدالله) النبى صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) هلا قيل رسول الله أو النبى (قلت) لأن تقديره وأوحى إلىّ أنه لما قام عبد الله فلما كان واقعا فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جىء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل أو لأن المعنى أن عبادة الله لله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى

(قوله ولا رهق ظلم أحد) فى الصحاح رهقه بالكسر يرهقه رهقا أى غشيه (قوله إذا أسلكوهم فى قتائدة) فى الصحاح قتائدة اسم عقبة قال عبد مناف بن ربع حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة ۝ شلا كما تطرد الجمالة الشردا والشل الطرد والشرد جمع شارد كالخدم جمع خادم

لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۞ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۞ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ

يكونوا عليه لبداً ۞ ومعنى قام بدعوه قام يعبده يريدقيامه لصلاةالفجر بنخلة حين أتاه الجنّفاستمعوا لقرائته صلى الله عليه وسلم (كادوا يكونون عليه لبداً) أى يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به قائما وراكعا وساجداً وإعجابا بما تلا من القرآن لأنهم رأوا مالم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبدالله وحده مخالفا للمشركين فى عبادتهم الآلهة من دونه كادالمشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهوماتلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الأسد وقرئ لبدا واللبدة فى معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفؤه فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وإنه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين مارأوا من صلاته وازدحام أصحابه عليه فى ائتمامهم به (قال) للمتظاهرين عليه (إنما أدعوا ربى) يريد ماأتيتكم بأمر منكر إنما أعبد ربى وحده (ولاأشرك به أحدا) وليس ذاك مما يوجب اطباقكم على مقتى وعداوتى أوقال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ماترون من عبادتى الله ورفضى الإشراك به بأمر يتعجب منه إنما يتعجب ممن يدعو غيرالله ويجعل له شريكا أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولارشدا) ولانفعا أوأراد بالضر الغى ويدل عليه قراءة أبىّ غيا ولارشدا والمعنى لاأستطيع أن أضركم وأن أنفعكم إنما الضار والنافع الله أولاأستطيع أن أقسركم على الغى والرشد إنما القادر على ذلك الله عزّ وجل و(إلا بلاغا) استثناء منه أى لاأملك إلا بلاغا من الله وقل إنى لن يجيرنى جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفى الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى أنّ الله إن أرادبه سوأ من مرض أوموت أوغيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد أويجد من دونه ملاذا يأوى اليه ۞ والملتحد الملتجأ وأصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا ۞ وقرئ قال لاأملك أى قال عبدالله للمشركين أوللجن ويجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحد أى لن أجد من دونه منجى إلا أن أبلغ عنه ماأرسلنى به وقيل إلا هى أن لا ومعناه أن لاأبلغ بلاغا كقولك أن لاقياما فقعودا (ورسالاته) عطف على بلاغا كأنه قيل لاأملك لكم إلا التبليغ والرسالات والمعنى إلا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وأن أبلغ رسالاته التى أرسلنى بها من غير زيادة ولانقصان (فإن

۞ قوله تعالى قل إنى لاأملك لكم ضرا ولا رشدا (قال فيه معناه أى لا أستطيع أن أنفعكم أو أضركم إنما النافع والضارالله عز وجل الخ) قال أحمد فى الآية دليل بين على أنّ الله تعالى هو الذى يملك لعباده الرشد والغى يخلقهما لاغير فإنّ النبى صلى الله عليه وسلم إنما سلب ذلك عن قدرته ليمحض إضافته إلى قدرة الله وحده وفطن الزمخشرى لذلك فأخذ يعمل الحيل فتارة يحمل الرشد على مطلق النفع فيضيف ذلك إلى الله تعالى وتارة يمتنع عنه لأنّ فيه إبطالا لخصوصية الرشد المنصوص عليه فى الآية فيثور له من تقليده الرأى الفاسد ثوائر تصرفه عن الحق وعن اعتقاد أن الله تعالى هو الذى يخلق الرشد لعبيده مقارنا لاختيارهم فيدخل زيادة القسر لأنّ معنى ماورد من إضافة الرشد إلى قدرة الله تعالى عندهم أنه يخلق أن يخضع لها الرقاب فيخلق العبد لنفسه عند ظهورها رشدا فيضاف إلى قدرة الله تعالى لأنه خالق السبب وهو فى الحقيقة مخلوق بقدرة العبد هذه قاعدة القدرية وعقيدتهم وماالجن بعد هذا إلا أوفر عنهم عقلا وأسد منهم نظرا لأنهم قالوا وإنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا فأضافوا الرشد نفسه إلى إرادة الله عز وجل وقدرته عادكلامه قوله تعالى قل إنى لن يجيرنى من الله أحد الآية قال فيه هو اعتراض وقوله إلا بلاغا استثناء من قوله لاأملك أى لاأملك لكم

(قوله قال للمتظاهرين عليه) هذه قراءة غير عاصم وحمزة كذا فى النسفى وهو يفيد أن قراءتهما قل بصيغة الأمر كأنه سقط من كلام المصنف ذكر هذه القراءة فليحرر

مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۞ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۞ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۞ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۞

قلت) ألا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام بلغوا عنى بلغوا عنى (قلت) من ليست بصلة للتبليغ إنما هى بمنزلة من فى قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله وقرئ فأن له نار جهنم على فجزاؤه أن له نار جهنم كقوله فإن لله خمسه أى فحكمه أن لله خمسه وقال (خالدين) حملا على معنى الجمع فى من (فإن قلت) بم تعلق حتى وجعل مابعده غاية له (قلت) بقوله يكونون عليه لبدا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم (حتى إذا رأوا مايوعدون) من يوم بدر وإظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة (فسيعلمون) حينئذ أنهم (أضعف ناصرا وأقل عددا) ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قال لايزالون على ماهم عليه «حتى إذا رأوا مايوعدون» قال المشركون متى يكون هذا الموعود إنكارا له فقيل (قل) إنه كائن لاريب فيه فلا تنكروه فإن الله قد وعد ذلك وهو لايخلف الميعاد وأما وقته فما أدرى متى يكون لأن الله لم يبينه لما رأى فى إخفاء وقته من المصلحة ۞ (فإن قلت) مامعنى قوله (أم يجعل له ربى أمدا) والأمد يكون قريبا وبعيدا ألا ترى إلى قوله تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً (قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكأنه قال ماأدرى أهو حال متوقع فى كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية ۞ أى هو (عالم الغيب فلا يظهر) فلا يطلع و (من رسول) تبيين لمن ارتضى يعنى أنه لايطلع على الغيب إلا المرتضى الذى هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفى هذا إبطال للكرامات لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالإطلاع على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابهما أبعد شىء من الارتضاء وأدخله فى السخط (فإنه يسلك من بين يديه) يدى من ارتضى للرسالة (ومن خلفه رصدا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ماأوحى به إليه وعن الضحاك مابعث نبى إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك (ليعلم) الله (أن قد أبلغوا رسالات ربهم) يعنى الأنبياء وحد أولا على اللفظ فى قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فإن له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هى محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (وأحاط بما لديهم) بما عند الرسل

إلا بلاغا وقيل بلاغا بدل من ملتحدا الخ) قال أحمد فيكون تقدير الكلام بلاغا من الله مستفادا من قوله قل إن أدرى أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمدا (قال) إن قلت مامعنا التقسيم والأمد يكون قريبا وبعيدا لقوله تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وأجاب بأنه كان صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد وكأنه قال ماأدرى هل هو حال متوقع فى كل ساعة أم له غاية مضروبة ۞ قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول (قال فيه إبطال للكرامات لأنه حصر ذلك فى المرتضى من الرسل والولى وإن كان من المرتضين الخ) قال أحمد ادعى عاما واستدل خاصا فإن دعواه إبطال الكرامات بجميع أنواعها والمدلول عليه بالآية إبطال اطلاع الولى على الغيب خاصة ولايكون كرامة وخارق العادة إلا الاطلاع على الغيب لاغير وما القدرية إلا ولهم شبهة فى إبطالها وذلك أن الله عز وجل لايتخذ منهم ولياً أبداً وهم لم يحدثوا بذلك عن أشياعهم قط فلا جرم أنهم يستمرون على الإنكار ولا يعلمون أن شرط الكرامة الولاية وهى مسلوبة عنهم اتفاقا وأما سلب الإيمان فمسئلة خلاف فما أطمع من يكون إيمانه مسئلة خلاف وهو يريد الكرامة لأنه لم يؤتها والله الموفق

(قوله وفى هذا إبطال للكرامات) إبطالها مذهب المعتزلة وإثباتها مذهب أهل السنة وهى لاتنحصر فى الإخبار بالغيب

سـورة المزمل مكية

إلا الآيات ١٠ و١١ و٢٠ فمدنية وآياتها ٢٠ نزلت بعد القلم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ

من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهين عليها حافظ لها (وأحصى كل شيء عددا) من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال أى وضبط كل شيء معدوداً محصورا أو مصدر فى معنى إحصاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنىّ صدّق محمداً صلى الله عليه وسلم وكذب به عتق رقبة

﴿سورة المزمل مكية وهى تسع عشرة أو عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (المزمّل) المتزمّل وهو الذى تزمّل فى ثيابه أى تلفف بها بإدغام التاء فى الزاى ونحوه المدثر فى المتدثر وقرئ المتزمّل على الأصل والمزمّل بتخفيف الزاى وفتح الميم وكسرها على أنه اسم فاعل أو مفعول من زمله وهو الذى زمله غيره أو زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا فى قطيفة فنبه ونودى بما يهجن إليه الحالة التى كان عليها من التزمّل فى قطيفة واستعداده للاستثقال فى النوم كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن ألا ترى إلى قول ذى الرمّة

وكائن تخطت ناقتى من مفازة ✽ ومن نائم عن ليلها متزمّل

يريد الكسلان المتقاعس الذى لا ينهض فى معاظم الأمور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه

فأتت به حوش الفؤاد مبطنا ✽ سهداً إذا ما نام ليل الهوجل

وفى أمثالهم أوردها سعد وسعد مشتمل ✽ ما هكذا تورد يا سعد الإبل

فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وأمر بأن يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة فى الله لا جرم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر وأقبلوا على إحياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وظهرت السيمى فى

﴿القول فى سورة المزمل﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ✽ قوله تعالى يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلا (قال فيه هو المتلفف فى ثيابه كالمدثر ونودى بما يهجن إليه الخ) قال أحمد أما قوله الأول أنّ نداءه بذلك تهجين للحالة التى ذكر أنه كان عليها واستشهاده بالأبيات المذكورة فخطأ وسوء أدب ومن اعتبر عادة خطاب الله تعالى له فى الإكرام والاحترام علم بطلان ما تخيله الزمخشرى فقد قال العلماء أنه لم يخاطب باسمه نداء وأنّ ذلك من خصائصه دون سائر الرسل إكراما له وتشريفاً فأين نداؤه بصيغة مهجنة من ندائه باسمه واستشهاده على ذلك بأبيات قيلت ذمّا فى جفاة حفاة من الرعاء فأنا أبرأ إلى الله من ذلك وأربابه صلى الله عليه وسلم ولقد ذكرت بقوله ✽ أوردها سعد وسعد مشتمل ✽ ما وقفت عليه من كلام ابن خروف النحوى يرد على الزمخشرى ويخطئ رأيه فى تصنيفه المفصل وإجحافه فى الاختصار بمعانى كلام سيبويه حتى سماه ابن خروف البرنامج وأنشد عليه أوردها سعد وسعد مشتمل ✽ ما هكذا تورد يا سعد الإبل ✽ وأما ما نقله أن ذلك كان فى مرط عائشة رضى الله عنها فبعيد فإن السورة مكية وبنى النبىّ صلى الله عليه وسلم على عائشة رضى الله عنها بالمدينة والصحيح فى الآية ما ذكره آخراً لأن ذلك كان فى بيت خديجة عند ما لقيه جبريل أول مرة فبذلك وردت الأحاديث الصحيحة والله أعلم

(قوله فأتت به حوش الفؤاد مبطنا) أى حديد الفؤاد والبطن ضامر البطن والسهد بضمتين قليل النوم والهوجل الرجل الأهوج كذا فى الصحاح

وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝ إِنَّ لَكَ

وجوههم وترامى أمرهم إلى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا فى مرط لعائشة يصلى فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التى كان عليها وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا نصفه علىّ وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلى فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا إبريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا أول ما أتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملونى زملونى وحسب أنه عرض له فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل يا أيها المزمل وعن عكرمة أن المعنى يا أيها الذى زمل أمرا عظيما أى حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جنى الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فبأى الحركات تحرك فقد وقع الغرض (نصفه) بدل من الليل وإلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال قم أقل من نصف الليل ۝ والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وإن شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وإنما وصف النصف بالقلة بالنسبة إلى الكل وإن شئت قلت لما كان معنى قم الليل إلا قليلا نصفه إذا أبدلت النصف من الليل قم أقل من نصف الليل رجع الضمير فى منه وعليه إلى الأقل من النصف فكأنه قيل قم أقل من نصف الليل أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز إذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل قليلا الثانى بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعنى الربع نصف الربع كأنه قيل أو زد عليه قليلا نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع (فإن قلت) أكان القيام فرضا أم نفلا (قلت) عن عائشة رضى الله عنها أن الله جعله تطوعا بعد أن كان فريضة وقيل كان فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن إلا ما تطوعوا به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وإنما وقع التخيير فى المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبى كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير فى المقدار ولقوله تعالى « ومن الليل فتهجد به نافلة لك ۝ ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وأشباع الحركات حتى يجئ المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان وألا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضى الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو فى تتابعه الثغر الألص وسئلت عائشة رضى الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها و (ترتيلا) تأكيد فى إيجاب الأمر به وأنه ما لا بد منه للقارئ هذه الآية اعتراض ويعنى بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الأوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين وخاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته فهى أثقل عليه وأبهظ له وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التى ورد بها القرآن لأن الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضى الله عنه كان إذا نزل عليه الوحى ثقل عليه

(قوله وقيل كان متزملا فى مرط لعائشة) كيف والسورة مكية (قوله ولا مرعزى) المرعزى الزغب الذى تحت شعر العنز اه صحاح (قوله وقد جئث فرقا) أى أفزع فهو مجؤث أى مذعور كذا فى الصحاح وفيه البوادر من الإنسان وغيره اللحمة التى بين المنكب والعنق (قوله وأن لا يهذه هذا ولا يسرده) الهذ الإسراع والسرد التتابع والحقحقة شدة السير والألص متقارب الأسنان أفاده الصحاح وفيه الهذرمة سرعة القراءة

فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۞ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۞ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۞ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۞ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۞ إِنَّ لَدَيْنَا

وتربدله جلده وعن عائشة رضى الله عنها رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقا وعن الحسن ثقيل فى الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف (ناشئة الليل) النفس الناشئة بالليل التى تنشأ من مضجعها إلى العبادة أى تنهض وترتفع من نشأت السحابة إذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز إذا نهض قال

نشأنا إلى خوص برى نيها السرى ۞ وألصق منها مشرفات القماحد

وقيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ إذا قام ونهض على فاعلة كالعافية ويدل عليه ماروى عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من أول الليل أتقولين له قام ناشئة قالت لا إنما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث وترتفع وقيل هى ساعات الليل كلها لأنها تحدث واحدة بعد أخرى وقيل الساعات الأول منه وعن على بن الحسين رضى الله عنهما أنه كان يصلى بين المغرب والعشاء ويقول أما سمعتم قول الله تعالى إن ناشئة الليل هذه ناشئة الليل (هى أشد وطأ) هى خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يواطىء قلبها لسانها إن أردت النفس أو يواطىء فيها قلب القائم لسانه إن أردت القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ أشد وطأ بالفتح والكسر والمعنى أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل أو أثقل وأغلظ على المصلى من صلاة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر (وأقوم قيلا) وأسد مقالا وأثبت قراءة لهدو الأصوات وعن أنس رضى الله عنه أنه قرأ وأصوب قيلا فقيل له ياأبا حمزة إنما هى وأقوم فقال إن أقوم وأصوب وأهيأ واحد وروى أبو زيد الأنصارى عن أبى سرار الغنوى أنه كان يقرأ فحاسوا بحاء غير معجمة فقيل له إنما هو جاسوا بالجيم فقال وجاسوا وحاسوا واحد (سبحا) تصرفا وتقلبا فى مهماتك وشواغلك ولا تفرغ إلا بالليل فعليك بمناجاة الله التى تقتضى فراغ البال وانتفاء الشواغل وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأسد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار لأنه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب فى حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك فى حوائجك وقيل إن فاتك من الليل شىء فلك فى النهار فراغ تقدر على تداركه فيه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره فى ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعة ليله ونهاره (وتبتل إليه) وانقطع إليه (فإن قلت) كيف قيل (تبتيلا) مكان تبتلا (قلت) لأن معنى تبتل بتل نفسك فجىء به على معناه مراعاة لحق الفواصل (رب المشرق والمغرب) قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم بإضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه (لا إله إلا هو) كما تقول والله لا أحد فى الدار إلا زيد وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب (فاتخذه وكيلا) مسبب على

قوله تعالى إن ناشئة الليل هى أشد وطأ (قال فيه قيل الناشئة النفس القائمة بالليل التى تنشأ عن مضجعها الخ) قال أحمد فإن حملت الناشئة على النفس فإضافة المواطأة إليها حقيقة وإن حملتها على الساعات أو المصدر فهو من الاتساع المجازى

(قوله وتربد له جلده) أى تعبس اه (قوله نشأنا إلى خوص برى نيها السرى) جمع خوصاء أى غائرة العين والنى السمن والشحم والسرى سير الليل والقمحدوة ماخلف الرأس والجمع قماحد كذا فى الصحاح والمراد وصف الناقة

أنكالا وجحيما ۝ وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ۝ يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ۝ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ۝ فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا ۝ فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا ۝ السماء منفطر به كان وعده مفعولا ۝

التهليلة لأنه هو وحده هو الذى يجب لتوحده بالربوبية أن توكل إليه الأمور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار ۝ الهجر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والإغضاء وترك المكافأة وعن أبى الدرداء رضى الله عنه إنا لنكشر فى وجوه قوم ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ بآية السيف ۝ إذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستهم بخطب يريد أن يكفاه أو بعدو يشتهى أن ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرنى وإياه أى لا تحتاج إلى الظفر بمرادك ومشتهاتك إلا أن تخلى بينى وبينه بأن تكل أمره إلى وتستكفينيه فإن فى ما يفرغ بالك ويجلى همك وليس ثم منع حتى يطلب إليه أن يذره وإياه إلا ترك الاستكفاء والتفويض كأنه إذا لم يكل أمره إليه فكأنه منعه منه فإذا وكله إليه فقد أزال المنع وتركه وإياه وفيه دليل على الوثوق بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ماتدور حوله أمنية المخاطب وبما يزيد عليه ۝ النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الإنعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترفه (إن لدينا) مايضاد تنعمهم ۝ من أنكال وهى القيود الثقال عن الشعبى إذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل ۝ ومن جحيم وهى النار الشديدة الحر والاتقاد ۝ ومن طعام ذى غصة وهو الذى ينشب فى الحلوق فلا يساغ يعنى الضريع وشجر الزقوم ۝ ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا إليه أمرهم موذورا بينه وبينهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البنانى ويزيد الضبى ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يوم ترجف) منصوب بما فى لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة ۝ والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول فى أصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة أجز جفالا وأحلب كثبا عجالا أى كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أى نثر وأسيل ۝ الخطاب لأهل مكة (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (فإن قلت) لم نكر الرسول ثم عرف (قلت) لأنه أراد أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه (وبيلا) ثقيلا غليظا من قولهم كلأ وبيل وخم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم (يوما) مفعول به أى فكيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهوله إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز أن يكون ظرفا أى فكيف لكم بالتقوى فى يوم القيامة إن كفرتم فى الدنيا ويجوز أن ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم أى فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه (ويجعل الولدان شيبا) مثل فى الشدة يقال فى اليوم الشديد يوم يشيب نواصى الأطفال والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب قال أبو الطيب

والهم يخترم الجسيم نحافة ۝ ويشيب ناصية الصبى ويهرم

وقد مر بى فى بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال أريت القيامة والجنة والنار فى المنام ورأيت الناس يقادون فى السلاسل إلى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون

(قوله هو الذى يجب لتوحده بالربوبية) لعله الذى بدون هو (قوله لا تحتاج إلى الظفر) لعله فى الظفر
(قوله وأجز جفالا وأحلب كثبا) الجفال الصوف الكثير والكثبة من اللبن قدر حلبة والجمع كثب كذا فى الصحاح

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟

ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف لليوم بالشدة أيضاً وأن السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار أو على تأويل السماء بالسقف أو على السماء شيء منفطر والباء فى به مثلها فى قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعنى أنها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به ويجوز أن يراد السماء مثقلة به إثقالا يؤدى إلى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت فى السموات والأرض (وعده) من إضافة المصدر إلى المفعول والضمير لليوم ويجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل وهو الله عز وعلا ولم يجر له ذكر لكونه معلوما (إن هذه) الآيات الناطقة بالوعيد الشديد (تذكرة) موعظة (فمن شاء) اتعظ بها ۞ واتخذ سبيلا إلى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل إليه التقرب والتوسل بالطاعة (أدنى من ثلثى الليل) أقل منهما وإنما استعير الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز وإذا بعدت كثر ذلك ۞ وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر فى أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الأدنى من الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه بالجر أى تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من الثلثين والثلث وهو أدنى من النصف والربع وهو أدنى من الثلث وهو الوجه الأخير (وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما إلا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنياً عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى أنكم لا تقدرون عليه والضمير فى (لن تحصوه) لمصدر يقدر أى علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم (فتاب عليكم) عبارة عن الترخيص فى ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى أنه رفع التبعة فى تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب ۞ وعبر عن الصلاة بالقراءة لأنها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للأول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هى قراءة القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية فى ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية ۞ وقد بين الحكمة فى النسخ وهى تعذر القيام على المرضى والضاربين فى الأرض للتجارة والمجاهدين فى سبيل الله وقيل سوى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أيما رجل جلب شيأ إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحب إلى من أن أموت بين شعبتى رحل أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله و(علم) استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ (وأقيموا الصلوة) يعنى المفروضة والزكاة الواجبة وقيل زكاة الفطر لأنه لم يكن بمكة زكاة وإنما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يجوز أن يريد سائر الصدقات وأن يريد أداء الزكاة على أحسن وجه من إخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف

لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝

﴿سورة المدثر مكية وآياتها ٥٦ نزلت بعد المزمل﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝

إلى المستحق وأن يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال (خيراً) ثانى مفعولى وجد وهو فصل وجاز وإن لم يقع بين معرفتين لأن أفعل من أشبه فى امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ أبوالسمال هو خير وأعظم أجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأسورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

﴿سورة المدثر مكية وهى ست وخمسين آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (المدثر) لابس الدثار وهومافوق الشعار وهو الثوب الذى يلى الجسد ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الأنصار شعار والناس دثار وقيل هى أول سورة نزلت وروى جابر بن عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على جبل حراء فنوديت يامحمد إنك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أر شيأ فنظرت فوقى فرأيت شيأ وفى رواية عائشة فنظرت فوقى فإذابه قاعد على عرش بين السماء والأرض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال ياأيها المدثر وعن الزهرى أول مانزل سورة اقرأ باسم ربك إلى قوله مالم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل فقال إنك نبى الله فرجع إلى خديجة وقال دثرونى وصبوا على ماء بارداً فنزل ياأيها المدثر وقيل سمع من قريش ماكرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكراً كما يفعل المغموم فأمر أن لايدع إنذارهم وإن أسمعوه وآذوه وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الأمر وعصب بك كما قال فى المزمل قم من مضجعك أوقم قيام عزم وتصميم (فأنذر) فحذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا والصحيح أن المعنى فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال الله أكبر ويروى أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلاتدع تكبيره (وثيابك فطهر) أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لأن طهارة الثياب شرط فى الصلاة لاتصح إلابها وهى الأولى والأحب فى غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثا وقيل هو أمر بتقصيرها ومخالفة العرب فى تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مالايؤمن معه إصابة النجاسات وقيل هو أمر بتطهير النفس ممايستقذر من الأفعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان إذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الأخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لأن الثوب يلابس الإنسان ويشتمل عليه فكنى به عنه ألاترى إلى قولهم أعجبنى زيد ثوبه كما يقولون أعجبنى زيد عقله وخلقه ويقولون المجد فى ثوبه والكرم تحت حلته ولأن الغالب أن من طهر باطنه ونقاه عنى بتطهير الظاهر وتنقيته وأبى إلا اجتناب الخبث وإيثار الطهر فى كل شيء (والرجز) قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر مايؤدى إليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لأنه كان بريئاً منه وقرأ الحسن ولاتمن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال أى ولاتعط مستكثراً رائياً لما تعطيه كثيراً أوطالباً للكثير نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيئاً وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهياً خاصاً برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الأخلاق والثانى أن يكون نهى تنزيه لاتحريم له ولأمته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة أوجه الإبدال من تمنن كأنه قيل ولاتمنن لاتستكثر على أنه من المن فى قوله عز وجل ثم

وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝

لايتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لأنّ من شأن المنان بما يعطى أن يستكثره أى يراه كثيراً ويعتد به وأن يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفاً وأن يعتبر حال الوقف وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار أن كقوله ألا أيهذا الزاجرى احضر الوغى وتؤيده قراءة ابن مسعود ولاتمنن أن تستكثر ويجوز فى الرفع أن تحذف أن ويبطل عملها كما روى احضر الوغى بالرفع (ولربك فاصبر) ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على أذى المشركين وقيل على أداء الفرائض وعن النخعى على عطيتك كأنه وصله بما قبله وجعله صبراً على العطاء من غير استكثار والوجه أن يكون أمراً بنفس الفعل وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على أذى الكفار لأنه أحد ما يتناوله العام ۝ والفاء فى قوله (فإذا نقر) للتسبيب كأنه قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى فيه عاقبة صبرك عليه والفاء فى (فذلك) للجزاء (فإن قلت) بم انتصب إذا وكيف صح أن يقع (يومئذ) ظرفا ليوم عسير (قلت) انتصب إذا بما دلّ عليه الجزاء لأنّ المعنى فإذا نقر فى الناقور عسر الأمر على الكافرين والذى أجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير أن المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لأنّ يوم القيامة يأتى ويقع حين ينقر فى الناقور واختلف فى أنها النفخة الأولى أم الثانية ويجوز أن يكون يومئذ مبنياً مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير (فإن قلت) فما فائدة قوله (غير يسير) وعسير مغن عنه (قلت) لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بأنه لايكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيراً هيناً ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يراد أنه عسير لايرجى أن يرجع يسيراً كما يرجى تيسر العسير من أمور الدنيا (وحيدا) حال من الله عز وجل على معنيين أحدهما ذرنى وحدى معه فأنا أجزيك فى الانتقام منه عن كل منتقم والثانى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أو حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فإن كان ملقباً به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذى كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه فى الدنيا إلى وجه الذم والعيب وهو أنه خلق وحيداً لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه (ممدوداً) مبسوطاً كثيراً أو ممداً بالنماء من مدّ النهر ومدّه نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال وقيل كان له بستان بالطائف لاينقطع ثماره صيفاً وشتاء وقيل كان له ألف مثقال وقيل أربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل ألف ألف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر (وبنين شهوداً) حضوراً معه بمكة لايفارقونه للتصرف فى عمل أو تجارة لأنهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق إليهم ويجوز أن يكون معناه أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل أو تسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيداً) وبسطت له الجاه العريض والرياسة فى قومه فأتممت عليه نعمتى المال والجاه واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا ومنه قول الناس أدام الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش (ثم يطمع) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعنى أنه

﴿القول فى سورة المدثر﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ثم يطمع أن أزيد (قال دخلت ثم استبعاداً لطمعه وحرصه

كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا ۝ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝
ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝

(كلا) ردع له وقطع لرجائه وطمعه لا مزيد على ما أوتى سعة وكثرة وقيل إنه كان يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لى (إنه كان لآياتنا عنيداً) تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى أنه مازال بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله حتى هلك (سأرهقه صعوداً) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذى لا يطاق وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة فى النار كلما وضع عليها يده ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبداً (إنه فكر) تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز فى الدنيا لعناده ويعاقبه فى الآخرة بأشد العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه فى تفكيره وتسميته القرآن سحراً ويجوز أن تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سأرهقه صعوداً رداً لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له وإخباراً بأنه من أشد أهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله إنه فكر بدلا من قوله إنه كان لآياتنا عنيداً بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول فى القرآن (وقدر) فى نفسه ما يقوله وهيأه (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحز ورميه الغرض الذى كان تنتحيه قريش أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به أو هى حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما شعره الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذى هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى أن الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد إليه حزيناً وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيء من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله إلا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه (ثم نظر) فى وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبراً وتشاوس مستكبراً لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهم بأن يرمى بها وصف أشكاله التى تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب فى وجه رسول الله ﷺ (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما (فإن قلت) ما معنى ثم الداخلة فى تكرير الدعاء (قلت) الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى ونحوه قوله ألا يا اسلمى ثم اسلمى ثمت اسلمى (فإن قلت) ما معنى المتوسطة بين الأفعال التى بعدها (قلت) الدلالة على أنه قد تأنى فى التأمل وتمهل وكان بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد (فإن قلت) فلم قيل (فقال إن هذا) بالفاء بعد عطف ما قبله بثم (قلت) لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث (فإن قلت) فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين (قلت) لأن الأخرى جرت من الأولى

على الزيادة واستنكاراً لذلك فرد الله طمعه خائبا الخ) قال أحمد لأن الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد إمعانه النظر لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث (قال) فإن قلت لم لم يوسط بين الجملتين عاطفا وأجاب بأن الثانية أخرجها مخرج التوكيد للأولى

(قوله ثم نظر فى وجوه الناس) أى نظر بمؤخر عينه تكبراً أو تغيظاً كما فى الصحاح (قوله ثم قطب وجهه) فى الصحاح قطب وجهه تقطيبا عبس وفيه أيضا عبس عبوسا كلح وبسر بسوراً كلح يقال عبس وبسر اه

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَآ أَدْرَٰكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ

مجرى التوكيد من المؤكد (سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعوداً (لاتبقى) شيئا يلقى فيها إلا أهلكته وإذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد أو لاتبقى على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل مايطرح فيها هالك لامحالة (لواحة) من لوح الهجير قال

تقول مالاحك يامسافر ۝ يا ابنة عمى لاحنى الهواجر

قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سواداً من الليل ۝ والبشر أعالى الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل (عليها تسعة عشر) أى يلى أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالى الحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن ۝ جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون اليهم ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولأنهم أشد الخلق بأسا وأقواهم بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم أكثر من ربيعة ومضر وعن النبى صلى الله عليه وسلم كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصى يجرون أشعارهم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم وروى أنه لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبى كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين فأنزل الله (وماجعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) أى ماجعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون ۝ (فإن قلت) قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك (قلت) ماجعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وإنما العدة نفسها هى التى جعلت سببا وذلك أن المراد بقوله (وماجعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لأن حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن إذعان المؤمن وإن خفى عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لأن عدتهم تسعة عشر فى الكتابين فإذا سمعوا بمثلها فى القرآن أيقنوا أنه منزل من الله وازدياد المؤمنين إيمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب

۝ قوله تعالى وماجعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وماجعلنا عدتهم الآية (قال فيه إن قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا الخ) قال أحمد ماجعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وإنما العدة نفسها هى التى جعلت سببا لأن المراد وماجعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع ذلك لأن حال هذه العدة الناقصة واحدا من العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ولا يذعن وإن خفى عليه وجه الحكمة كأنه قيل لقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب قال أحمد السائل جعل الفتنة التى هى فى تقدير الصفة للعدة إذ معنى الكلام ذات فتنة سببا فيما بعدها والمجيب جعل العدة التى عرضت لها هذه الصفة سببا لا باعتبار عروض الصفة لها ويجوز أن يكون ليستيقن راجعا إلى ماقبل الاستثناء كأنه قيل جعلنا عدتهم سببا لفتنة الكافرين وسببا ليقين المؤمنين وهذا الوجه أقرب مما ذكره الزمخشرى وإنما ألجأه اليه اعتقاد أن الله تعالى ما فتنهم ولكنهم فتنوا أنفسهم بناء على قاعدة التبعيض فى المشيئة وبئست القاعدة

(قوله الصياصى يجرون أشعارهم) هى الحصون واحدها صيصية أفاده الصحاح

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۞ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۞ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۞ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۞ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۞

وتصديقهم أنه كذلك (فإن قلت) لم قال (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) والاستيقان وازدياد الإيمان دالا على انتفاء الارتياب (قلت) لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان آكد وأبلغ لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولأن فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر (فإن قلت) كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وإنما نجم بالمدينة (قلت) معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة (والكافرون) بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب (فإن قلت) قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ماقالوا فهب أن الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين والكافرين غرضا (قلت) أفادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة أن تكون غرضا ألا ترى إلى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية (فإن قلت) لم سموه مثلا (قلت) هو استعارة من المثل المضروب لأنه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم إنكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص ۞ الكاف في (كذلك) نصب وذلك إشارة إلى ماقبله من معنى الإضلال والهدى أي مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنون يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم إيمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا (وما يعلم جنود ربك) وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة (إلا هو) ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في أعداد السموات والأرضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة أو ما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول أبي جهل أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلى قوله إلا هو اعتراض وقوله (وما هي إلا ذكرى) متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي وما سقر وصفتها إلا تذكرة (للبشر) أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها (كلا) إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون أو ردع لمن ينكر أن تكون إحدى الكبر نذيرا و (دبر) بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه

فاحذرها ۞ عاد كلامه (قال وقوله تعالى ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب بعد قوله ليستيقن ليحصل لهم فائدة الجمع بين إثبات اليقين الخ) قال أحمد أطلق الغرض على الله عز وجل مع أنه موهم ولم يرد فيه سماع وأورد السؤال على قاعدته بعد ذلك كله في أن الله لم يرد من المنافقين والكافرين أقوالهم وإنما قالوا على خلاف ما أراد وقد عرفت فساد القاعدة فأرح فكرك من هذا السؤال فالكل مراد وحسبك تتمة الآية « كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء »

(قوله ودبر بمعنى أدبر) يعني في قراءة والليل إذا دبر وعبارة النسفي والليل إذ أدبر نافع وحفص وحمزة ويعقوب

نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۞ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۞ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۞ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۞
فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۞ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۞ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۞
وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۞ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۞ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۞

صاروا كأمس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار إذا خلفه وقرئ إذ أدبر (إنها لإحدى الكبر) جواب القسم أو تعليل لكلام والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافى فى جمع السافياء والقواصع فى جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة أى لإحدى البلايا أو الدواهى الكبر ومعنى كونها إحداهنّ أنها من بينهنّ واحدة فى العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال وهى إحدى النساء و (نذيرا) تمييز من إحدى على معنى إنها لإحدى الدواهى إنذارا كما تقول هى إحدى النساء عفافا وقيل هى حال وقيل هو متصل بأول السورة يعنى قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفى قراءة أبى نذير بالرفع خبر بعد خبر لإن أو بحذف المبتدإ (أن يتقدم) فى موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ أن يصلى ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم او يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز أن يكون لمن شاء بدلا من للبشر على أنها منذرة للمكلفين الممكنين الذين إن شاؤا تقدموا ففازوا وإن شاؤا تأخروا فهلكوا (رهينة) ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وإنما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة أبعد الذى بالنعف نعف كويكب ۞ رهينة رمس ذى تراب وجندل
كأنه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (إلا أصحاب اليمين) فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق وعن على رضى الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضى الله عنه هم الملائكة (فى جنات) أى هم فى جنات لا يكتنه وصفها (يتساءلون عن المجرمين) يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه (فإن قلت) كيف طابق قوله (ماسلككم) وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ماسلككم (قلت) ماسلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لأن المسؤلين يلقون إلى السائلين ماجرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ماسلككم (فى سقر قالوا لم نك من المصلين) إلا أن الكلام جئ به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل فى غرابة نظمه ۞ الخوض الشروع فى الباطل ومالا ينبغى (فإن قلت) لم يسألونهم وهم عالمون بذلك (قلت) توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك فى كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد

قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة قال وليست بتأنيث رهين الخ) قال أحمد لأنه فعيل بمعنى مفعول يستوى مذكره ومؤنثه كقتيل وجديد ۞ عاد كلامه قال وإنما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم الخ قوله تعالى فى جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم فى سقر الآية (قال فيه يتساءلون يعنى يسأل بعضهم بعضا عنهم الخ) قال أحمد إنما أورد السؤال ذريعة وحيلة لتحميل الآية الدلالة على أن فساق المسلمين تاركى الصلاة مثلا يسلكون فى النار مخلدين مع الكفار فجعل كل واحدة من الخلال الأربع توجب ماتوجب الأخرى من الخلود والصحيح فى معنى الآية أنها خاصة بالكفار ومعنى قولهم لم نك من المصلين لم نك من أهل الصلاة وكذلك إلى آخرها لأنهم يكذبون بيوم الدين والمكذب لا يصح منه

وخلف وغيرهم إذا دبر ودبر بمعنى أدبر وقوله الآتى وقرئ إذ أدبر يفيد أن قراءة دبر هى المشهورة (قوله جعلت ألف التأنيث كتائها) لعله كتائه

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۞ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۞ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ۞ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً ۞ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۞ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۞ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۞

بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالأطفال أنهم إنما سألوهم لأنهم ولدان لايعرفون موجب دخول النار ۞ (فإن قلت) أيريدون أن كل واحد منهم بمجموع هذه الأربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه (قلت) يحتمل الأمرين جميعا (فإن قلت) لم أخر التكذيب وهو أعظمها (قلت) أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا و(اليقين) الموت ومقدماته أى لوشفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لأن الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لأنها تزيد فى درجات المرتضين (عن التذكرة) عن التذكير وهو العظة يريد القرآن أو غيره من المواعظ و(معرضين) نصب على الحال كقولك مالك قائما والمستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها فى جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهى المنفرة المحمولة على النفار والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الأسد يقال ليوث قساور وهى فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفى وزنه الحيدرة من أسماء الأسد وعن ابن عباس ركز الناس وأصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم فى أعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما أفزعها وفى تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما فى قوله كمثل الحمار يحمل أسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولاترى مثل نفار حمير الوحش وأطرادها فى العدو إذا رابها رائب ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب فى وصف الإبل وشدة سيرها بالحمر وعدوها إذا وردت ماء فأحست عليه بقانص (صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التى يتكاتب بها أو كتبا كتبت فى السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان ابن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم الآية وقيل قالوا إن كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا أن الرجل من بنى إسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل إلا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على أن أنشر الصحف ونشرها واحد كأنزله ونزله ۞ ردعهم بقوله (كلا) عن تلك الإرادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لايخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف ثم ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة وقال (إنه تذكرة) يعنى تذكرة بليغة كافية مبهم أمرها فى الكفاية (فمن شاء) ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فإن نفع ذلك راجع إليه والضمير فى أنه و(ذكره) للتذكرة فى قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وإنما ذكر لأنها فى معنى الذكر أو القرآن (وما يذكرون إلا أن يشاء الله) يعنى إلا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم إليه لأنهم مطبوع على قلوبهم معلوم أنهم لايؤمنون اختيارا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق

طاعة من هذه الطاعات ولوفعلها لم تنفعه وقدرت كالعدم وإنما يتأسفون على ترك فعل هو نافع لهم ۞ قال وفى تشبيههم بالحمر تهجين لهم وشهادة عليهم بالبلادة وأيضا المقصود تشبيه إدبارهم عن الحق وتسارعهم إلى الإعراض عنه بنفار حمر الوحوش وعادة العرب أنها تشبه فى السرعة بعدو الحمر وخصوصا إذا أحست بقانص لجرى على ماعهدوه والله أعلم

(قوله تفسير أصحاب اليمين بالأطفال أنهم) لعله بأنهم (قوله فى جمعها له وحملها عليه) متعلق بكأنها لأنه وجه الشبه

سورة القيامة مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۞ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۞ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۞ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۞ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۞ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۞

بأن يغفر لهم إذا آمنوا وأطاعوا وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففاً ومشدداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

﴿ســـــورة القيامة مكية وهى تسع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامرى ۞ لا يدعى القوم أنى أفر

وقال غوية بن سلمى ألا نادت أمامة باحتمال ۞ لتحزننى فلا بك ما أبالى

وفائدتها توكيد القسم وقالوا أنها صلة مثلها فى لئلا يعلم أهل الكتاب وفى قوله فى بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه بأنها إنما تزاد فى وسط الكلام لا فى أوله وأجابوا بأن القرآن فى حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لأنها لم تقع مزيدة إلا فى وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها فى مستهل قصيدته والوجه أن يقال هى للنفى والمعنى فى ذلك أنه لا يقسم بالشىء إلا إعظاما له بذلك عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بإدخال حرف النفى يقول إن إعظامى له بإقسامى به كلا إعظام يعنى أنه يستأهل فوق ذلك وقيل أن لا نفى لكلام ورد له قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أى ليس الأمر على ما ذكرتم ثم قيل أقسم بيوم القيامة (فإن قلت) قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والأبيات التى أنشدتها المقسم عليه فيها منفى فهلا زعمت أن لا التى قبل القسم زيدت موطئة للنفى بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفياً كقولك لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى (قلت) لو قصر الأمر على النفى دون الإثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر ألا ترى كيف لقى لا أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الإنسان وكذلك فلا أقسم بمواقع النجوم بقوله إنه لقرآن كريم وقرئ لأقسم على أن اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدإ محذوف معناه لأنا أقسم قالوا ويعضده أنه فى الإمام بغير ألف (بالنفس اللوامة) بالنفس المتقية التى تلوم النفوس فيه أى فى يوم القيامة على تقصيرهن فى التقوى أو بالتى لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت فى الإحسان وعن الحسن إن المؤمن لا تراه إلا لائما نفسه وإن الكافر يمضى قدما لا يعاتب نفسه وقيل هى التى تتلوم يومئذ على ترك الازدياد إن كانت محسنة وعلى التفريط إن كانت مسيئة وقيل هى نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها الذى خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه) وهو لتبعثن وقرأ قتادة أن لن نجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى

﴿القول فى سورة القيامة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى «لا أقسم» (قال إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض الخ) قال أحمد إن لا التى قبل أقسم زيدت توطئة للنفى بعده وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفياً تقديره لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى وأجاب بأنه لو قصر الأمر على النفى دون الإثبات لكان له مساغ ولكنه ليس بقاصر عليه ألا ترى كيف لقى لا أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الإنسان فى كبد وقوله فلا أقسم بمواقع النجوم بقوله إنه لقرآن كريم

(قوله فى بئر لا حور سرى) الحور بالضم الهلكة أى فى بئر حور ولا زائدة أفاده الصحاح (قوله وأن الكافر يمضى قدما لا يعاتب) فى الصحاح مضى قدما بضم الدال لم يعرج ولم ينثن اه

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۝ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطاً بالتراب وبعدما سفتها الرياح وطيرتها فى أباعد الارض وقيل إنّ عدى ابن أبى ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفنى جار السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدّثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدّقك يا محمد ولم أومن به أو يجمع الله العظام فنزلت (بلى) أوجبت ما بعد النفى وهو الجمع فكأنه قيل (بلى) نجمعها و (قادرين) حال من الضمير فى نجمع أى نجمع العظام قادرين على تاليف جميعها وإعادتها إلى التركيب الاوّل إلى أن نسوّى بنانه أى أصابعه التى هى أطرافه وآخر ما يتم به خلقه أو على أن نسوّى بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أوّلا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوّى أصابع يديه ورجليه أى نجعلها مستوية شيئا واحداً كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيئاً مما يعمل بأصابعه المفرّقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتأتى لما يريد من الحوائج، قرئ قادرون أى نحن قادرون (بل يريد) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما وأن يكون إيجابا على أن يضرب عن مستفهم عنه إلى آخر أو يضرب عن مستفهم عنه إلى موجب (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه يقدّم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف أتوب سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شرّ أحواله وأسوأ أعماله (يسئل) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة فى قوله (أيان يوم القيامة) ونحوه ويقولون متى هذا الوعد (برق البصر) تحير فزعا وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق أى لمع من شدّة شخوصه وقرأ أبو السمال بلق إذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وأبلقته وبلقته فتحته (وخسف القمر) وذهب ضوءه أو ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول (وجمع الشمس والقمر) حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا فى ذهاب الضوء وقيل يجتمعان أسودين مكوّرين كأنهما ثوران عقيران فى النار وقيل يجمعان ثم يقذفان فى البحر فيكون نار الله الكبرى (المفرّ) بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز أن يكون مصدراً كالمرجع وقرئ بهما (كلا) ردع عن طلب المفرّ (لا وزر) لا ملجأ وكل ما التجأت إليه من جبل أو غيره وتخلصت به فهو وزرك (إلى ربك) خاصة (يومئذ) مستقرّ العباد أى استقرارهم يعنى أنهم لا يقدرون أن يستقروا إلى غيره وينصبوا إليه أو إلى حكمه ترجع أمور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم أو إلى ربك مستقرّهم أى موضع قرارهم من جنة أو نار أى مفوّض ذلك إلى مشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار (بما قدّم) من عمل عمله (و) بما (أخر) منه لم يعمله أو بما قدّم من ماله فتصدق به وبما أخره فخلفه أو بما قدم من عمل الخير والشرّ وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد بأوّل عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه (بصيرة) حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو لاعين بصيرة والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الإنباء لانه شاهد عليها بما عملت لانّ جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو أرخى ستوره وقال المعاذير الستور

(قوله ختن الاخنس بن شريق) فى الصحاح الختن بالتحريك كل من كان من قبل المرأة مثل الاب والاخ وعند العامة ختن الرجل زوج ابنته (قوله وقيل وجمعا فى ذهاب الضوء) لعله وقيل جمعا (قوله وينصبوا إليه أو إلى حكمه) فى الصحاح نصب القوم ساروا يومهم وهو سير لين ونصب الرجل بالكسر نصبا تعب

بَيَانَهُ ۞ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۞ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
بَاسِرَةٌ ۞ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۞ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۞ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۞ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۞ وَالْتَفَّتِ

وأحدها معذار فإن صح فلأنه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب (فإن قلت) أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير (قلت) المعاذير ليس بجمع معذرة إنما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر ۞ الضمير في (به) للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضي إليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ (لتعجل به) لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله (إن علينا جمعه) في صدرك وإثبات قراءته في لسانك (فإذا قرأناه) جعل قراءة جبريل قراءته ۞ والقرآن القراءة (فاتبع قرآنه) فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه (ثم إن علينا بيانه) إذا أشكل عليك شيء من معانيه كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه (كلا) ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وإنكار لها عليه وحث على الأناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله (بل تحبون العاجلة) كأنه قال بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة (وتذرون الآخرة) وقرئ بالياء وهو أبلغ (فإن قلت) كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك إلى آخره بذكر القيامة (قلت) اتصاله به من جهة هذا التخلص منه إلى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة ۞ الوجه عبارة عن الجملة ۞ والناضرة من نضرة النعيم (إلى ربها ناظرة) تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى إلى قوله إلى ربك يومئذ المستقر إلى ربك يومئذ المساق إلى الله تصير الأمور وإلى الله المصير وإليه ترجعون عليه توكلت وإليه أنيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه أن يكون من قول الناس أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل ۞ وإذا نظرت إليك من ملك ۞ والبحر دونك زدتني نعما ۞ وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم تقول عيينتي نويظرة إلى الله وإليكم والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه ۞ والباسر الشديد العبوس والباسل أشد منه ولكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه (تظن) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو في شدته وفظاعته (فاقرة) داهية

۞ قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة (قال الوجوه كناية عن الجملة وقدم إلى ربها ليفيد الحصر الخ) قال أحمد ما أقصر لسانه عند هذه الآية فكم له يدندن ويطيل في جحد الرؤية ويشقق القباء ويكثر ويتعمق فلما فغرت هذه الآية فاه صنع في مصادمتها بالاستدلال على أنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول لأنها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى وما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه ولا يؤثر عليه غيره ولا يعدل به عز وعلا منظورا سواه وحقيق له أن يحصر رؤيته إلى من ليس كمثله شيء ونحن نشاهد العاشق في الدنيا إذا أظفرته برؤية محبوبه لم يصرف عنه لحظه ولم يؤثر عليه فكيف بالمحب لله عز وجل إذا أحظاه النظر إلى وجهه الكريم نسأل الله العظيم أن لا يصرف عنا رجهه وأن يعيذنا من مزالق البدعة ومزلات الشبهة وهو حسبنا ونعم الوكيل

(قوله لو كان منظورا إليه محال) عدم كونه منظورا إليه تعالى مبني على مذهب المعتزلة وهو عدم جواز رؤيته تعالى ومذهب أهل السنة جوازها ويجوز أن يكون تقديم المفعول هنا للاهتمام بذكر المنظور إليه الذي يقتضي النظر إليه نضرة وجوه الناظرين لا للاختصاص

السَّاقُ بِالسَّاقِ ۞ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ۞ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۞ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۞ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ۞ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۞ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۞ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۞ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۞ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۞

سورة الإنسان مدنية وآياتها ٣١ نزلت بعد الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۞ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ

تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير (كلا) ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين ۞ والضمير فى (بلغت) للنفس وإن لم يجر لها ذكر لأن الكلام الذى وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى ۞ إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء (التراقى) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذى هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقى ودنا زهوقها وقال حاضرو صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض (من راق) أيكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (وظن) المحتضر (أنه الفراق) أن هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت) ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل فى الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى أكفانه (المساق) أى يساق إلى الله وإلى حكمه (فلا صدق ولا صلى) يعنى الإنسان فى قوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ألا ترى إلى قوله أيحسب الإنسان أن يترك سدى وهو معطوف على يسأل أيان يوم القيامة أى لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز أن يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاة وقيل نزلت فى أبى جهل (يتمطى) يتبختر وأصله يتمطط أى يتمدد لأن المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لأنه يلويه وفى الحديث إذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعنى كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى عنه وأعرض ثم ذهب إلى قومه يتبختر افتخارا بذلك (أولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره (فخلق) فقدر (فسوى) فعدل (منه) من الإنسان (الزوجين) الصنفين (أليس ذلك) الذى أنشأ هذا الإنشاء (بقادر) على الإعادة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة

﴿سورة الإنسان مكية وهى إحدى وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة والأصل أهل بدليل قوله ۞ أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم ۞ فالمعنى أقد أتى على التقدير والتقريب جميعا أى أتى على الإنسان قبل زمان قريب (حين من الدهر لم يكن) فيه (شيئا مذكورا)

﴿القول فى سورة الإنسان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ قوله تعالى هل أتى على الإنسان (قال) هل بمعنى قد فى الاستفهام والأصل أهل الخ قوله تعالى إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا (قال فيهما حالان من الهاء فى هديناه الخ) قال أحمد هذا من

(قوله إذا حشرجت يوما) فى الصحاح الحشرجة الغرغرة عند الموت (قوله عند علز الموت) قوله علز هو كالرعدة تأخذ المريض اه

مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۞ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۞ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۞ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا

أى كان شيئاً منسياً غير مذكور نطفة فى الأصلاب والمراد بالإنسان جنس بنى آدم بدليل قوله إنا خلقنا الإنسان من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد (فإن قلت) ما محل لم يكن شيئاً مذكورا (قلت) محله النصب على الحال من الإنسان كأنه قيل هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور أو الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا يجزى والد عن ولده وعن بعضهم أنها تليت عنده فقال ليتها تمت أراد ليت تلك الحالة تمت وهى كونه شيئاً غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف (نطفة أمشاج) كبرمة أعشار و بردأ كباش وهى ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للأفراد ويقال أيضاً نطفة مشج قال الشماخ طوت أحشاء مرتجة لوقت ۞ على مشج سلالته مهين

ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيراً له بل هما مثلان فى الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وعن ابن مسعود هى عروق النطفة وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة (نبتليه) فى موضع الحال أى خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائداً به غداً تريد قاصدا به الصيد غداً ويجوز أن يراد ناقلين له من حال إلى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه فى بطن أمه نطفة ثم علقة وقيل هو فى تقدير التأخير يعنى فجعلناه سميعاً بصيرا لنبتليه وهو من التعسف شاكراً وكفورا حالان من الهاء فى هديناه أى مكناه وأقدرناه فى حالتيه جميعا أو دعوناه إلى الإسلام بأدلة العقل والسمع كان معلوما منه أنه يؤمن أو يكفر لإلزام الحجة ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أى عرفناه السبيل إما سبيلا شاكراً وإما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة فى أما وهى قراءة حسنة والمعنى أما شاكراً فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان أحدهما أن تكون هذه النون بدلا من حرف الإطلاق ويجرى الوصل مجرى الوقف والثانى أن يكون صاحب القراءة به ممن ضرى برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف (الأبرار)

تحريفه المنكر وهو عند أهل السنة على ظاهره عاد كلامه (قال أو يكون معناه إنا دعوناه إلى الإيمان كان معلوما منه الخ) قال أحمد واستحسانه لقراءة أبى السمال لتخيله أن فى التقسيم إشعاراً بغرضه الفاسد وليس كذلك فإن التقسيم يحتمل الجزاء إما شاكراً فمثاب وإما كفورا فمعاقب ويرشد إليه ذكر جزاء الفريقين بعد قوله تعالى سلاسل وأغلالا (قال فيه قرئ بتنوين سلاسل فوجهه أن تكون هذه النون بدلا من ألف الإطلاق الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الأول لأن معتقده أن القراءة المستفيضة غير موقوفة على النقل المتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفاصيلها وأنها موكولة إلى اجتهاد القراء واختيارهم بمقتضى نظرهم كما مر له وطم على ذلك ههنا فجعل تنوين سلاسل من قبيل الغلط الذى يسبق إليه اللسان فى غير موضعه لتمرنه عليه فى موضعه والحق أن جميع الوجوه المستفيضة منقولة تواترا عنه صلى الله عليه وسلم وتنوين هذا على لغة من يصرف فى نثر الكلام جميع مالا ينصرف إلا أفعل والقراآت مشتملة على اللغات المختلفة وأما قوارير قوارير فقرئ بترك تنوينهما وهو الأصل وتنوين الأول خاصة بدلا من ألف الاطلاق لأنها فاصلة وتنوين الثانية كالأولى اتباعا لها ولم يقرأ أحد بتنوين الثانية وترك تنوين الأولى فإنه عكس أن يترك تنوين الفاصلة مع الحاجة

(قوله كبرمة أعشار) فى الصحاح برمة أعشار إذا انكسرت قطعاً قطعاً وقلب أعشار جاء على بناء الجمع كما قالوا رمح إقصاد اه ولم يذكر أكباش ولا مادته فيه فلينظر فى غيره (قوله فبسوء اختياره) هذا على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يخلق الشر أما عند أهل السنة فهو خالق الخير والشر كالشكر والكفر

عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا

جمع برأو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر والكأس الزجاجة إذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كأسا (مزاجها) ماتمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده و (عينا) بدل منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كأنه قيل يشربون فيها خمرا خمر عين أو نصب على الاختصاص (فإن قلت) لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولا وبحرف الالصاق آخرا (قلت) لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل (يفجرونها) يجرونها حيث شاؤا من منازلهم (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم (يوفون) جواب من عسى يقول مالهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى (مستطيرا) فاشيا منتشرا بالغا أقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر (على حبه) الضمير للطعام أى مع اشتهائه والحاجة إليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله (وأسيرا) عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار فى دار الإسلام ولا تصرف إليهم الواجبات وعن قتادة كان أسيرهم يومئذ المشرك وأخوك المسلم أحق أن تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الأسير من أهل القبلة وعن أبى سعيد الخدرى هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك (إنما نطعمكم) على إرادة القول ويجوز أن يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر لأن إحسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافأة الخلق وأن يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغى أن يكون عليه من أخلص لله وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فإذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز أن يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وإن لم يقولوا شيئا وعن مجاهد أما أنهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم ۝ والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر (إنا نخاف) يحتمل إن إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم وإنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصدقة ۝ ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء كقولهم نهارك صائم روى أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبه فى شدته وضرره بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل ۝ والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال

الى المجانسة وتنوين غيرها من غير حاجة قوله تعالى إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله (قال فيه كافور اعين فى الجنة اسمها كذلك فى لون الكافور ورائحته وبرده الخ) قال أحمد هذا الجواب على القولين الأولين وأما على القولين الآخرين وهو أن العين بدل من الكأس وهى مزاجها بالكافور إما اشتمالها على أوصافه وإما أن يكون الكافور المعهود كما تقدم فلا يتم الجواب المذكور فيجاب عن السؤال بأنه لما ذكر الشراب أولا باعتبار الوقوع فى الوجود ذكره ثانيا مضمنا للالتذاذ به وكأنه قال فيشربون منها فيلتذون بها وعليه حمله أبو عبيد عاد كلامه (قال) قوله تعالى يفجرونها تفجيرا أى سهلا لا يمتنع عليهم الخ

(قوله لا يؤذون الذر) فى الصحاح الذر النمل

عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۞ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۞ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۞ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۞ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۞ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۞ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۞ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا

اقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال أسد بن ناعصة

واصطليت الحروب فى كل يوم ۞ باسل الشر قمطرير الصباح

(ولقاهم نضرة وسرورا) أى أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب وهذا يدل على أنّ اليوم موصوف بعبوس أهله (بما صبروا) بصبرهم على الإيثار وعن ابن عباس رضى الله عنه أنّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما إن برآ مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شىء فاستقرض على من شمعون الخيبرى اليهودى ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير فى الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ على رضى الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هناك الله فى أهل بيتك فأقرأه السورة (فإن قلت) ما معنى ذكر الحرير مع الجنة (قلت) المعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدى إليه من الجوع والعرى بستانا فيه مأكل هنىّ وحريراً فيه ملبس بهى ۞ يعنى أن هواءها معتدل لا حرّ شمس يحمى ولا شدّة برد تؤذى وفى الحديث هواء الجنة سجسج لا حرّ ولا قرّ وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب أنه فى لغة طيّ وأنشد وليلة ظلامها قد اعتكر ۞ قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر ۞ (فإن قلت) (ودانية عليهم ظلالها) علام عطفت (قلت) على الجملة التى قبلها لأنها فى موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها إليهم فى عليهم إلا أنها اسم مفرد وتلك جملة فى حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمساً ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم كأنه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحرّ والقرّ ودنوّ الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على أن ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة فى موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية عليهم ويجوز أن تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز أن يكون ودانية معطوفة على جنة أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لأنهم وصفوا بالخوف إنا نخاف من ربنا (فإن قلت) فعلام عطف (وذلك) (قلت) هى إذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية وإذا نصبتها على الحال فهى حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها لهم أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وإذا نصبت ودانية على الوصف فهى صفة مثلها ألا ترى أنك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحاً وتذليل القطوف أن تجعل ذللا لا تمتنع على قطوفها كيف شاؤا أو تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل إذا كان قصيرا (قوارير قوارير) قرئا غير منونين وبتنوين الأوّل وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف

(قوله وجمعت قطريها وزقت بأنفها) القطر الناحية والجانب وزق الطائر فرخه أطعمه بفيه والزقزقة ترقيص الطفل كذا فى الصحاح (قوله قال أسد بن ناعصة) من النعص وهو التمايل (قوله هواء الجنة سجسج) تفسيره ما بعده كما يفيده الصحاح

كأسا كان مزاجها زنجبيلا ۝ عينا فيها تسمى سلسبيلا ۝ ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ۝ وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ۝ عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا

الإطلاق لأنه فاصلة وفى الثانى لإتباعه الأول ومعنى قوارير من (فضة) أنها مخلوقة من فضة وهى مع بياض الفضة وحسنها فى صفاء القوارير وشفيفها (فإن قلت) مامعنى كانت (قلت) هو من يكون فى قوله كن فيكون أى تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتى الجوهرين المتباينين ومنه كان فى قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هى قوارير (قدروها) صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها فى أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على أنهم قدروا شرابها على قدر الرى وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه أن يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشىء وقدرنيه فلان إذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الأعشى كأن القرنفل والزنجبيل ۝ باتا بفيها وأريا مشورا
وقال المسيب بن علس وكأن طعم الزنجبيل به ۝ إذ ذقته وسلافة الخمر
و (سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يعنى أنها فى طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء فى التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل فى اللغة صفة لما كان فى غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه أن معناه سل سبيلا إليها وهذا غير مستقيم على ظاهره إلا أن يراد أن جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذرى حبا وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته فى العربية تكلف وابتداع وعزوه إلى مثل على رضى الله عنه أبدع وفى شعر بعض المحدثين
سل سبيلا فيها إلى راحة النفس براح كأنها سلسبيل
۝ وعينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين أو منصوبة على الاختصاص ۝ شبهوا فى حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون أنه ليلة زفت إليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر إليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در أبى نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول كأن صغرى وكبرى من فواقعها ۝ حصباء در على أرض من الذهب
وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن وأكثر ماء (رأيت) ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل وإذا أوجدت الرؤية ثم ومعناه أن بصر الرائى أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير و(ثم) فى موضع النصب على الظرف يعنى فى الجنة ومن قال معناه ماثم فقد أخطأ لأن ثم صلة لما ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة (كبيرا) واسعا وهنيأ يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل لا زوال له وقيل إذا أرادوا شيأ كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم ۝ قرئ عاليهم بالسكون على أنه مبتدأ خبره (ثياب سندس) أى مايعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على أنه حال من الضمير فى يطوف

قوله تعالى عاليهم ثياب سندس خضر (قال فيه قرئ بالسكون على أنه مبتدأ خبره ثياب الخ) قال أحمد فى هذا الوجه الآخر نظر فانه يجعله

(قوله وأريا مشورا) الأرى العسل والمشور المجنى أفاده الصحاح (قوله المسيب بن علس) العلس فى الأصل القراد الضخم وبه سمى الرجل كذا فى الصحاح (قوله وكبرى من فواقعها) الذى فى الصحاح الفاقعة الداهية وفواقع الدهر بوائقه والفقاع

أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۞ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۞ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ۞ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ۞ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۞ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۞

عليهم أو فى حسبتهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب أوحسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم وخضر وإستبرق بالرفع حملا على الثياب بالجر على السندس وقرئ وإستبرق نصبا فى موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمى وهو غلط لأنه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الإستبرق إلا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضا لأنه معرب مشهور تعريبه وأن أصله استبره (وحلوا) عطف على ويطوف عليهم (فإن قلت) ذكرههنا أن أساورهم من فضة وفى موضع آخر أنها من ذهب (قلت) هب أنه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا إشكال فيه على أنهم يسورون بالجنسين إما على المعاقبة وإما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلى وتجمع بينهما وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لأن كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدى الوضرة وتدوسه الأقدام الدنسة ولم يجعل فى الدنان والأباريق التى لم يعن بتنظيفها أو لأنه لا يؤول إلى النجاسة لأنه يرشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك ۞ أى يقال لأهل الجنة (إن هذا) وهذا إشارة إلى ما تقدم من عطاء الله لهم ماجوزيتم به على أعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز تكرير الضمير بعد إيقاعه اسما لأن تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أى وجه نزل إلا حكمة وصوابا كأنه قيل مانزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما إلا أنا لا غيرى وقد عرفتنى حكيما فاعلا لكل ما أفعله بدواعى الحكمة ولقد دعتنى حكمة بالغة إلى أن أنزل عليك الأمر بالمكافة والمصابرة وسأنزل عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين (فاصبر لحكم ربك) الصادر عن الحكمة وتعليقه الأمور بالمصالح وتأخيره نصرتك على أعدائك من أهل مكة ولا تطع منهم أحدا قلة صبر منك على أذاهم وضجرا من تأخر الظفر وكانوا مع إفراطهم فى العداوة والإيذاء له ولمن معه يدعونه إلى أن يرجع عن أمره ويبذلون له أموالهم وتزويج أكرم بناتهم إن أجابهم (فإن قلت) كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة فى قوله (آثما أو كفورا) (قلت) معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو إثم داعيا لك إليه أو فاعلا لما هو كفر داعيا لك إليه لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر فنهى أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لأن عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لأنواع الفسوق وكان الوليد غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو (فإن قلت) معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جىء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا (قلت) لو قيل ولا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما وإذا قيل لا تطع أحدهما علم أن الناهى عن طاعته أحدهما عن طاعتهما جميعا أنهى كما إذا نهى أن يقول لأبويه أف علم أنه منهى عن ضربهما على طريق الأولى (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) ودم على صلاة الفجر والعصر (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له أو يعنى صلاة المغرب والعشاء وأدخل من على الظرف

داخلا فى مضمون الحسبان وكيف يكون ذلك وهم لابسون السندس حقيقة لا على وجه التشبيه باللؤلؤ بخلاف كونهم لؤلؤا فإنه على طريق التشبيه المقتضى لقرب شبههم باللؤلؤ إلى أن يحسبوا لؤلؤا ويحتمل أن يصحح هذا الوجه لكن بعد تكلف مستغنى عنه بالأول

الذى يشرب والفقاقيع النفاخات التى ترتفع فوق الماء كالقوارير اه فلعل ما فى البيت من فقاقعها فليحرر (قوله فتمسه الأيدى الوضرة) من الوضر وهو الدرن والدسم أفاده الصحاح

نَحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ۞ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۞ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞

للتبعيض كما دخل على المفعول فى قوله يغفر لكم من ذنوبكم (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له هزيعاً طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (إن هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا (وراءهم) قدامهم أو خلف ظهورهم لايعبؤن به (يوما ثقيلا) استعير الثقل لشدته وهوله من الشىء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت فى السموات والأرض ۞ الأسر الربط والتوثيق ومنه أسر الرجل إذا أوثق بالقد وهو الإسار وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضاً ببعض وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته (وإذا شئنا) أهلكناهم و (بدلنا أمثالهم) فى شدة الأسر يعنى النشأة الآخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه أن يجىء بإن لا بإذا كقوله وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم إن يشأ يذهبكم (هذه) إشارة إلى السورة أو إلى الآيات القريبة (فمن شاء) فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل إلى الله عبارة عن التقرب إليه والتوسل بالطاعة (وما يشاؤن) الطاعة (إلا أن يشاء الله) بقسرهم عليها (إن الله كان عليما) بأحوالهم وما يكون منهم (حكيما) حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاؤن بالتاء (فإن قلت) ما محل أن يشاء الله (قلت) النصب على الظرف وأصله إلا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود إلا ما يشاء الله لأن ما مع الفعل كان معه (يدخل من يشاء) هم المؤمنون ونصب (الظالمين) بفعل يفسره أعدلهم نحو أوعد وكافأ وما أشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على وأعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

قوله تعالى «وما تشاؤن إلا أن يشاء الله» (قال فيه معناه وما تشاؤن الطاعة إلا أن يشاء الله الخ) قال أحمد وهذا من تحريفاته للنصوص وتسوره على خزائن الكتاب العزيز كدأب الشطار واللصوص فلنقطع يد حجته التى أعدها وذلك حكم هذه السرقة وحدها فنقول: الله تعالى نفى وأثبت على سبيل الحصر الذى لا حصر ولا نصر أوضح منه ألا ترى أن كلمة التوحيد اقتصر بها على النفى والإثبات لأن هذا النظم أعاق شىء بالحصر وأدله عليه فنفى الله تعالى أن يفعل العبد شيئاً له فيه اختيار ومشيئة إلا أن يكون الله تعالى قد شاء ذلك الفعل فمقتضاه ما لم يشأ الله وقوعه من العبد لا يقع من العبد وما شاء منه وقوعه وقع وهو رديف ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وانظر إدخاله القسر فى تعطيل الآية لا تأويلها كيف ناقض به فإن معنى الآية عنده أن مشيئة العبد الفعل لا تكون إلا إذا قسره الله عليها والقسر مناف للمشيئة فصار الحاصل أن مشيئة العبد لا توجد إلا إذا انتفت فإذاً لا مشيئة للعبد البتة والاختيار وما هو إلا فر من إثبات قدرة للعبد غير مؤثرة ومشيئة غير خالقة ليتم له إثبات قدرة ومشيئة مؤثرين فوقع فى سلب القدرة والمشيئة أصلا ورأساً وحيث لزم الحيد عن الاعتزال انحرف بالكلية إلى الطرف الأقصى متحيزاً إلى الجبر فيا بعدما توجه بسوء نظره والله الموفق

(قوله وتهجد له هزيعاً طويلا) فى الصحاح مضى هزيع من الليل أى طائفة (قوله وترس مأسور بالعقب) فى الصحاح العقب بالتحريك العصب الذى تعمل منه الأوتار الواحدة عقبة تقول منه عقبت السهم والقدح والقوس إذا لويت شيئاً منه عليه (قوله إلا أن يشاء الله بقسرهم عليها) إرادته تعالى تستلزم وجود المراد ولكن لا تستلزم كون العبد مقسوراً ومجبوراً على الفعل إلا عند المعتزلة وأما أهل السنة فقد أثبتوا للعبد الكسب مع كون الله هو الخالق للفعل عندهم وتفصيل ذلك فى التوحيد

سورة المرسلات مكية إلا آية ٤٨ فمدنية وآياتها ٥٠ نزلت بعد الهمزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۞ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۞ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۞ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۞
فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۞ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۞ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۞
وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۞ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۞ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۞ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۞

﴿ سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهنّ بأوامره فعصفن فى مضيهنّ كما تعصف الرياح تخففاً فى امتثال أمره وبطوائف منهم نشرن أجنحتهنّ فى الجو عند انحطاطهنّ بالوحى أو نشرن الشرائع فى الأرض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكراً إلى الأنبياء (عذراً) للمحققين (أو نذراً) للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهنّ فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفاً أو بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله تعالى وبين من يكفر كقوله لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فألقين ذكراً إما عذراً للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله فى الغيث ويشكرونها وإما إنذاراً للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك إلى الأنواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سبباً فى حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت (فإن قلت) ما معنى عرفا (قلت) متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع إذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذى هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له أى أرسلن للإحسان والمعروف والأول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر فى نكر (فإن قلت) قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون إرسالهم معروفا (قلت) إن لم يكن معروفا للكفار فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم ۞ (فإن قلت) ما العذر والنذر وبما انتصبا (قلت) هما مصدر أن من عذر إذا محا الإساءة ومن أنذر إذا خوّف على فعل كالكفر والشكر ويجوز أن يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الأوّلين أو على المفعول له وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين وقرئا مخففين ومثقلين ۞ أنّ الذى توعدون من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لاريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم أنّ المعنى ورب المرسلات (طمست) محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور (فرجت) فتحت فكانت أبوابا قال الفارجى باب الأمير المبهم (نسفت) كالحب إذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل أخذت بسرعة من أماكنها من انتسفت الشيء إذا اختطفته ۞ وقرئت طمست وفرجت ونسفت مشدّدة ۞ قرئ أقتت ووقت بالتشديد والتخفيف فيهما والأصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم ۞ والتأجيل من الأجل كالتوقيت من الوقت (لأى يوم أجلت) تعظيم لليوم وتعجيب من هوله (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق والوجه أن يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وهو يوم القيامة وأجلت أخرت ۞ (فإن قلت) كيف وقع النكرة مبتدأ فى قوله (ويل يومئذ للمكذبين) (قلت) هو فى أصله مصدر منصوب سادّ مسدّ فعله ولكنه أعدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكنه لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا ۞ قرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه قال

(قوله كشعر العرف) فى الصحاح العرف عرف الفرس وقوله تعالى والمرسلات عرفا يقال هو مستعار من عرف الفرس أى يتتابعون كعرف الفرس وفيه تألبوا تجمعوا

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا

العجاج ومهمه هالك من تعرجا (ثم نتبعهم) بالرفع على الاستئناف وهو وعيد لأهل مكة يريد ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل مافعلنا بالأولين ونسلك بهم سبيلهم لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه أنه أهلك الأولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل) بكل من أجرم إنذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء أثره (إلى قدر معلوم) إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الأشهر أو مادونها أو مافوقها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والأول أولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره * الكفات من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وهو اسم مايكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الأبواب وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كأنه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها وقد استدل بعض أصحاب الشافعي رحمه الله على قطع النباش بأن الله تعالى جعل الأرض كفاتا للأموات فكان بطنها حرزالهم فالنباش سارق من الحرز (فإن قلت) لم قيل أحياء وأمواتا على التنكير وهى كفات الأحياء والأموات جميعا (قلت) هو من تنكير التفخيم كأنه قيل تكفت أحياء لايعدون وأمواتا لايحصرون على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات ويجوز أن يكون المعنى تكفتكم أحياء وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لأنه قد علم أنها كفات الإنس (فإن قلت) فالتنكير فى (رواسى شامخات) و (ماء فراتا) (قلت) يحتمل إفادة التبعيض لأن فى السماء جبالا قال الله تعالى ونزل من السماء من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات أيضا بل هى معدنه ومصبه وأن يكون للتفخيم أى يقال لهم انطلقوا إلى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثانى تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضى أخبار أبعد الأمر عن عملهم بموجبه لأنهم مضطرون اليه لايستطيعون امتناعا منه (إلى ظل) يعنى دخان جهنم كقوله وظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسراد ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش (لاظليل) تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين (ولا يغنى) فى محل الجر أى وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا (بشرر) وقرئ بشرار (كالقصر) أى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهى أعناق الإبل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير كالقصر فى جمع قصرة كحاجة وحوج (جمالات) جمع جمال أو جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه ألا تراهم يشبهون

﴿القول فى سورة المرسلات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قوله تعالى ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا (قال) وهى كفات الأحياء والأموات الخ

يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ۞ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۞ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۞ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۞

الإبل بالأفدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهى قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهى القلس وقيل (صفر) لإرادة الجنس وقيل صفر سود تضرب إلى الصفرة وفى شعر عمران بن حطان الخارجي

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم ۞ بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقال أبو العلاء

حمراء ساطعة الذوائب فى الدجى ۞ ترمى بكل شرارة كطراف

فشبهها بالطراف وهو بيت الأدم فى العظم والحمرة وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء فى صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمى جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كأنه جمالات صفر فإنه بمنزلة قوله كبيت أحمر وعلى أن فى التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول فى الهواء وفى التشبيه بالجمالات وهى القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله إغرابه فى طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه ۞ قرئ بنصب اليوم ونصبه الأعمش أى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت ولا ينطقون فى وقت ولذلك ورد الأمران فى القرآن أو جعل نطقهم كلا نطق لأنه لا ينفع ولا يسمع (فيعتذرون) عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى والمعنى ولا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الإذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة (جمعناكم والأولين) كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء والأشقياء وبين الأنبياء وأممهم فلابد من جمع الأولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم (فإن كان لكم كيد فكيدون) تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة (كلوا واشربوا) فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال أى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك و(كلوا وتمتعوا) حال من المكذبين أى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا (فإن قلت) كيف يصح أن يقال لهم ذلك فى الآخرة (قلت) يقال لهم ذلك فى الآخرة إيذانا بأنهم كانوا فى الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفى طريقته قوله

إخوتى لا تبعدوا أبدا ۞ وبلى والله قد بعدوا

يريد كنتم أحقاء فى حياتكم بأن يدعى لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ماله إلا الأكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء فى الهلاك أبدا ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين فى الدنيا (اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود وقيل نزلت فى ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نجبى فإنها مسبة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود (بعده) بعد القرآن يعنى أن القرآن

(قوله بالأفدان والمجادل) جمع فدن وجمع مجدل وكلاهما بمعنى القصر كذا فى الصحاح وفيه أيضا الجسر بالفتح العظيم من الإبل وفيه القلس حبل ضخم من قلوس السفن (قوله فقالوا لا نجبى) نجبى من التجبية وهى الانحناء اه

سورة النبأ مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد المعارج

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝

من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأى كتاب بعده (يؤمنون) وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

﴿سورة عم يتساءلون مكية وتسمى سورة النبإ وهى أربعون أو إحدى وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (عم) أصله عما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو فى قراءة عكرمة وعيسى ابن عمر قال حسان رضى الله عنه

على ماقام يشتمنى لئيم ۝ كخنزير تمرغ فى رماد

والاستعمال الكثير على الحذف والأصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أى شأن يتساءلون ونحوه مافى قولك زيد مازيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفى عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ماالغول وما العنقاء تريد أى شيء هو من الأشياء هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع فى كلام من لاتخفى عليه خافية (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا أو يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء (عن النبإ العظيم) بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو إما أن يجرى الوصل مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبإ العظيم على أن يضمر يتساءلون لأن مابعده يفسره كشيء يبهم ثم يفسر (فإن قلت) قد زعمت أن الضمير فى يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله (هم فيه مختلفون) (قلت) كان فيهم من يقطع القول بإنكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا وأما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ يتساءلون بالإدغام وستعلمون بالتاء (كلا) ردع للمتسائلين هزؤا و (سيعلمون) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أن مايتساءلون عنه ويضحكون منه حق لأنه واقع لاريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد فى ذلك ومعنى (ثم) الإشعار بأن الوعيد الثانى أبلغ من الأول وأشد (فإن قلت) كيف اتصل به قوله (ألم نجعل الأرض مهادا) (قلت) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من يضاف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه إنكار قدرته على البعث وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات أو قيل لهم ألم يفعل هذه الأفعال المتكاثرة والحكيم لايفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد إلى أنه عابث فى كل مافعل ۝ مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه أنها لهم

﴿القول فى سورة النبإ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ عم يتساءلون (قال فيه معنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قيل عن أى شيء يتساءلون ونحوه مافى قولك الخ) قال أحمد وقد أكثرت أم زرع من هذا التفخيم فى قولها وأبو زرع ماأبو زرع إلى آخر حديثها عاد كلامه (قال هذا أصله ثم جرد للدلالة على التفخيم الخ) قال أحمد لأن بعضهم يشك فى البعث وبعضهم يبت النفى ومن ثم قيل الضمير للمسلمين والكافرين فسؤال المسلمين ليزدادوا خشية وإنما سؤال الكفار لزيادة الاستهزاء والكفر (ثم قال فإن قلت كيف اتصال قوله ألم نجعل الارض مهادا بما قبله الخ) قال أحمد جوابه الأول سديد وأما الثانى فغير مستقيم فإنه مفرع على المذهب الأعوج فى وجوب مراعاة الصلاح والأصلح واعتقاد أن الجزاء واجب على الله تعالى عقلا ثوابا وعقابا بمقتضى إيجاب الحكمة وقد فرغ من إبطال هذه القاعدة

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝ إِنَّ جَهَنَّمَ

كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الأمير أو وصفت بالمصدر أو بمعنى ذات مهد أى أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد (سباتا) موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لأنه مقطوع عن الحركة والنوم أحد التوفيين وهو على بناء الأدواء ۝ ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا أى حياة فى قوله وجعلنا النهار معاشا أى وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة (لباسا) يستركم عن العيون إذا أردتم هربا من عدو أو بياتا له أو إخفاء مالا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الأمور

وكم لظلام الليل عندك من يد ۝ تخبر أن المانوية تكذب

(سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة يعنى محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الأزمان (وهاجا) متلألئا وقادا يعنى الشمس وتوهجت النار إذا تلظت فتوهجت بضوئها وحرها ۝ المعصرات السحائب إذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أجز الزرع إذا حان له أن يجز ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان أن تراد الرياح التى حان لها أن تعصر السحاب وأن تراد السحائب لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها كما تقول أعطى من يده درهما وأعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الأعاصير وعن الحسن وقتادة هى السموات وتأويله أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب فكأن السموات يعصرن أى يحملن على العصر ويمكن منه (فإن قلت) فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الأعاصير والمطر لا ينزل من الرياح (قلت) الرياح هى التى تنشئ السحاب وتدرّ أخلافه فصحّ أن تجعل مبدأ للإنزال وقد جاء أنّ الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب فإن صحّ ذلك فالإنزال منها ظاهر (فإن قلت) ذكر ابن كيسان أنه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر (قلت) وجهه أن يريد اللاتى أعصرن أى حان لها أن تعصر أى تغيث (ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث افضل الحجّ العجّ والثجّ أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا يعنى يثجّ الكلام ثجا فى خطبته وقرأ الاعرج ثجاحا ومثاجح الماء مصابه والماء ينثجج فى الوادى (حبا ونباتا) يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا أنعامكم والحبّ ذو العصف والريحان (ألفافا) ملتفة ولا واحد له كالأوزاع والأخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الإقليد أنشدنى الحسن بن على الطوسى

جنة لف وعيش مغدق ۝ وندامى كلهم بيض زهر

وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم ألفاف وما أظنه واجداً له نظيرا من نحو خضر وأخضار وحمر وأحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها (كان ميقاتا) كان فى تقدير الله وحكمه حدّا توقت به الدنيا وتنتهى عنده أو حدّ للخلائق ينتهون إليه (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (فتأتون أفواجا) من القبور إلى الموقف

(قوله وتوهجت النار إذا تلظت) فى الصحاح توهجت النار توقدت وتوهج الجوهر تلألأ فقوله فتوهجت الخ يعنى جمعت بين التلألؤ بضوئها والتوقد بحرها فتدبر (قوله وتدرّ أخلافه) وأحدها خلف وهو لذى الناقة كما يفيده الصحاح (قوله فإن قلت ذكر ابن كيسان) لعله ذكر عن ابن كيسان (قوله ومثاجج الماء) لعله ومثاج الماء بتشديد الجيم وكذا ينثجج لعله ينثج بالتشديد فليحرر (قوله كالأوزاع والأضياف) فى الصحاح أوزاع من الناس أى جماعات والأوزاع بطن من همدان وفيه الناس أضياف أى مختلفون وإخوة أضياف إذا كانت امهم واحدة والآباء شتى اه

كَانَتْ مِرْصَادًا ۞ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ۞ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۞ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۞ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۞ جَزَآءً وِفَاقًا ۞ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۞ وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۞ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۞ فَذُوقُوا

أمما كل أمة مع إمامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضى الله عنه أنه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشدّ نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمى فالذين يجورون فى الحكم وأما الصمّ البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله فى أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء وقرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرة أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست إلا أبوابا مفتحة كقوله وفجرنا الأرض عيونا كأن كلها عيون تتفجر وقيل الأبواب الطرق والمسالك أى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدّها شىء (فكانت سرابا) كقوله فكانت هباء منبثا يعنى أنها تصير شيئا كلا شىء لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها ۞ المرصاد الحد الذى يكون فيه الرصد والمعنى أن جهنم هى حدّ الطاغين الذى يرصدون فيه للعذاب وهى مآبهم أو هى مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهى مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لأهل الجنة وقرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأن جهنم كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان ذلك لإقامة الجزاء قرئ لابثين ولبثين واللبث أقوى لأن اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث إلا لمن شأنه اللبث كالذى يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه (أحقابا) حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى إلى حقيبة الراكب والحقب الذى وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابا غير ذائقين فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا إذا قل مطره وخيره وحقب فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعنى لابثين فيها حقبين جحدين وقوله (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) تفسير له والاستثناء منقطع يعنى لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وأنشد فلوشئت حرمت النساء سواكم ۞ وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

وعن بعض العرب منع البرد البرد ۞ وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق أى يسيل من صديدهم (وفاقا) وصف بالمصدر أوذا وفاق وقرأ أبو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا (كذابا) تكذيبا وفعال فى باب فعل كله فاش فى

(قوله منه أحقابا حقبا) فى الصحاح الحقب بالضم ثمانون سنة والحقبة بالكسر واحدة الحقب وهى السنون والحقب الدهر والأحقاب الدهور (قوم والحقب الذى وراء التصدير) فى الصحاح التصدير الحزام وهو فى صدر البعير والحقب عند الثيل وفيه الثيل وعاء قضيب البعير (قوله لابثين فيها حقبين) لعله حقبين من حقب بالكسر كجحدين من جحد إذا كان ضيقا قليل الخير فيهما أفاده الصحاح (قوله لم أطعم نقاخا ولا بردا) ماء عذبا يبرد الفؤاد كذا فى الصحاح (قوله منع البرد البرد) أى منع البرد النوم

فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۞ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۞ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ۞ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۞ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۞ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۞ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۞ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۞ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۞

كلام فصحاء من العرب لايقولون غيره وسمعنى بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فساراً ماسمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها و كذبتها ۞ والمرء ينفعه كذابه
وهو مثل قوله أنبتكم من الأرض نباتا يعنى وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذاباً أوتنصبه بكذبوا لأنه يتضمن معنى كذبوا لأن كل مكذب بالحق كاذب وإن جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أوكذبوابها مكاذبين لأنهم إذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة أولأنهم يتكلمون بما هو إفراط فى الكذب فعل من يغالب فى أمر فيبلغ فيه أقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب أى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ فى الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا أى تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ أبو السمال وكل شىء أحصيناه بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر فى موضع أحصاء وأحصينا فى معنى كتبنا لالتقاء الإحصاء والكتبة فى معنى الضبط والتحصيل أويكون حالا فى معنى مكتوبا فى اللوح وفى صحف الحفظة والمعنى إحصاء معاصيهم كقوله أحصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهى آية فى غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذى لايدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على أن الغضب قدتبالغ وعن النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية أشدما فى القرآن على أهل النار (مفازا) فوزا وظفرا بالبغية أوموضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أوموضع نجاة وفسر المفاز بما بعده ۞ والحدائق البساتين فيها أنواع الشجر المثمر ۞ والأعناب الكروم ۞ والكواعب اللاتى فلكت ثديهن وهن النواهد ۞ والأتراب اللذات ۞ والدهاق المترعة وأدهق الحوض ملأه حتى قال قطنى ۞ وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف أى لايكذب بعضهم بعضا ولايكذبه أولايكاذبه وعن على رضى الله عنه أنه قرأ بتخفيف الاثنين (جزاء) مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله إن للمتقين مفازا كأنه قال جازى المتقين بمفاز و(عطاء) نصب بجزاء نصب المفعول به أى جزاهم عطاء و (حسابا) صفة بمعنى كافيا من أحسبه الشىء إذا كفاه حتى قال حسبى وقيل على حسب أعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على أن الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك ۞ قرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن أورب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولايملكون خبر أوهما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الأول ورفع الثانى على أنه مبتدأ خبره لايملكون ۞ أوهو الرحمن لايملكون ۞ والضمير فى (لايملكون) لأهل السموات والأرض أى ليس فى أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به فى أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه أو لا يملكون أن يخاطبوه بشىء من نقص العذاب أو زيادة فى الثواب إلا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه و (يوم يقوم) متعلق بلا يملكون أو بلا يتكلمون والمعنى إن الذين هم أفضل الخلائق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه وهم الروح والملائكة لايملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات والأرض ۞ والروح أعظم خلقاً من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ماخلق الله بعد العرش خلقاً أعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل ۞ هما شريطتان

(قوله فلكت ثديهن وهن النواهد) فى الصحاح فلك ثدى الجارية تفليكا وتفلك استدار (قوله إن الذين هم أفضل الخلائق) تفضيلهم على البشر مذهب المعتزلة ومذهب أهل السنة تفضيل البشر عليهم والظاهر أن الروح كالملك فى هذا الخلاف فتدبر

ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۞ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ۞

سورة النازعات مكية وآياتها ٤٦ نزلت بعد النبإ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ۞ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ۞ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا ۞ فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا ۞

أن يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى (المرء) هو الكافر لقوله تعالى إنا أنذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ويعنى (ماقدمت يداه) من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ومايجوز أن تكون استفهامية منصوبة بقدمت أى ينظر أى شيء قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت إليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن (ياليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر إبليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

﴿سورة والنازعات مكية وهى خمس أو ست وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الأرواح من الأجساد وبالطوائف التى تنشطها أى تخرجها من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها وبالطوائف التى تسبح فى مضيها أى تسرع فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر أمراً من أمور العباد مما يصلحهم فى دينهم أو دنياهم كما رسم لهم (غرقا) إغراقا فى النزع أى تنزعها من أقاصى الأجساد من أناملها وأظفارها أو أقسم بخيل الغزاة التى تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب والتى تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب من قولك ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد والتى تسبح فى جريها فتسبق الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه أو أقسم بالنجوم التى تنزع من المشرق إلى المغرب وإغراقها فى النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط فى أقصى الغرب والتى تخرج من برج إلى برج والتى تسبح فى الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمراً من علم الحساب وقيل النازعات أيدى الغزاة أو أنفسهم تنزع القسى بإغراق السهام والتى تنشط الأوهاق والمقسم عليه

قوله تعالى «إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا» (قال فيه وقف الشفاعة على شرطين الخ) قال أحمد يعرض بأن الشفاعة لا تحل على مرتكبي الكبائر من الموحدين وقد صرح بذلك فى مواضع تقدمت له ويتأتى ذلك من أنها مخصوصة بالمرتضين وذوو الكبائر ليسوا مرتضين ومن ثم أخطأ فإن الله عز وجل ماخصهم بالإيمان والتوحيد وتوفاهم عليه إلا وقدار تضاهم لذلك بدليل قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم فجعل الشكر بمعنى الإيمان المقابل للكفر مرضياً لله تعالى وصاحبه مرتضى

﴿القول فى سورة والنازعات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى والنازعات غرقا الآيات (قال فيه) إما أن يكون المراد الملائكة فالنازعات يعنى للأرواح

(قوله تنشط الأوهاق) حبال المواشى أفاده الصحاح

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۞ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۞ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۞ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۞ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۞ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۞ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۞ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۞ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۞ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ

محذوف وهولتبعثن لدلالة مابعده عليه من ذكر القيامة و (يوم ترجف) منصوب بهذا المضمر و (الراجفة) الواقعة التى ترجف عندها الأرض والجبال وهى النفخة الأولى وصفت بما يحدث بحدوثها (تتبعها الرادفة) أى الواقعة التى تردف الأولى وهى النفخة الثانية ويجوز أن تكون الرادفة من قوله تعالى قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون أى القيامة التى يستعجلها الكفرة استبعاداً لها وهى رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الأرض والجبال من قوله يوم ترجف الأرض والجبال والرادفة السماء والكواكب لأنها تنشق وتنتثر كواكبها على أثر ذلك (فإن قلت) ما محل تتبعها (قلت) الحال أى ترجف تابعتها الرادفة (فإن قلت) كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذى هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الأولى (قلت) المعنى لتبعثنّ فى الوقت الواسع الذى يقع فيه النفختان وهم يبعثون فى بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الأخرى ودلّ على ذلك أن قوله تتبعها الرادفة جعل حالا على الراجفة ويجوز أن ينتصب يوم ترجف بما دلّ عليه (قلوب يومئذ واجفة) أى يوم ترجف وجفت القلوب (واجفة) شديدة الاضطراب، والوجيب والوجيف أخوان (خاشعة) ذليلة (فإن قلت) كيف جاز الابتداء بالنكرة (قلت) قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وأبصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك (فإن قلت) كيف صح إضافة الأبصار إلى القلوب (قلت) معناه أبصار أصحابها بدليل قوله يقولون (فى الحافرة) فى الحالة الأولى يعنون الحياة بعد الموت (فإن قلت) ما حقيقة هذه الكلمة (قلت) يقال رجع فلان فى حافرته أى فى طريقه التى جاء فيها فحفرها أى أثرفيها بمشيه فيها جعل أثر قدميه حفراً كما قيل حفرت أسنانه حفراً إذا أثر الآكال فى أسناخها والخط المحفور فى الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية أى منسوبة إلى الحفر والرضا أو كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان فى أمر فخرج منه ثم عاد إليه رجع إلى حافرته أى إلى طريقته وحالته الأولى قال :

أحافرة على صلع وشيب ۞ معاذ الله من سفه وعار

يريد أرجوعا إلى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الأولى وهى الصفقة وقرأ أبو حيوة فى الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه فحفرت حفراً وهى حفرة وهذه القراءة دليل على أن الحافرة فى أصل الكلمة بمعنى المحفورة ۞ يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل أبلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالى الأجوف الذى تمر فيه الريح فيسمع له نخير و (إذا) منصوب بمحذوف تقديره أئذا كنا عظاما نرد ونبعث (كرة خاسرة) منسوبة إلى الخسران أو خاسر أصحابها والمعنى أنها إن صحت فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فإن قلت) بم تعلق قوله (فإنما هى زجرة واحدة) (قلت) بمحذوف معناه لا تستصعبوها فإنما هى زجرة واحدة يعنى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فإنها سهلة هينة فى قدرته ماهى إلا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية (فإذاهم) أحياء على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتا فى جوفها من قولهم زجر البعير إذا صاح عليه والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة قال الأشعث بن قيس : وساهرة يضحى السراب مجللا ۞ لأقطارها قد جبتها متلثما

ومعنى غرقا إغراقا فى النزع الخ ۞ قوله تعالى فإنما هى زجرة واحدة فإذاهم بالساهرة (قال فيه إن قلت كيف اتصل بما قبله وأجاب أنهم أنكروا الإعادة الخ) قال أحمد وما أحسن تسهيل أمر الإعادة بقوله زجرة عوضا من صيحة لأن الزجرة أخف من الصيحة وبقوله واحدة أى غير محتاجة إلى مثنوية وهو يحقق لك ما أجبت به من السؤال الوارد عند قوله تعالى فإذا نفخ فى الصور نفخة

(قوله أثر الآكال فى أسناخها) فى الصحاح أسناخ الأسنان أصولها

طَغَىٰ * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ * فَأَرَىٰهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ * فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ *
ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ * فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰٓ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ * ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا *
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا * مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ *

أو لأنّ سالكها لاينام خوف الهلكة وعن قتادة فإذا هم فى جهنم (اذهب) على إرادة القول وفى قراءة عبدالله أن اذهب لأنّ فى النداء معنى القول هل لك فى كذا وهل لك إلى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب إليه (إلى أن تزكى) إلى أن تتطهر من الشرك وقرأ أهل المدينة تزكى بالإدغام (وأهديك إلى ربك) وأرشدك إلى معرفة الله أنبهك عليه فتعرفه (فتخشى) لأن الخشية لاتكون إلا بالمعرفة قال الله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أى العلماء به وذكر الخشية لأنها ملاك الأمر من خشى الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شرّ ومنه قوله عليه السلام من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما أمر بذلك فى قوله فقولا له قولا لينا (الآية الكبرى) قلب العصا حية لأنها كانت المقدمة والأصل والأخرى كالتبع لها لأنه كان يتقيها بيده فقيل له أدخل يدك فى جيبك أو أرادهما جميعا إلا أنه جعلهما واحدة لأن الثانية كأنها من جملة الأولى لكونها تابعة لها (فكذب) بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحراً وسحراً (وعصى) الله تعالى بعد ما علم صحة الأمر وأنّ الطاعة قد وجبت عليه (ثم أدبر يسعى) أى لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسعى يسرع فى مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا أو تولى عن موسى يسعى ويجتهد فى مكايدته وأريد ثم أقبل يسعى كما تقول أقبل فلان يفعل كذا بمعنى أنشأ يفعل فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالإقبال (فحشر) فجمع السحرة كقوله فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين (فنادى) فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه أو أمر مناديا فنادى فى الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس كلمته الأولى ما علمت لكم من إله غيرى والآخرة أنا ربكم الأعلى (نكال) هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعنى الإغراق فى الدنيا والإحراق فى الآخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الآخرة وهى قوله أنا ربكم الأعلى والأولى وهى قوله ما علمت لكم من إله غيرى وقيل كان بين الكلمتين أربعون سنة وقيل عشرون * الخطاب لمنكرى البعث يعنى (أأنتم) أصعب (خلقا) وإنشاء (أم السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أى جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به وأصلحها من قولك سوى فلان أمر فلان * غطش الليل وأغطشه الله كقولك ظلم وأظلمه ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم (وأخرج ضحاها) وأبرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوئها وقولهم وقت الضحى للوقت الذى تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها وأضيف الليل والشمس إلى السماء لأن الليل ظلها والشمس هى السراج المثقب فى جوها (ماءها) عيونها المتفجرة بالماء (ومرعاها) ورعيها وهو فى الأصل موضع

واحدة حيث قيل كيف وحدها وهما نفختان لجدد به عهداً . قوله تعالى ثم أدبر يسعى (قال فيه أى لما رأى الثعبان ولى هاربا مذعوراً الخ) قال أحمد وهذا الوجه الأخير حسن لطيف جدا وهو على هذا من أفعال المقاربة (قال وقوله نكال الآخرة والأولى يعنى الإغراق فى الدنيا والإحراق فى الآخرة الخ) قال أحمد فعلى الأول يكون قريبا من إضافة الموصوف إلى الصفة لأنّ الآخرة

(قوله هى السراج المثقب فى جوها) فى الصحاح ثقبت النار إذا اتقدت وأثقبتها أنا

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ۞ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ۞ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ۞ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۞ وَآثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۞ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ۞ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ۞ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ

الرعى ونصب الأرض والجبال بإضمار دحا وارسى وهو الإضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء (فإن قلت) هلا أدخل حرف العطف على أخرج (قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون معنى دحاها بسطها ومدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لابد منه فى تأتى سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وإمكان القرار عليها والسكون بإخراج الماء والمرعى وإرساء الجبال وإثباتها أوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثانى أن يكون أخرج حالا بإضمار قد كقوله أو جاؤكم حصرت صدورهم وأراد بمرعاها ما يأكل الناس والأنعام واستعير الرعى للإنسان كما استعير الرتع فى قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعى ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الأرض حتى الملح لأنه من الماء (متاعا لكم) فعل ذلك تمتيعا لكم (ولأنعامكم) لأن منفعة ذلك التمهيد واصلة إليهم وإلى أنعامهم (الطامة) الداهية التى تطم على الدواهى أى تعلو وتغلب وفى أمثالهم جرى الوادى فطم على القرى وهى القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هى النفخة الثانية وقيل الساعة التى تساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار (يوم يتذكر) بدل من إذا جاءت يعنى إذا رأى أعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله أحصاه الله ونسوه ۞ وما فى (ماسعى) موصولة أو مصدرية (وبرزت) أظهرت وقرأ أبو نهيك وبرزت (لمن يرى) للرائين جميعا أى لكل أحد يعنى أنها تظهر إظهارا بينا مكشوفا يراها أهل الساهرة كلهم كقوله قد بين الصبح لذى عينين يريد لكل من له بصر وهو مثل فى الأمر المنكشف الذى لا يخفى على أحد وقرأ ابن مسعود لمن رأى وقرأ عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله إذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد (فأما) جواب فإذا أى فإذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك والمعنى فإن الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الألف واللام بدلا من الإضافة ولكن لما علم أن الطاغى هو صاحب المأوى وأنه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الإضافة ودخول حرف التعريف فى المأوى والطرف للتعريف لأنهما معروفان و (هى) فصل أو مبتدأ (ونهى النفس) الأمارة بالسوء (عن الهوى) المردى وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخير وقيل الآيتان نزلتا فى أبى عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص فى جوفه (أيان مرساها) متى إرساؤها أى إقامتها أرادوا متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة مستقرها

والأولى صفتان للكلمتين وعلى الثانى لا يكون كذلك ۞ قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها أخرج (قال فإن قلت هلا أدخل العاطف على أخرج الخ) قال أحمد والأول أحسن وهو مناسب لقوله السماء بناها لأنه لما قال أأنتم أشد خلقا أم السماء تم الكلام لكن مجملا ثم بين التفاوت ففسر كيف خلقها فقال بناها بغير عاطف ثم فسر البناء فقال رفع سمكها بغير عاطف أيضا ۞ قوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى (قال فيه يعنى أظهرت إظهارا بينا مكشوفا الخ) قال أحمد وفائدة هذا النظم الإشعار بأنه أمر ظاهر لا يتوقف إدراكه إلا على البصر خاصة أى لا شىء يحجبه ولا بعد يمنع رؤيته ولا قرب مفرط إلى غير ذلك من موانع الرؤية ۞ قوله تعالى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها (قال فيه مرساها أى مستقرها الخ) قال أحمد وفيه إشعار بثقل اليوم كقوله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ألا تراهم لا يستعملون الإرساء إلا فيما له ثقل كرسى

(قوله بسطها ومدها) لعله ومهدها (قوله حتى نفذت المشاقص) جمع مشقص وهو السهم الطويل العريض أفاده الصحاح

مَن يَخْشَاهَا ۞ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۞

سورة عبس مكية وآياتها ٤٢ نزلت بعد النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۞ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ

حيث تنتهى إليه (فيم أنت) فى أى شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به بعنى ماأنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شيء وعن عائشة رضى الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل فى أى شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لاتزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال (إلى ربك منتهاها) أى منتهى علمها لم يؤت علمها أحدا من خلقه وقيل فيم إنكار لسؤالهم أى فيم هذا السؤال ثم قيل أنت من ذكراها أى إرسالك وأنت خاتم الأنبياء وآخر الرسل المبعوث فى نسم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها (إنما أنت منذر من يخشاها) أى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذى لافائدة لهم فى علمه وإنما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون من إنذارك لطفاله فى الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الأصل والإضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فإذا أريد الماضى فليس إلا الإضافة كقولك هو منذر زيد أمس أى كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا وقيل فى القبور (إلا عشية أو ضحاها) (فإن قلت) كيف صحت إضافة الضحى إلى العشية (قلت) لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما فى نهار واحد (فإن قلت) فهلا قيل إلا عشية أو ضحى وما فائدة الإضافة (قلت) الدلالة على أن مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه فلما ترك اليوم أضافه إلى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا إلا ساعة من نهار. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

﴿سورة عبس مكية وهى إحدى وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه واسمه عبدالله ابن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم

السفينة وإرساء الجبال ۞ عاد كلامه (قال ومعنى فيم أنت أى فى أى شيء أنت من أن تذكر وقتها الخ) قال أحمد وفى هذا الوجه نظر فإن الآية الأخرى ترده وهى قوله يسئلونك كأنك حفى عنها أى أنك لاتحتفى بالسؤال عنها ولا تهتم بذلك وهم يسئلونك كما يسئل الحفى عن الشيء أى الكثير السؤال عنه فالوجه الأول أصوب عاد كلامه (قال وقيل فيم إنكار لسؤالهم أى فيم هذا السؤال الخ) قال أحمد فعلى هذا ينبغى أن يوقف على قوله فيم ليفصل بين الكلامين

﴿القول فى سورة عبس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الأعمى إلى قوله فأنت له تصدى ذكر سبب الآية وهو أن ابن أم مكتوم الأعمى الخ) قال أحمد وإنما أخذ الاختصاص من تصدير الجملة بضمير المخاطب وجعله مبتدأ مخبرا عنه وهو كثيرا مايتأتى الاختصاص من ذلك ولقد غلط فى تفسير الآية وما كان له أن يبلغ ذلك عاد كلامه (قال)

(قوله فهو على هذا تعجب) لعله تعجيب (قوله فى نسم الساعة) فى الصحاح نسم الريح أولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد ومن الحديث بعثت فى نسم الساعة أى حين ابتدأت وأقبلت أوائلها

الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى *
فأنت عنه تلهى * كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * فى صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدى سفرة *
كرام بررة * قتل الإنسان ما أكفره * من أى شىء خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره *

فقال يارسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول إذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح فى كلح (أن جاءه) منصوب بتولى أو بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لأن جاءه الأعمى أو أعرض لذلك وقرئ آن جاءه بهمزتين وبألف بينهما ووقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى لأن جاءه الأعمى فعل ذلك إنكارا عليه وروى أنه ماعبس بعدها فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وفى الإخبار عما فرط منه ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار كمن يشكو إلى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجانى إذا حمى فى الشكاية مواجها له بالتوبيخ وإلزام الحجة وفى ذكر الأعمى نحو من ذلك كأنه يقول قد استحق عنده العبوس والإعراض لأنه أعمى وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بأدب الله فى هذا تأدبا حسنا فقد روى عن سفيان الثورى رحمه الله أن الفقراء كانوا فى مجلسه أمراء (وما يدريك) وأى شىء يجعلك داريا بحال هذا الأعمى (لعله يزكى) أى يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوضار الإثم (أو يذكر) أو يتعظ (فتنفعه) ذكراك أى موعظتك وتكون له لطفا فى بعض الطاعات والمعنى أنك لا تدرى ما هو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير فى لعله للكافر يعنى أنك طمعت فى أن يتزكى بالإسلام أو يتذكر فتقربه الذكرى إلى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع إلى إله موسى (تصدى) تتعرض بالإقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصدى بالتشديد بإدغام التاء فى الصاد وقرأ أبو جعفر تصدى بضم التاء أى تعرض ومعناه يدعوك داع إلى التصدى له من الحرص والتهالك على إسلامه وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالإسلام إن عليك إلا البلاغ (يسعى) يسرع فى طلب الخير (وهو يخشى) الله أو يخشى الكفار وأذاهم فى إتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة (تلهى) تتشاغل من لهى عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ أبو جعفر تلهى أى يلهيك شأن الصناديد (فإن قلت) قوله فأنت له تصدى فأنت عنه تلهى كأن فيه اختصاصا (قلت) نعم ومعناه إنكار التصدى والتلهى عليه أى مثلك خصوصا لا ينبغى له أن يتصدى للغنى ويتلهى عن الفقير (كلا) ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله (إنها تذكرة) أى موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) أى كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لأن التذكرة فى معنى الذكر والوعظ (فى صحف) صفة لتذكرة يعنى أنها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح (مكرمة) عند الله (مرفوعة) فى السماء أو مرفوعة المقدار (مطهرة) منزهة عن أيدى الشياطين لا يمسها إلا أيدى ملائكة مطهرين (سفرة) كتبة ينتسخون الكتب من اللوح (بررة) أتقياء وقيل هى صحف الأنبياء كقوله إن هذا لفى الصحف الأولى وقيل السفرة القراء وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قتل الإنسان) دعاء عليه وهى من أشنع دعواتهم لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها و(ما أكفره) تعجب من إفراطه

وفى قوله يسعى وهو يخشى تنبيه على وجوب حق ابن ام مكتوم الخ قوله تعالى قتل الإنسان ما أكفره إلى قوله ثم شققنا الأرض شقا (دعاء عليه وهو من أشنع دعائهم الخ) قال أحمد ما رأيت كاليوم قط عبدا ينازع ربه الله تعالى يقول ثم

(قوله مطهرين سفرة كتبة) فى الصحاح واحدهم سافر ككافر وكفرة (قوله تعجب من إفراطه) لعله تعجيب

ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۞ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۞ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۞ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۞

فى كفران نعمة الله ولاترى أسلوبا أغلظ منه ولا خشن مسا ولاأدل على سخط ولا ابعد شرطا فى المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للأئمة على قصر متنه ۞ ثم أخذ فى وصف حاله من ابتداء حدوثه إلا أن انتهى وماهو مغمور فيه من أصول النعم وفروعها وماهو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات إلى مايتقلب فيه وإلى مايجب عليه من القيام بالشكر (من أى شىء خلقه) من أى شىء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشىء بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شىء فقدره تقديرا ۞ نصب السبيل بإضمار يسر وفسر بيسر والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أوالسبيل الذى يختار سلوكه من طريق الخير والشر بإقداره وتمكينه كقوله إنا هديناه السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين له سبيل الخير والشر (فأقبره) فجعله ذاقبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الأرض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت إذا دفنه وأقبره الميت إذا أمره أن يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج أقبرنا صالحا (أنشره) أنشأه النشأة الأخرى وقرئ نشره (كلا) ردع للإنسان عما هو عليه (لما يقض) لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم إلى هذه الغاية (ماأمره) الله حتى يخرج عن جميع أوامره يعنى أن إنسانا لم يخل من تقصير قط ۞ ولما عدد النعم فى نفسه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال فلينظر الإنسان إلى طعامه) إلى مطعمه الذى يعيش به كيف دبرنا أمره (إناصببنا الماء) يعنى الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن على رضى الله عنهما أنى صبينا بالإمالة على معنى فلينظر الإنسان كيف صبينا الماء ۞ وشققنا من شق الأرض بالنبات ويجوز أن يكون من شقها بالكراب على البقر وأسند الشك إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب ۞ والحب كل ماحصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقضاب أرضه سمى بمصدر قضبه إذا قطعه لأنه يقضب مرة بعد مرة (وحدائق غلبا) يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وأن يجعل شجرها غلبا أى عظاما غلاظا والأصل فى الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معد يكرب

يمشى بهاغلب الرقاب كأنهم ۞ بزل كسين من الكحيل جلالا

۞ والأب المرعى لأنه يؤب أى يؤم وينتجع والأب والأم أخوان قال

جذمنا قيس ونجد دارنا ۞ ولنا الأب به والمكرع

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب الله مالا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال

شققنا فيضيف فعله إلى ذاته حقيقة كما اضاف بقية أفعاله من عند قوله من نطفه خلقه وهلم جرا والزمخشرى يجعل الإضافة مجازية من باب إسناد الفعل إلى سببه فيجعل إضافة الفعل إلى الله تعالى من باب إضافة الشق إلى الحراث لأنه السبب قتل القدرى ماأكفره على قول وماأضله على آخر وإذا جعل شق الأرض مضافا إلى الحراث حقيقة وإلى الله مجازا فما يمنعه أن يجعل الحراث هو الذى صبب الماء وأنبت الحب والعنب والقضب حقيقة وهل هما إلا واحد

(قوله من الكفران والغمط) بطر النعمة وتحقيرها أفاده الصحاح (قوله من أى شىء خلقه من أى شىء حقير) لعله أى من شىء الخ (قوله من شقها بالكراب) فى الصحاح كربت الأرض إذا قلبتها للحرث (قوله والقضب الرطبة) فى الصحاح القضبة والقضب الرطبة وفيه أيضا الرطبة بالفتح القضب اه وفيه دور وقال بعض الفضلاء القضب هو المسمى فى مصر بالبرسيم الحجازى (قوله من الكحيل جلالا) فى الصحاح الكحيل مبنى على التصغير الذى تطلى به الإبل للجرب وهو النفط (قوله قال جذ مناقيس) فى الصحاح الجذم بالكسر أصل الشىء وقد يفتح

وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝

سورة التكوير مكية وآياتها ٢٩ نزلت بعد المسد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا

هذا لعمر الله التكلف وماعليك ياابن أم عمر أن لاتدرى ماالأب ثم قال اتبعوا ماتبين لكم من هذا الكتاب ومالا فدعوه (فإن قلت) فهذا يشبه النهى عن تتبع معانى القرآن والبحث عن مشكلاته (قلت) لم يذهب إلى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشىء من العلم لايعمل به تكلفاً عندهم فأراد أنّ الآية مسوقة فى الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أنّ الأب بعض ماأنبته الله للإنسان متاعا له أو لأنعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله على ماتبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولاتتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذى هو اسم له واكتف بالمعرفة الجلية إلى أن يتبين لك فى غير هذا الوقت ثم وصى الناس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن ۝ يقال صخّ لحديثه مثل أصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازاً لأنّ الناس يصخون لها (يفر) منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئاً وبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب كأنه قال يفرّ من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذراً من مطالبتهم بالتبعات يقول الأخ لم تواسنى بمالك والأبوان قصرت فى برنا والصاحبة أطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل أوّل من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه إبراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح (يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه أى يهمه (مسفرة) مضيئة متهللة من أسفر الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قيام الليل لما روى فى الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول مااغبرت فى سبيل الله (غبرة) غبار يعلوها (قترة) سواد كالدخان ولاترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما ترى من وجوه الزنوج إذا اغبرت وكأن الله عز وجل يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور إلى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

﴿سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فى التكوير وجهان أن يكون من كوّرت العمامة إذا لففتها أى يلف ضوءها لفاً فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها لأنها مادامت باقية كان ضياؤها منبسطاً غير ملفوف أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لأنّ الثوب إذا أريد رفعه لف وطوى ونحوه قوله يوم نطوى السماء وأن يكون من طعنه فجوره وكوّره إذا ألقاه أى تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار (فإن قلت) ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية (قلت) بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كوّرت لأنّ إذا يطلب الفعل لما فيه من

۝ عادكلامه فى قوله « يوم يفرّ المرء من أخيه الآية » (نقل) فى التفسير أنّ أوّل من يفرّ من أخيه هابيل وأوّل من يفرّ من أبويه إبراهيم وأوّل من يفرّ من صاحبته نوح ولوط وأوّل من يفرّ من ابنه نوح

وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا

معنى الشرط (انكدرت) انقضت قال أبصر خربان فضاء فانكدر ويروى فى الشمس والنجوم أنهما تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم (سيرت) أى على وجه الأرض وأبعدت أوسيرت فى الجو تسيير السحاب كقوله وهى تمر مر السحاب ۝ والعشار فى جمع عشراء كالنفاس فى جمع نفساء وهى التى أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهى أنفس ماتكون عند أهلها وأعزها عليهم (عطلت) تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف (حشرت) جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل إذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا مافيه سرور لبنى آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها يقال إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد (سجرت) قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور إذا ملأه بالحطب أى ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحراً واحداً وقيل ملئت نيراناً تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا تبقى فيها قطرة (زوجت) قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الأرواح بالأجساد وقيل بكتبها وأعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين ۝ وإذ يئد مقلوب من آد يؤد إذا أثقل قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما لأنه إثقال بالتراب كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم فى البادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئراً فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالأرض وقيل كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتاً رمت بها فى الحفرة وإن ولدت ابنا حبسته (فإن قلت) ماحملهم على وأد البنات (قلت) الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الإملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن وصعصعة ابن ناجية ممن منع الوأد فبه افتخر الفرزدق فى قوله :

ومنا الذى منع الوائدات ۝ فأحيا الوئيد فلم توأد

(فإن قلت) فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذى قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها (قلت) سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت فى قوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس إلى قوله سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق وقرئ سألت أى خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها وإنما قيل قتلت بناء على أن الكلام إخبار عنها ولو حكى ماخوطبت به حين سئلت فقيل قتلت أو كلامها حين سئلت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على أن الأطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب وإذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب فما أقبح به وهو الذى لا يظلم مثقال ذرة أن يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد السرمد وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية (نشرت) قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل مايملى فى صحيفته وعن عمر رضى الله عنه أنه كان إذا قرأها قال إليك يساق الأمر يا ابن آدم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وماشغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أى فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم

(قوله قال أبصر خربان فضاء) فى الصحاح الخرب ذكر الحبارى والجمع الخربان

ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۞ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۞ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۞

أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الأعمال (كشطت) كشفت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشىء وقرأ ابن مسعود كشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور (سعرت) أوقدت إيقاداً شديداً وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله تعالى وخطايا بنى آدم (أزلفت) أدنيت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا وست فى الآخرة وعلمت هو عامل النصب فى إذا الشمس كورت وفيما عطف عليه (فإن قلت) كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله (علمت نفس) (قلت) هو من عكس كلامهم الذى يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل ۞ قد أترك القرن مصفرا أنامله ۞ وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندى أو لا تعدم عندى فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادى فى تكثير فرسانه ولكنه أراد إظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال وانقطاع ظهرياه (الخنس) الرواجع بينا ترى النجم فى آخر البرج إذا كر راجعا إلى أوله و(الجوارى) السيارة و(الكنس) الغيب من كنس الوحشى إذا دخل كناسه قيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها عسعس الليل وسعسع إذا أدبر قال العجاج حتى إذا الصبح لها تنفسا ۞ وانجاب عنها ليلها وعسعسا

﴿القول فى سورة التكوير﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ قوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس (لم يتعرض فى تفسيره للعامل الخ) قال أحمد هذا الجواب لا يستمر لأجل ظهور الفعل والثانى فى قوله فلا أقسم بالخنس ولما أعضل الجواب عن هذا السؤال فى سورة التكوير التزم الشيخ أبو عمرو بن الحاجب إجازة العطف على عاملين واتخذ هذه الآية وزره ومعضده فى مخالفة سيبويه ورد على الزمخشرى جوابه فى سورة الشمس وضحاها لأنه لم يطرد له ههنا وكان على رده يستحسن تيقظ فطنته فى استنباطه ونحن والله الموفق نلتزم مذهب سيبويه فى امتناع العطف على عاملين فى جعل الواو الثانية عاطفة ويجرى جواب الزمخشرى ههنا وينفصل عن هذه الآية فنقول قوله والليل إذا عسعس هذه الواو الأولى ابتداء قسم والواو فى قوله والصبح إذا تنفس عاطفة فيطرد ما قال الزمخشرى ۞ فإن قيل فقد خالفتم سيبويه فإنه لا يرى الواو المتعقبة للقسم ابتداء قسم بل عاطفة وقد جعلتم الواو الأولى وهى متعقبة للقسم ابتداء قسم قلنا إنما تكلم سيبويه فى الواو وأما الآية فالقسم الأول فيها بالباء والفعل فجعلنا الواو بعد ذلك قسما وتبعا وهو أبلغ كأنه أقسم قسمين بشيئين مختلفين فإن قيل أجل إنما تكلم سيبويه على الواو المتعقبة للقسم بالواو فالفرق بين المتعقبة للقسم بالواو والمتعقبة للقسم بالباء وما هما إلا سواء فإن كل واحد منهما آلة له والواو نائبة عن الباء فحكمهما واحد قلنا ليستا سواء فإن القسم متى صدر بالواو ولم يله واو أخرى فجعلها قسما آخر فيه تكرار مستكره إذ الآلة واحدة ولا كذلك إذا اختلفت الآلة فإن عاملة التكرار مأمونة إذ ألا ترى أنه لو صدر القسم بالواو ثم تلاه قسم بالباء لتحتم جعلهما قسمين مستقلين فكذلك لو خولف هذا الترتيب وأيضا فإنه إن كان المانع لسيبويه من جعل الواو الثانية قسما مستقلا مجىء الجواب واحدا واحتياج الواو الأولى إلى محذوف فالعطف يغنى عن تقدير

(قوله وعنده المقانب) فى الصحاح المقنب ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل (قوله الدرارى الخمسة بهرام) بهرام ليس بعربى والمراد به المريخ اه

وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۞ وَمَا صَاحِبُكُمْ

وقيل عسعس إذا أقبل ظلامه (فإن قلت) مامعنى تنفس الصبح (قلت) إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح (إنه) الضمير للقرآن (لقول رسول كريم) هو جبريل صلوات الله عليه (ذى قوة) كقوله تعالى شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال (عند ذى العرش) ليدل على عظم منزلته ومكانته (ثم) إشارة إلى الظرف المذكور أعنى عند ذى العرش على أنه عند الله مطاع فى ملائكته

محذوف فيتعين فلا يلزم اطراد الباء لأنها أصل القسم لاسيما مع التصريح بفعل القسم ثم تأكيده بزيادة لا فإن فى مجموع ذلك ما يغنى عن إفراده بجواب مذكور ولا كذلك الواو فإنها ضعيفة المكنة فى باب القسم بالنسبة إلى الباء فلا يلزم من حذف جواب تمكنت الدلالة عليه حذف جواب دونه فى الوضوح وأختم الكلام على هذا السؤال بنكتة بديعة فأقول إنما خصصت إيراد السؤال بالواو الثانية فى قوله والليل إذا عسعس دون الثالثة لأنه غير متوجه عليها ألا تراك لو جعلتها عاطفة لم يلزمك العطف على عاملين لأنك تجعلها نائبة عن الباء وتجعل إذا فيها منصوبة بالفعل مباشرة إذ لم يتقدم فى جملة الفعل ظرف تعطف عليه إذا فتصير بمثابة قولك مررت بزيد وعمرو واليوم فاليوم منصوب بالفعل مباشرة وفهم من المثال أن مرورك بزيد مطلق غير مقيد بظرف وإنما المقيد باليوم مرورك بعمرو خاصة لكن يطابق الآية (فإن الظرف فيها وإن عمل فيه الفعل مباشرة فهو مقيد للقسم بالليل لا للقسم بالخنس ۞ قوله تعالى إنه لقول رسول كريم الآية (قال فيه المراد بالرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله عند ذى العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته وثم إشارة إلى الظرف المذكور يعنى عند ذى العرش الخ) قال أحمد ما كان جبريل صلوات الله عليه يرضى منه هذا التفسير المنطوى على التقصير فى حق البشير النذير عليه أفضل الصلاة والسلام ولقد اتبع الزمخشرى هواه فى تمهيد أصول مذهبه الفاسد فأخطأ على الأصل والفرع جميعا ونحن نبين ذلك بحول الله وقوته فنقول أولا اختلف أهل التفسير فذهب منهم الجم الغفير إلى أن المراد بالرسول الكريم ههنا إلى آخر النعوت محمد صلى الله عليه وسلم فإن يكن كذلك والله أعلم فذلك فضل الله المعتاد على نبيه وإن كان المراد جبريل عليه السلام فقد اختلف الناس فى المفاضلة بين الملائكة والرسل والمشهور عن أبى الحسن تفضيل الرسل ومذهب المعتزلة تفضيل الملائكة إلا أن المختلفين أجمعوا على أنه لا يسوغ تفضيل أحد القبيلين الجليلين بما يتضمن تنقيص معين من الملائكة ومعين من الرسل لأن التفضيل وإن كان ثابتا إلا أن فى التعيين إيذاء للمفضول وعليه حمل الحذاق قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى أى لا تعينوا مفضولا على التخصيص لأن التفضيل على التعميم ثابت بإجماع المسلمين أى تفضيل النبى صلى الله عليه وسلم على النبيين أجمعين وكان جدى رحمه الله يوضح ذلك بمثال فيقول لو قلت بحضرة جماعة من الفقهاء فلان أفضل أهل عصره لكان فى الجماعة احتمال لهذا التفضيل وإن لزم اندراجهم فى المفضولين ولو عينت واحداً منهم وقلت فلان أفضل منك وأتقى لله لأسرع به الأذى إلى بغضك وإذا تقرر لك أنه لا يلزم من اعتقاد التفضيل على التعميم جواز إطلاق التفضيل على التخصيص علمت أن الزمخشرى أخطأ على أصله لأنه بتقدير أن تكون الملائكة أفضل كما يعتقد لا يجوز أن يقال عن أحد من الملائكة على التخصيص أنه أفضل من أحد الأنبياء على التخصيص لاسيما فى سيد ولد آدم عليه أفضل الصلاة والسلام ثم يعود الكلام على الآية بعد تسليم أن المراد جبريل وبعد أن نكله فى تعيينه النبى صلى الله عليه وسلم وعده مفضولا إلى الله فنقول لم يذكر فيها نعت إلا وللنبى صلى الله عليه وسلم مثله أولها رسول كريم فقد قال فى حقه صلى الله عليه وسلم فى آخر سورة الحاقة إنه لقول رسول كريم وقد قيل أيضا أن المراد جبريل إلا أنه يأباه قوله وما هو بقول شاعر وقد وافق الزمخشرى على ذلك فيما تقدم فهذا أول النعوت وأعظمها وأما قوله ذى قوة فليس محل الخلاف إذ لا نزاع فى أن لجبريل عليه السلام فضل القوة الجسمية ومن يقتلع المدائن بريشة من جناحه لامراء فى فضل قوته على قوة البشر وقد قيل هذا فى تفسير قوله ذو مرة فاستوى وقوله عند ذى العرش مكين مطاع ثم فقد ثبت طاعة الملائكة أيضاً لنبينا صلى الله

بِمَجْنُونٍ ۞ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۞ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۞ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۞ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۞ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞

المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه وقرئ ثم تعظيما للأمانة وبيانا لأنها أفضل صفاته المعدودة (وما صاحبكم) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة ومباينة لمنزلة أفضل الإنس محمد صلى الله عليه وسلم إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثمّ أمين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه) ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل (بالأفق المبين) بمطلع الشمس الأعلى (وماهو) وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحى إليه وغير ذلك (بظنين) بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرئ بضنين من الضنّ وهو البخل أى لا يبخل بالوحى فيزوى بعضه غير مبلغه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه وهو فى مصحف عبد الله بالظاء وفى مصحف أبى بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لابد منه للقارئ فإنّ أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبى لسانه وهى أحد الأحرف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهى أحد الأحرف الذولقية أخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت فى هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب (فإن قلت) فإن وضع المصلى أحد الحرفين مكان صاحبه (قلت) هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لأنّ التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتها (وماهو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) أى بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة (فأين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا فى بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل (لمن شاء منكم) بدل من للعالمين

عليه وسلم وورد أنّ جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم إنّ الله يقرئك السلام وقد أمر ملك الجبال أن يطيعك عند ما آذته قريش فسلم عليه الملك وقال إن أمرتنى أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت فصبر النبى صلى الله عليه وسلم واحتسب وأعظم من ذلك وأشرف مقامه المحمود فى الشفاعة الكبرى يوم لا يتقدمه أحد إذ يقول الله تعالى له ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع وأما أمين فقد قال وهو الصادق المصدوق والله إنى لأمين فى الأرض أمين فى السماء وحسبك قوله وما هو على الغيب بظنين إن قرأته بالظاء فمعناه أنه صلى الله عليه وسلم أمين على الغيب غير متهم وإن قرأته بالضاد رجع إلى الكرم فكيف يذهب إلى التفضيل بالنعوت المشتركة بين الفاضل والمفضول سواء وما لى مباحثة فى أصل المسئلة ولكن الردّ عليه فى خطئه على كل قول يتعين وإلا فالمسئلة فى غير هذا الكتاب فنسأل الله أن يثبتنا على الإيمان به وملائكته وكتبه ورسله وعلى القول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وأن يعمر قلوبنا بحبهم وأن يجعل توسلنا إليه بهم وهو حسبنا ونعم الوكيل

(قوله كما تبهته الكفرة) أى تتهمه بما لبس فيه (قوله ومباينة منزلته) يعنى ارتفاع منزلته على منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبنى على مذهب المعتزلة من تفضيل الملك على البشر ومذهب أهل السنة تفضيل رؤساء البشر وإنما ذكر جبريل بتلك الصفات واقتصر على نفى الجنون عن النبى ﷺ ولأن جبريل مجهول لهم بخلاف محمد ﷺ فإنه صاحبهم ولذا اقتصر على نفى ما بهتوه به (قوله فى بنيات الطريق) فى الصحاح بنيات الطريق هى الطرق الصغار تتشعب من الجادة

﴿سورة الانفطار مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد النازعات﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۞ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۞ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ

وإنما أبدلوا منهم لأن الذين شاؤا الاستقامة بالدخول فى الإسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وإن كانوا موعظين جميعا (وما تشاؤن) الاستقامة يامن يشاؤها إلا بتوفيق الله ولطفه أو وما تشاؤنها أنتم يامن لايشاؤها إلا بقسر الله وإلجائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إذا الشمس كورت أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

﴿سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (انفطرت) انشقت (فجرت) فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذى بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروى أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا إلى قوله تعالى لايبغيان لأن البغى والفجور أخوان ۞ بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليهما والمعنى بحثت وأخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لأنها بعثرت أسرار المنافقين (فإن قلت) مامعنى قوله (ماغرك بربك الكريم) وكيف طابق الوصف بالكرم إنكار الاغترار به وإنما يغتر بالكريم كما يروى عن على رضى الله عنه أنه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فإذا هو بالباب فقال له مالك لم تجبنى قال لثقتى بحلمك وأمنى من عقوبتك فاستحسن جوابه وأعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء أدب غلمانه (قلت) معناه أن حق الإنسان أن لايغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الأول فإنه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضى الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث أى زين له المعاصى وقال له افعل ماشئت فربك الكريم الذى تفضل عليك بما تفضل به أولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض إن أقامك الله يوم القيامة وقال لك ماغرك بربك الكريم ماذا تقول قال أقول غرتنى

﴿القول فى سورة الانفطار﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ماغرك بربك الكريم (قال فيه إن قلت قوله ماغرك بربك الكريم ما معناه وكيف يطابق الوصف بالكرم الخ) قال أحمد حجة الزمخشرى ههنا فارغة فإن الآية إنما وردت فى الكفار بدليل قوله كلا بل تكذبون بالدين ونحن نوافقه على خلودهم وانقطاع معاذيرهم لا على أن تخليدهم واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة فإن الله لايجب عليه شىء ويجوز عقلا أن يثيب الكافر ويخلده فى الجنة وبالعكس فى المؤمن ولولا ورود السمع بإثابة المؤمنين وعذاب الكافرين فيتعين المصير إليه لكان ماذكرناه فى الجواز والاحتمال فإن الله عز وجل يفعل مايشاء ويحكم مايريد

(قوله يامن يشاؤها إلا بتوفيق الله) تأويل المشيئة بذلك مبنى على أن فعل العبد بخلق العبد وإرادته لابخلق الله تعالى ولا بإرادته وهو مذهب المعتزلة ومذهب أهل السنة أنه بخلق الله تعالى وإرادته كظاهر الآيات وقوله بقسر الله أى بجبره العبد على الفعل لكن الجبر ينافى الاختيار المصحح للتكليف واستحقاق الثواب والعقاب ويمكن أنه أراد بقسر الله إرادته المستلزمة لوجود المراد كما سبق له فى الكتاب غير مرة التعبير بإرادة القسر لكن استلزام الإرادة للمراد لايستلزم قسر العبد وجبره عند أهل السنة وإن كان الله هو الخالق لفعل العبد لأنهم أثبتوا للعبد الكسب خلافا للمعتزلة وتفصيل المقام فى علم التوحيد

فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۞ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۞
كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۞ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۞ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۞
وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ
شَيْـًٔا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۞

ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطإ فى الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم إنما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ماأغرك إما على التعجب وإما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار إذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون وأغره غيره جعله غارا (فسواك) فجعلك سويا سالم الأعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر أو جعلك معتدل الخلق تمشى قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان أحدهما أن يكون بمعنى المشدد أى عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت والثانى فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعنى فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق أو فعدلك إلى بعض الأشكال والهيآت ۞ مافى (ماشاء) مزيدة أى ركبك فى أى صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة والشبه ببعض الأقارب وخلاف الشبه (فإن قلت) هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ماقبلها (قلت) لأنها بيان لعدلك (فإن قلت) بم يتعلق الجار (قلت) يجوز أن يتعلق بركبك على معنى وضعك فى بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف أى ركبك حاصلا فى بعض الصور ومحله النصب على الحال إن علق بمحذوف ويجوز أن يتعلق بعدلك ويكون فى أى معنى التعجب أى فعدلك فى صورة عجيبة ثم قال ماشاء ركبك أى ركبك ماشاء من التراكيب يعنى تركيبا حسنا (كلا) ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة إلى عكسهما الذى هو الكفر والمعصية ثم قال (بل تكذبون بالدين) أصلا وهو الجزاء أو دين الإسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر (وإن عليكم لحافظين) تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعنى أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها) وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الأمور ولولا ذلك لما وكل بضبط مايحاسب عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه إنذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال ماأشدها من آية على الغافلين (وماهم عنها بغائبين) كقوله وماهم بخارجين منها ويجوز أن يراد يصلون النار يوم الدين ومايغيبون عنها قبل ذلك يعنى فى قبورهم وقيل أخبر الله فى هذه السورة أن لابن آدم ثلاث حالات حال الحياة التى يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التى يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وماهم عنها بغائبين ۞ يعنى أن أمر يوم الدين بحيث لاتدرك دراية دار كنهه فى الهول والشدة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم أجمل القول فى وصفه فقال (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ) أى لاتستطيع دفاعها ولا نفعها بوجه ولا أمر إلا لله وحده ، من رفع فعلى البدل من يوم الدين أو على هو يوم لاتملك ومن نصب فبإضمار يدانون لأن الدين يدل عليه أو بإضمار اذكر ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو فى محل الرفع . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ إذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

(قوله أى معنى التعجب) لعله التعجيب (قوله وتشوير للعصاة) أى إخجال اهـ كذا بهامش وفى الصحاح الشوار الفرج ومنه قيل شور به أى كأنه أبدى عورته

سورة المطففين مكية و آياتها ٣٦ نزلت بعد العنكبوت وهى آخر سورة نزلت بمكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٭ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ٭ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ٭ وَإِذَا كَالُوهُمْ

﴿سورة المطففين مختلف فيها وهى ست وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ التطفيف البخس فى الكيل والوزن لأنّ مايبخس شىء طفيف حقير وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بأبى جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر ٭ وقيل كان أهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابزة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يارسول الله وماخمس بخمس قال مانقض قوم العهد إلاسلط الله عليهم عدوّهم ، وماحكموا بغير ماأنزل الله إلافشا فيهم الفقر ، وماظهرت فيهم الفاحشة إلافشا فيهم الموت ، ولاطففوا الكيل إلامنعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولامنعوا الزكاة إلاحبس عنهم القطر . وعن على رضى الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح فقال له أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ماشئت كأنه أمره بالتسوية أولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس إنكم معشر الأعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الأعاجم لأنهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفترقين فى الحرمين كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول له اتق الله وأوف الكيل فإنّ المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمان حتى إن العرق ليلجمهم وعن عكرمة أشهد أنّ كل كيال ووزان فى النار فقيل له إنّ ابنك كيال أووزان فقال أشهد أنه فى النار وعن أبىّ رضى الله عنه لاتلتمس الحوائج ممن رزقه فى رؤس المكاييل وألسن الموازين ٭ لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية أى يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وقال القراء من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لأنه حق عليه فإذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ماعليك وإذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك ٭ والضمير فى (كالوهم أووزنوهم) ضمير منصوب راجع إلى الناس وفيه وجهان أن يراد كالوا لهم أووزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا ٭ ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وأن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه والمضاف هو المكيل أو الموزون ولايصح أن يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لأنّ الكلام يخرج به إلى نظم فاسد وذلك أنّ المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهم أخسروا وإن جعلت الضمير للمطففين انقلب إلى قولك إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا وهو كلام متنافر لأنّ الحديث واقع فى الفعل

﴿القول فى سورة المطففين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون (قال فيه لما كان اكتيالهم على الناس اكتيالا يضرهم الخ) قال أحمد لامنافرة فيه ولايجعل هذا القائل الضمير دالا على مباشرة ولاإشعار أيضا فيه بذلك إنما يكون نظم الكلام على هذا الوجه إذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه وإذا كان الكيل من جهتهم خاصة أخسروه سواء باشروه أولا وهذا أنظم كلام وأحسنه والله أعلم والذى يدلك على أن الضمير لايعطى مباشرة الفعل أن لك أن تقول الأمراء هم الذين يقيمون الحدود لا السوقة لست تعنى أنهم يباشرون ذلك بأنفسهم وإنما معناه أن فعل ذلك من جهتهم خاصة

(قوله ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا الخ) الأكمؤ جمع الكمء والكمؤ واحد الكمأة على غير قياس وهى ضرب من النبات والعساقل واحدها عسقول ضرب من الكمأة وهى البيض الكبار وبنات الأوبر ضرب منها وهى صغار مزغبة على لون التراب كذا فى الصحاح

أَو وَّزَنُوهُم يُخسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَـٰئِكَ أَنَّهُم مَّبعُوثُونَ ۝ لِيَومٍ عَظِيمٍ ۝ يَومَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَـٰلَمِينَ ۝
كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝ وَمَآ أَدرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَـٰبٌ مَّرقُومٌ ۝ وَيلٌ يَومَئِذٍ لِّلمُكَذِّبِينَ ۝ الَّذِينَ
يُكَذِّبُونَ بِيَومِ الدِّينِ ۝ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتلَىٰ عَلَيهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ الأَوَّلِينَ ۝

لا في المباشر والتعلق في إبطاله بخط المصحف وأنّ الألف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لأنّ خط المصحف لم يراع في كثير منه حدّ المصطلح عليه في علم الخط على أني رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقنين هذه الألف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعاً لأنّ الواو وحدها معطية معنى الجمع وإنما كتبت هذه الألف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يرتكبان ذلك أي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادا (فإن قلت) هلا قيل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم (قلت) كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لأنهم يدعدعون ويحتالون في الملء وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعاً (يخسرون) ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره (ألا يظن) إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخميناً (أنهم مبعوثون) ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب أن يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان أنّ أعرابياً قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك أنّ المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل أخذ وإعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظنّ بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ۝ ونصب (يوم يقوم) بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيباً وامتنع من قراءة ما بعده (كلا) ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم ۝ وكتاب الفجار ما يكتب من أعمالهم ۝ (فإن قلت) قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه من سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكأنه قيل إنّ كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه (قلت) سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دوّن الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه فالمعنى أنّ ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجيناً فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم أو لأنه مطروح كما روي تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن إبليس وذريته استهانة به وإذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون (فإن قلت) فما سجين أصفة هو أم اسم (قلت) بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف (الذين يكذبون) مما وصف به للذم لا للبيان كقولك عاد كلامه (قال) والتعلق في إبطال هذا بخط المصحف لعدم الألف بعد الواو ركيك الخ

(قوله يدعدعون ويحتالون) في الصحاح الدعدعة تحريك المكيال ونحوه ليسعه الشيء ودعدعت الشيء ملأته (قوله يقال خسر الميزان) عبارة الصحاح خسرت الشيء وأخسرته نقصته (قوله استهانة به وإذالة) أي إهانة كما في الصحاح

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ *

فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث (كلا) ردع للمعتدى الأثيم عن قوله (ران على قلوبهم) ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها وهو أن يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل إليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه ريناً وغيناً والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به وقرئ بإدغام اللام فى الراء وبالإظهار والإدغام أجود وأميلت الألف وفخمت (كلا) ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم . وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم قال : إذا اعتروا باب ذى عبية رجبوا * والناس من بين مرجوب ومحجوب وعن ابن عباس وقتادة وابن أبى مليكة محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته (كلا) ردع عن التكذيب وكتاب الأبرار ما كتب من أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع علىّ فعيل من العلو كسجين من السجن سمى بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالى الدرجات فى الجنة وإما لأنه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريماً له وتعظيماً وروى أن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم أنتم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما فى قلبه وأنه أخلص عمله فاجعلوه فى عليين فقد غفرت له وإنها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم أنتم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما فى قلبه وأنه لم يخلص لى عمله فاجعلوه فى سجين (الأرائك) الأسرة فى الحجال (ينظرون) إلى ما شاؤا مد أعينهم إليه من مناظر الجنة وإلى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة وإلى أعدائهم يعذبون فى النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك (نضرة النعيم) بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى فى وجوه الأغنياء وأهل الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع الرحيق الشراب الخالص الذى لا غش فيه (مختوم) تختم أوانيه من الأكواب والأباريق بمسك مكان الطينة وقيل (ختامه مسك) مقطعه رائحة مسك إذا شرب وقيل

قوله تعالى « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » (قال فيه كونهم محجوبين عنه تمثيل الخ) قال أحمد هذا عند أهل السنة على ظاهره من أدلة الرؤية فإن الله تعالى لما خص الفجار بالحجاب دل على أن المؤمنين الأبرار مرفوع عنهم الحجاب ولا معنى لرفع الحجاب إلا الإدراك بالعين وإلا فالحجاب على الله تعالى بغير هذا التفسير محال هذا هو الحق وما بعد الحق إلا الضلال وما أرى من جحد الرؤية المدلول عليها بقواطع الكتاب والسنة يخطئ بها والله المسئول فى العصمة

(قوله تمثيل للاستخفاف بهم) مبنى على مذهب المعتزلة وهو عدم جواز الرؤية عليه تعالى وذهب أهل السنة إلى جوازها وفى النسفى قال الزجاج فى الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم وإلا لا يكون التخصيص مفيداً وقال الحسن بن الفضل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى العقبى عن رؤيته وقال مالك بن أنس لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه وكذا فى الخازن وفيه أيضا قال الشافعى فى الآية دلالة على أن أولياء الله يرون الله جل جلاله
(قوله باب ذى عبية رجبوا) هى بالضم والكسر التكبر والتجبر ورجبته بالكسر أى هبته وعظمته كذا فى الصحاح
(قوله الأسرة فى الحجال) فى الصحاح الحجلة بالتحريك واحدة حجال العروس وهى بيت يزين بالثياب والأسرة والستور

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۝ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝

سورة الانشقاق مكية وآياتها ٢٥ نزلت بعد الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ

يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها أي مايختم به ويقطع (فليتنافس المتنافسون) فليرتغب المرتغبون (تسنيم) علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه إما لأنها أرفع شراب في الجنة وإما لأنها تأتيهم من فوق على ماروى أنها تجرى في الهواء متسنمة فتنصب في أوانيهم و (عينا) نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة ۝ هم مشركوا مكة أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم وقيل جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الأصلع فضحكوا منه فنزلت قبل أن يصل علي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم (فكهين) ملتذين بذكرهم والسخرية منهم أي ينسبون المسلمين إلى الضلال (وما أرسلوا) على المسلمين (حافظين) موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم أو هو من جملة قول الكفار وإنهم إذا رأوا المسلمين قالوا إن هؤلاء لضالون وإنهم لم يرسلوا عليهم حافظين إنكارا لصدهم إياهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وجدهم في ذلك (على الأرائك ينظرون) حال من يضحكون أي يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ماهم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الأرائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم ۝ ثوبه وأثابه بمعنى إذا جازاه قال أوس

سأجزيك أو يجزيك عني مثوب ۝ وحسبك أن يثنى عليك وتحمدي

وقرئ بإدغام اللام في الثاء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

﴿سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها مادل عليه فملاقيه أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه ومعناه إذا انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة ۝ أذن له استمع له ومنه قوله عليه السلام ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم ۝ أذنت لكم لما سمعت هريركم ۝ والمعنى أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين (وحقت) من

﴿القول في سورة الانشقاق﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ قوله تعالى وأذنت لربها وحقت (قال فيه معنى أذنت استمعت الخ) قال أحمد قد نص تفسير الآية بقوله القادر بالذات وما باله لا يقول القادر الذي عمت قدرته الكائنات حتى لا كون إلا بقدرته حقيق أن يسمع له ويطاع فيثبت لله صفة الكمال ويوحده حق توحيده وهو خير من سلب صفة الكمال عن الله تعالى وإشراك مخلوقاته به جل ربنا وعز

(قوله لما سمعت هريركم) في الصحاح هرير الكلب صوته دون نباحه

مَافِيهَا وَتَخَلَّتْ ۞ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا الْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۞ إِنَّهُ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۞ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۞ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۞ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞

قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعنى وهى حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع ومعناه الإيذان بأن القادر بالذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك (مدت) من مد الشىء فامتد وهو أن تذال جبالها وآكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوى ظهرها كما قال تعالى قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس رضى الله عنهما مدت مد الأديم العكاظى لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى أو من مده بمعنى أمده أى زيدت سعة وبسطة (وألقت مافيها) ورمت بما فى جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شىء فى باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها فى الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما فى الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما فى طبعهما (وأذنت لربها) فى إلقاء مافى بطنها وتخليها ۞ الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه ومعنى (كادح إلى ربك) جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء (فملاقيه) فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير فى ملاقيه للكدح (يسيرا) سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة رضى الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من يحاسب يعذب فقيل يارسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش فى الحساب عذب (إلى أهله) إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق المؤمنين أو إلى أهله فى الجنة من الحور العين (وراء ظهره) قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره (يدعو ثبورا) يقول ياثبوراه والثبور الهلاك ۞ وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم (فى أهله) فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعا مسرورين يعنى أنه كان فى الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون فى العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين (ظن أن لن يحور) لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول أى لا يرجع ولا يتغير قال لبيد ۞ يحور رمادا بعد إذ هو ساطع ۞ وعن ابن عباس ما كنت أدرى ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حورى أى ارجعى (بلى) إيجاب لما بعد النفى فى لن يحور أى بلى ليحورن (إن ربه كان به بصيرا) وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلابد أن يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان فى أبى سلمة بن عبد الأسد وأخيه الأسود بن عبد الأشد ۞ الشفق الحمرة التى ترى فى المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء إلا ما روى عن أبى حنيفة رضى الله عنه فى إحدى الروايتين أنه البياض وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمى لرقته ومنه الشفقة على الإنسان رقة القلب عليه (وما وسق) وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال ۞ مستوسقات لو يجدن سائقا ۞ ونظيره فى وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى إليه من الدواب وغيرها (إذا اتسق) إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة ۞ قرئ لتركبن على خطاب الإنسان فى ياأيها الإنسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لأن النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن

(قوله الإيذان بأن القادر بالذات) هذا التعبير مبنى على مذهب المعتزلة من أنه تعالى قادر بذاته لا بقدرة زائدة على ذاته عالم بذاته لا بعلم زائد على ذاته ومذهب أهل السنة أنه قادر بقدرة زائدة على ذاته عالم بعلم زائد على ذاته وهكذا كما فى الحوادث

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَايَسْجُدُونَ ۞ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۞ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۞ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞

سورة البروج مكية وآياتها ٢٢ نزلت بعد الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ
الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن

الإنسان ۞ والطبق ماطابق غيره يقال ماهذا بطبق لذا أى لايطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق وإطباق الثرى ماتطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وعلا (طبقا عن طبق) أى حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها فى الشدة والهول ويجوز أن يكون جمع طبقة وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات فى الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها (فإن قلت) ما محل عن طبق (قلت) النصب على أنه صفة لطبقاً أى طبقا مجاوزاً لطبق أو حال من الضمير فى لتركبن أى لتركبن طبقاً مجاوزين لطبق أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه (لايسجدون) لايستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رضى الله عنه على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس فى المفصل سجدة وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ماسجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس صليت خلف أبى بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هى غير واجبة (الذين كفروا) إشارة إلى المذكورين (بما يوعون) بما يجمعون فى صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجمعون فى صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من العذاب (إلا الذين آمنوا) استثناء منقطع . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره

﴿سورة البروج مكية وهى ثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ هى البروج الاثنا عشر وهى قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التى هى منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل أبواب السماء (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) يعنى وشاهد فى ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود مافى ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما إما ماذكرته فى قوله علمت نفس ما أحضرت كأنه قيل وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود وإما الإبهام فى الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لايكتنه وصفهما وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيامة وقيل عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالى وبنو آدم وعن الحسن مامن يوم إلا وينادى إنى يوم جديد وإنى على مايعمل فىّ شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى إلى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليه السلام (فإن قلت) أين جواب القسم (قلت) محذوف يدل عليه قوله (قتل أصحاب الأخدود) كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونون يعنى كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود وذلك أن السورة وردت فى تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وإلحاق أنواع الأذى وصبرهم وثباتهم حتى يأنسوا بهم ويصبروا

يؤمنوا بالله العزيز الحميد ۝ الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد ۝ إن الذين فتنوا

على ما كانوا يلاقون من قومهم ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونين أحقاء بأن يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل أصحاب الأخدود وقتل دعاء عليهم كقوله قتل الإنسان ما أكفره وقرئ قتل بالتشديد والأخدود الخد فى الأرض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والأخقوق ومنه فساخت قوائمه فى أخاقيق جرذان روى عن النبى ﷺ أنه قال كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم إليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص ويشفى من الأدواء وعمى جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله فقال من رد عليك بصرك فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به إلى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جزع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد فى أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبى يا أماه اصبرى فإنك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعى ولا تنافقى وقيل قال لها ماهى إلا غميضة فصبرت وعن على رضى الله عنه أنهم حين اختلفوا فى أحكام المجوس قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس إن الله أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول إن الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت له ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فأمرته بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله بقوله قتل أصحاب الأخدود وقيل وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودى بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثنى عشر ألفا فى الأخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ من جهد البلاء (النار) بدل اشتمال من الأخدود (ذات الوقود) وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم (إذ) ظرف لقتل أى لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى (عليها) على ما يدنو منها من حافات الأخدود كقوله ۝ وبات على النار الندى والمحلق ۝ وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا لمكان يدنو منه ۝ ومعنى شهادتهم على إحراق المؤمنين أنهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب ويجوز أن يراد أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (وما نقموا منهم) وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان كقوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ۝ قال ابن الرقيات ۝ ما نقموا من بنى أمية إلا ۝ أنهم يحلمون إن غضبوا

وقرأ أبو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح ۝ وذكر الأوصاف التى يستحق بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والأرض فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقديرا لأن ما نقموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه إلا مبطل منهمك فى الغى وإن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب (والله على كل شىء شهيد) وعيد لهم يعنى أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم

(قوله جرذان) فى الصحاح الجرذ ضرب من الفأر والجمع الجرذان (قوله قرقور) فى الصحاح القرقور السفينة الطويلة (قوله فتقاعست) فى الصحاح تقاعس إذا تأخر عن الأمر ولم يتقدم (قوله غير أن سيوفهم) بقية البيت ۝ بهن فلول من قراع الكتائب ۝

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ۝ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۝

عليه ۝ يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين فى الأخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) وهى نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق بإحراقهم المؤمنين أولهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق فى الدنيا لما روى أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوهم بالأذى على العموم والمؤمنين المفتونين وأن للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم ولفتنتهم ۝ البطش الأخذ بالعنف فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذهم بالعذاب والانتقام (إنه هو يبدئ ويعيد) أى يبدئ البطش ويعيده يعنى يبطش بهم فى الدنيا وفى الآخرة أو دل باقتداره على الابداء والإعادة على شدة بطشه أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة وقرئ يبدأ (الودود) الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا وقرئ ذى العرش صفة لربك وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمته (فعال) خبر مبتدأ محذوف وإنما قيل فعال لأن ما يريد ويفعل فى غاية الكثرة (فرعون وثمود) بدل من الجنود وأراد بفرعون إياه وآله كما فى قوله من فرعون وملئهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود الرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قولك (فى تكذيب) أى تكذيب واستيجاب للعذاب والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه ۝ والإحاطة بهم من ورائهم مثل لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ۝ ومعنى الإضراب أن أمرهم أعجب من أمر أولئك لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا أشد من تكذيبهم (بل هو) أى بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالى الطبقة فى الكتب وفى نظمه وإعجازه وقرئ قرآن مجيد بالإضافة أى قرآن رب مجيد وقرأ يحيى بن يعمر فى لوح واللوح الهواء يعنى اللوح فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح (محفوظ) من وصول الشياطين إليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون فى الدنيا عشر حسنات

﴿القول فى سورة البروج﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى فعال لما يريد (قال فيه إنما يقال فعال لأن ما يريد ويفعل فى غاية الكثرة) قال أحمد ما قدر الله حق قدره هلا قال إنه لا فاعل إلا هو وهل المخالف لذلك إلا مشرك وكم أراد الله تعالى على معتقد القدرية من فعل فلم يفعله وهب أنا طرحنا النظر فى مقتضى مبالغة الصيغة أليس قد دل بقوله لما يريد على عموم فعله فى جميع مراده فما رده إلى الخصوص إلا نكوص عن النصوص ۝ عاد كلامه (قال) فى قوله تعالى هل أتاك حديث الجنود الخ معناه قد عرفت تكذيب تلك الجنود الرسل الخ

(قوله واللوح الهواء) فى الصحاح اللوح بالضم الهواء بين السماء والأرض

سورة الطارق مكية وآياتها ١٧ نزلت بعد البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۞ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۞ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۞ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۞ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۞ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۞ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۞ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۞ وَالْأَرْضِ ذَاتِ

﴿سورة الطارق مكية وهى سبع عشر آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (النجم الثاقب) المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل درئ لأنه يدرؤه أى يدفعه ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال الآتى ليلا طارق أولأنه يطرق الجنى أى يصكه والمراد جنس النجوم أوجنس الشهب التى يرجم بها (فإن قلت) مايشبه قوله وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إلا ترجمة كلمة بأخرى فبين لى أى فائدة تحته (قلت) أراد الله عز من قائل أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وماأدراك ماالطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا إظهار لفخامة شأنه كما قال فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لوتعلمون عظيم روى أن أبا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ماثم نورا فجزع أبوطالب وقال أى شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله فعجب أبوطالب فنزلت (فإن قلت) ماجواب القسم (قلت) (إن كل نفس لما عليها حافظ) لأن إن لاتخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى إلا أن تكون نافية وفيمن قرأها مخففة على أن ما صلة تكون مخففة من الثقيلة وأيتهما كانت فهى مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصى عليها ماتكسب من خير وشر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين (فإن قلت) ماوجه اتصال قوله (فلينظر) بما قبله (قلت) وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظا أتبعه توصية الإنسان بالنظر فى أول أمره ونشأته الأولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ولا يملى على حافظه إلا مايسره فى عاقبته و(مم خلق) استفهام جوابه (خلق من ماء دافق) والدفع صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة إلى الدفق الذى هو مصدر دفق كاللابن والتامر أو الإسناد المجازى والدفق فى الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما فى الرحم واتحادهما حين ابتدئ فى خلقه (من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه أربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب قال العجاج ۞ فى صلب مثل العنان المؤدم ۞ وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (إنه) الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه أن ذلك الذى خلق الإنسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على إعادته خصوصاً (لقادر) لبين القدرة لايلتاث عليه ولايعجز عنه كقوله إننى لفقير (يوم تبلى) منصوب برجعه ومن جعل الضمير فى رجعه للماء وفسره برجعه إلى

﴿القول فى سورة الطارق﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ماالطارق النجم الثاقب قال الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه الخ

(قوله قال العجاج فى صلب) صدره ريا العظام فخمة المخدم والخدمة الخلخال والجمع خدام والمخدم موضع الخدام والمؤدم لين الأدمة وهى باطن الجلد كذا فى الصحاح (قوله لا يلتاث عليه) فى الصحاح التاث فى عمله أى أبطأ (قوله كقوله إننى لفقير) أى الشاعر حيث قال ابن كان يهدى برد أنيابها العلى ۞ لافقر منى إننى لفقير

الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝

سورة الأعلى مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَالَّذِي

مخرجه من الصلب والترائب أو الإحليل أو إلى الحالة الأولى نصب الظرف بمضمر (السرائر) ما أسرّ فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الأعمال وبلاؤها تعرّفها وتصفحها والتمييز بين ماطاب منها وماخبث وعن الحسن أنه سمع رجلا ينشد سيبقى لها فى مضمر القلب والحشا ۝ سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما أغفله عما فى والسماء والطارق (فما له) فما للإنسان (من قوة) من منعة فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) ولا مانع يمنعه ۝ سمى المطر رجعاً كما سمى أوباقال ربّاء شمّاء لا يأوى لقلتها ۝ إلا السحاب وإلا الأوب والسبل

تسمية بمصدرى رجع وآب وذلك أنّ العرب كانوا يزعمون أنّ السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض أو أرادوا التفاؤل فسموه رجعاً وأوبا ليرجع ويؤب وقيل لأنّ الله يرجعه وقتاً فوقتاً قالت الخنساء كالرجع فى المدجنة السارية ۝ والصدع مايتصدع عنه الأرض من النبات (إنه) الضمير للقرآن (فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وماهو بالهزل) يعنى أنه جدّ كله لاهوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيباً فى الصدور معظماً فى القلوب يترفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح وأن يلقى ذهنه إلى أنّ جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده حتى إن لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جاداً غير هازل فقد نعى الله ذلك على المشركين فى قوله وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون والغوا فيه (إنهم) يعنى أهل مكة يعملون المكايد فى إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق وأنا أقابلهم بكيدى من استدراجى لهم وانتظارى بهم الميقات الذى وقته للانتصار منهم (فمهل الكافرين) يعنى لاتدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أمهلهم رويدا) أى إمهالا يسيراً وكرّر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

﴿ سورة سبح اسم ربك الأعلى مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ تسبيح اسمه عزوعلا تنزيهه عما لايصح فيه من المعانى التى هى إلحاد فى أسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذى هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلوّ فى المكان والاستواء على العرش حقيقة وأن يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ۝ ويجوز أن يكون الأعلى صفة للرب والاسم وقرأ على رضى الله عنه سبحان ربى الأعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت (خلق فسوّى) أى خلق كل شىء فسوّى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على إحكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم وأنه صنعة حكيم (قدر فهدى) قدر لكل حيوان مايصلحه فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به يحكى أنّ الأفعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله أنّ مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد إليها بصرها فربما كانت فى برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لاتخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة بإذن الله وهدايات الله للإنسان إلى مالا يحد من مصالحه ومالا يحصر من حوائجه

(قوله قال رباء شماء) رباء فعال من ربأ إذا علا وارتفع وشماء فعلاء من الشمم بمعنى الارتفاع والأول مضاف للثانى (قوله لايأوى لقلتها) القلة والقنة بالضم أعلى الجبل والسيل بالتحريك المطر كذا فى الصحاح (قوله الذى وقته للانتظار منهم) لعله للانتصار

أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۞ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۞ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ۞ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۞ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ۞ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ۞ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ۞ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۞ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ

فى أغذيته وأدويته وفى أبواب دنياه ودينه وإلهامات البهائم والطيور وهوام الأرض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربى الأعلى . وقرئ قدر بالتخفيف . أحوى صفة لغثاء أى (أخرج المرعى) أنبته (فجعله) بعد خضرته ورفيفه (غثاء أحوى) درينا أسود ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى أى أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد حوته بشره الله بإعطاء آية بينة وهى أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحى وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه (إلا ما شاء الله) فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله أو ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة إذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فإن جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة إلى أن تحفظه ثم لا تنساه إلا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان أو قال إلا ما شاء الله يعنى القلة والندرة كما روى أنه أسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أو قال إلا ما شاء الله والغرض نفى النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه أنت سهيمى فيما أملك إلا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شىء وهو من استعمال القلة فى معنى النفى وقيل قوله فلا تنسى على النهى والألف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعنى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة (إنه يعلم الجهر) يعنى أنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلام مخافة التفلت والله يعلم جهرك معمومافى نفسك مما يدعوك إلى الجهر فلا تفعل فأنا أكفيك ما تخافه أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وبطن من أحوالكم وما هو مصلحة لكم فى دينكم ومفسدة فيه فينسى من الوحى ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله إنه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه نوفقك للطريقة التى هى أيسر وأسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة السمحة التى هى أيسر الشرائع وأسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة (فإن قلت) كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا بالذكرى نفعت أو لم تنفع فما معنى اشتراط النفع (قلت) هو على وجهين أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده فى تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلا عتوا وطغيانا وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا فى تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وأعرض عنهم وقل سلام وذكر إن نفعت الذكرى وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير والثانى أن يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين وإخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين إن سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وأنه لن يكون (سيذكر) فيقبل التذكرة وينتفع بها (من يخشى) الله وسوء العاقبة فينظر حتى يقوده ويفكر النظر إلى اتباع الحق فأما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل أن يقبلوا منك (ويتجنبها) ويتجنب الذكرى ويتحاماها (الأشقى) الكافر لأنه أشقى من الفاسق أو الذى هو أشقى من الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة (النار الكبرى) السفلى من أطباق النار

﴿القول فى سورة الاعلى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى (قال فيه) وجهان احدهما أن أحوى صفة لغثاء أى جعله بعد خضرته ورفيفه غثاء أحوى الخ ۞ قوله تعالى ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى (قال الأشقى الكافر لأنه أشقى من الفاسق والنار الكبرى السفلى من أطباق النار) قال أحمد يشير إلى خلود الفاسق مع الكافر فى أسافل النار والفاسق أعلى منه كما تقدم له التصريح بذلك كثيرا عاد كلامه قال وقوله ثم لا يموت فيها ولا يحيى لأن الترجح بين الحياة والموت أفظع من

(قوله وشوط بطين لا يحيط به) أى بعيد أفاده الصحاح (قوله ريفة غثاء) الريف أرض فيها زرع وخصب والدرين حطام المرعى إذا قدم كذا فى الصحاح (قوله يعنى حفظ الوحى) لعله يعنى فى حفظ الوحى

ٱلْكُبْرَىٰ ۞ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۞ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۞ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۞ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۞

سورة الغاشية مكية وآياتها ٢٦ نزلت بعد الذاريات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۞ تَصْلَىٰ نَارًا

وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقيل (ثم لأن الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه (تزكى) تطهر من الشرك والمعاصى أو تطهر للصلاة أو تكثر من التقوى من الزكاة وهو النماء أو تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (فصلى) أى الصلوات الخمس نحو قوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وعن ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن على رضى الله عنه أنه التصدق بصدقة الفطر وقال لا أبالى أن لا أجد فى كتابى غيرها لقوله قد أفلح من تزكى أى أعطى زكاة الفطر فتوجه إلى المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لأن الصلاة معطوفة عليها وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنه ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الأولى قراءة ابن مسعود بل أنتم تؤثرون (خير وأبقى) أفضل فى نفسها وأنعم وأدوم وعن عمر رضى الله عنه ما الدنيا فى الآخرة إلا كنفجة أرنب (هذا) إشارة إلى قوله قد أفلح إلى أبقى يعنى أن معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف وقيل إلى ما فى السورة كلها وروى عن أبى ذر رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أنزل الله من كتاب فقال مائة وأربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثون صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وقيل إن فى صحف إبراهيم ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على إبراهيم وموسى ومحمد وكان إذا قرأها قال سبحان ربى الأعلى وكان على وابن عباس يقولان ذلك وكان يحبها وقال أول من قال سبحان ربى الأعلى ميكائل

﴿سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ الغاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعنى القيامة من قوله يوم يغشاهم

الصلى الخ ۞ قوله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى (نقل عن على أنه قال هو التصدق بصدقة الفطر وقال لا أبالى أن لا أجد فى كتابى غيرها الخ) قال أحمد فى تلقى هذين الحكمين الآخرين من الآية تكلف أما الأول فلأن العطف وإن اقتضى المغايرة فيقال بموجبها فنحن إن قلنا أن تكبيرة الإحرام جزء من الصلاة فالجزء مغاير للكل فلا غرو أن يعطف عليه والمغايرة مع الجزئية ثابتة والحالة هذه وأما الثانى فلأن الاسم معرف بالإضافة وتعريف الإضافة عهدى عند محققى الفن حتى أن القائل إذا قال جاءنى غلام زيد ولزيد غلامان فإنما تفهم من قوله معينا منهم بسابق عهد بينك وبينه هذا مهيع تعريف الإضافة والمعهود فى افتتاح الصلاة ما استمر النبى صلى الله عليه وسلم على العمل به قولا وفعلا وهو التكبير المعروف ولو تنزلنا على أنه فى الآية مطلق فالحصر فى قوله تحريمها التكبير قيد اطلاقه ۞ عاد كلامه (ونقل) عن الضحاك أن المراد ذكر الله بالتكبير فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد

﴿القول فى سورة الغاشية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة

(قوله إلا كنفجة ارنب) فى الصحاح نفجت الارنب إذا ثارت

حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ

العذاب وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش (يومئذ) يوم إذ غشيت (خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل فى النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال وخوضها فى النار كما تخوض الإبل فى الوحل وارتقاؤها دائبة فى صعود من نار وهبوطها فى حدور منها وقيل عملت فى الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهى فى نصب منها فى الآخرة وقيل عملت ونصبت فى أعمال لا تجدى عليها فى الآخرة من قوله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين حبطت أعمالهم وقيل هم أصحاب الصوامع ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت فى أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم ۝ قرئ تصلى بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب أن يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا إلى شاة فيدسوها وسطه فأما ما يشوى فوق الجمر أو على المقلى أو فى التنور فلا يسمى مصليا (آنية) متناهية فى الحر كقوله وبين حميم آن ۝ الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطبا فإذا يبس تحامته الإبل وهو سم قاتل قال أبو ذؤيب رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى ۝ وعاد ضريعا بان عنه النحائص

وقال وحبسن فى هزم الضريع فكلها ۝ حدباء دامية اليدين حرود

(فإن قلت) كيف قيل (ليس لهم طعام إلا من ضريع) وفى الحاقة ولا طعام إلا من غسلين (قلت) العذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم (لا يسمن) مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع يعنى أن طعامهم من شىء ليس من مطاعم الإنس وإنما هو شوك والشوك مما ترعاه الإبل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما إماطة الجوع وإفادة القوة والسمن فى البدن أو أريد أن لا طعام لهم أصلا لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الإنس لأن الطعام ما أشبع أو أسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل إلا الشمس تريد نفى الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش إن الضريع لتسمن عليه إبلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو إما أن يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفى السمن والشبع وإما أن يصدقوا فيكون المعنى أن طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم إنما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع (ناعمة) ذات بهجة وحسن كقوله تعرف فى وجوههم نضرة النعيم أو متنعمة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ما أداهم إليه من الكرامة والثواب (عالية) من علو المكان أو المقدار (تسمع) يا مخاطب أو الوجوه (لاغية) أى لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم ۝ وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء (فيها عين جارية) يريد عيونا فى غاية الكثرة كقوله علمت نفس (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن

(قال فيه معناه بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ذليلة تعمل فى النار عملا تنصب منه وهو جرها السلاسل الخ) قال أحمد الوجه الأول متعين لأن الظرف المذكور وهو قوله يومئذ مقطوع عن الجملة المضاف إليها تقديرها يوم إذ غشيت وذلك فى الآخرة بلا إشكال وهو ظرف لجميع الصفات المخبر بها أعنى خاشعة عاملة ناصبة فكيف يتناول أعمال الدنيا ۝ عاد كلامه قوله تعالى ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع (قال فيه الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطباً الخ) قال أحمد فعلى الوجه الأول يكون صفة مخصصة لازمة ذكرت شارحة لحقيقة الضريع وعلى الثانى تكون صفة مخصصة

(قوله من الصوم الدائب) الدائب والواصب كلاهما بمعنى الدائم (قوله رعى الشبرق الشريان) لعله الريان واما الشريان فشجر تتخذ منه القسى كما فى الصحاح وذوى ذيل وأذواه الحر أذبله والتحوص الأتان الحائل والنحائص جمعه والهرم بالتسكين نبت وهو ضرب من الحمض وناقة حدباء إذا بدت مرافقها والحرقفة رأس الورك يقال المريض إذا طالت ضجعته دبرت حرافقه والحرود من النوق القليلة الدر كذا فى الصحاح (قوله للمفعول بالتاء والياء فيها عين) أى ولاغية بالرفع فيهما

مَوْضُوعَةٌ ۞ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۞ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۞ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۞ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۞ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۞ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۞ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۞

بجلوسه عليه جميع ماخوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء إذا خبأه (موضوعة) كلما أرادوها وجدوها موضوعة بين أيديهم عتيدة حاضرة لايحتاجون إلى أن يدعوا بها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز أن يراد موضوعة عن حد الكبار أوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على مسورة واستند إلى أخرى (وزرابى) وبسط عراض فاخرة وقيل هى الطنافس التى لها خمل وقيق جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة أومفرقة فى المجالس (أفلا ينظرون إلى الإبل) نظر اعتبار (كيف خلقت) خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالأثقال وجرها إلى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لاتعاز ضعيفاً ولا تمانع صغيراً وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار وعن بعض الحكماء أنه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ فى بلاد لا إبل بها ففكر ثم قال يوشك أن تكون طوال الأعناق وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى إن أظماءها لترتفع إلى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت فى البرارى والمفاوز مما لايرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضى فقلت أين تريد قال أريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال أنظر إلى الإبل كيف خلقت ۞ (فإن قلت) كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والجبال والأرض ولا مناسبة (قلت) قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب فى أوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ماانتظمها نظرهم ولم يدع من زعم أن الإبل السحاب إلى قوله إلا طلب المناسبة ولعله لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وإنما رأى السحاب مشبهاً بالإبل كثيراً فى أشعارهم فجوز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز (كيف رفعت) رفعا بعيد المدى بلا مساك وبغير عمد و (كيف نصبت) نصباً ثابتاً فهى راسخة لاتميل ولا تزول و (كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهى مهاد للتقلب عليها وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هرون الرشيد أنه قرأ سطحت بالتشديد والمعنى أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لاينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه ۞ أى لاينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم لاينظرون ولا يذكرون (إنما أنت مذكر) كقوله إن عليك إلا البلاغ (لست عليهم بمسيطر) بمتسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار وقيل هو فى لغة تميم مفتوح الطاء على أن سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه (إلا من تولى) استثناء منقطع أى لست بمستول عليهم ولكن من تولى (وكفر) منهم فإن لله الولاية والقهر فهو يعذبه (العذاب الأكبر) الذى هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أى فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر ومابينهما اعتراض وقرئ إلا من تولى على التنبيه وفى قراءة ابن مسعود فإنه يعذبه وقرأ أبو جعفر المدنى إيابهم التشديد ووجهه أن يكون فيعالا مصدر أيب فيعل من الإياب أو أن يكون أصله أوابا

(قوله بعض مسائد ومطارح) عبارة النسفى وسائد وقوله على مسورة عبارة النسفى على موسدة (قوله إلى البلاد الشاحطة) أى البعيدة أفاده الصحاح (قوله حتى إن أظماءها) فى الصحاح الظمء مابين الوردين وهو حبس الإبل عن الماء إلى غاية الورد والجمع الأظماء

سورة الفجر مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۞ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۞ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۞ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا

فعالا من أوب ثم قيل إيوابا كديوان فى دوان ثم فعل به ما فعل بأصل سيد وميت (فإن قلت) ما معنى تقديم الظرف (قلت) معناه التشديد فى الوعيد وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه وهو الذى يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب فى الحكمة عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أقسم بالفجر كما أقسم بالصبح فى قوله والصبح إذا أسفر والصبح إذا تنفس وقيل بصلاة الفجر ۞ أراد ۞ بالليالى العشر عشر ذى الحجة (فإن قلت) فما بالها منكرة من بين ما أقسم به (قلت) لأنها ليال مخصوصة من بين جنس الليالى العشر ببعض منها أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها (فإن قلت) فهلا عرفت بلام العهد لأنها ليال معلومة معهودة (قلت) لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذى فى التنكير ولأن الأحسن أن تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام أبعد من الألغاز والتعمية ۞ وبالشفع والوتر إما الأشياء كلها شفعها ووترها وإما شفع هذه الليالى ووترها ويجوز أن يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لأنه تاسع أيامها وذاك عاشرها وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فسرهما بذلك وقد أكثروا فى الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهى عنه وبعد ما أقسم بالليالى المخصوصة أقسم بالليل على العموم (إذا يسر) إذا يمضى كقوله والليل إذ أدبر والليل إذا عسعس ۞ وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر فى العدد وفى الترة الكسر وحده وقرئ الوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن أبى عمرو ۞ وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الإطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالإضافة يريد وليال أيام عشر وياء يسر تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وأما فى الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسرى يسرى فيه (هل فى ذلك) أى فيما أقسمت به من هذه الأشياء (قسم) أى مقسم به (لذى حجر) يريد هل يحق عنده أن تعظم بالإقسام بها أو هل فى إقسامى بها إقسام لذى حجر أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لأنه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لأنه يعقل وينهى وحصاة من الإحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال إنه لذو حجر إذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر إلى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ۞ قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للأولين منهم عاد الأولى وإرم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الأخيرة قال ابن الرقيات

مجدا تليدا بناه أوله ۞ أدرك عادا وقبلها إرما

فإرم فى قوله (بعاد إرم) عطف بيان لعاد وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة وقيل إرم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها

قوله تعالى إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم (قال فيه إن قلت ما معنى تقديم الظرف وأجاب بأن معناه التشديد فى الوعيد الخ) قال أحمد ومعنى ثم الدلالة على أن الحساب أشد من الإياب لأنه موجب العذاب وبادرته ۞ عاد كلامه (قال ومعنى الوجوب وجوب الحكمة) قال أحمد أخطأ على عادته ليس على الله واجب وقد تقدم معنى على فى غير هذا والله أعلم

(قوله والليل إذا أدبر) لعله إذا دبر وأفاد فيما مر أن فيه قراءتين والليل إذا دبر والليل إذ أدبر وأما والليل إذا أدبر بلفظ إذا ولفظ أدبر فلم يذكره لا هو ولا النسفى فى تفسير المدثر فليحرر (قوله وفى الترة الكسر وحده) فى الصحاح الموتور الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه تقول وتره وترا وترة وكذلك وتره حقه أى نقصه (قوله وقبلها إرما فإرم) يروى وقبله

ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝ ٱلَّذِينَ طَغَوْا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝

ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعادارم على الإضافة وتقديره بعاد أهل إرم كقوله واسأل القرية ولم تصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث وقرأ الحسن بعاد إرم مفتوحتين وقرئ بعادارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعادارم ذات العماد بإضافة إرم إلى ذات العماد والإرم العلم يعنى بعاد أهل أعلام ذات العماد و (ذات العماد) اسم المدينة وقرئ بعادارم ذات العماد أى جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان إذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين وروى أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخاص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى إرم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبدالله بن قلابة أنه خرج فى طلب إبل له فوقع عليها فحمل ماقدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث إلى كعب فسأله فقال هى إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب إبل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (لم يخلق مثلها) مثل عاد (فى البلاد) عظم أجرام وقوة كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحى فيهلكهم ولم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير لم يخلق مثلها أى لم يخلق الله مثلها (جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة ۝ قيل له ذو الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها إذا نزلوا أو لتعذيبه بالأوتاد كما فعل بماشطة بنته وبآسية (الذين طغوا) أحسن الوجوه فيه أن يكون فى محل النصب على الذم ويجوز أن يكون مرفوعا على هم الذين طغوا أو مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون ۝ يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط إشارة إلى أن ماأحله بهم فى الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ماأعدلهم فى الآخرة كالسوط إذا قيس إلى سائر مايعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن إذا أتى على هذه الآية قال إن عندالله أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها ۝ المرصاد المكان الذى يترتب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لإرصاده العصاة بالعقاب وأنهم لايفوتونه وعن بعض العرب أنه قيل له أين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه قرأ هذه السورة عند بعض الظلمة حتى بلغ هذه الآية فقال إن ربك لبالمرصاد يافلان عرض له فى هذا النداء بأنه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره أى أسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بإنكاره ويقصع أهل الأهواء والبدع باحتجاجه ۝ (فإن قلت) بم اتصل قوله (فأما الإنسان) (قلت) بقوله إن ربك لبالمرصاد كأنه قيل إن الله لايريد من الإنسان إلا الطاعة والسعى للعاقبة وهو

﴿القول فى سورة الفجر﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب (قال) إنما خص السوط تقليلا لعذاب الدنيا بالنسبة إلى ماأعدلهم الخ ۝ قوله تعالى إن ربك لبالمرصاد فأما الإنسان الآية (قال فيه إن قلت كيف اتصل قوله فأما الإنسان بماقبله الخ) قال احمد قوله لايريد من الإنسان إلا الطاعة ولا يأمره إلا بها فاسد الصدر مبنى على أصله

(قوله ويقصع أهل الأهواء) فى الصحاح قصعت الرجل صغرته وحقرته

وَأَمَّآ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَانَنِ ۝ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ

مرصد بالعقوبة للعاصى فأما الإنسان فلا يريد ذلك ولا يهمه إلا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها (فإن قلت) فكيف توازن قوله فأما الإنسان (إذا ما ابتلاه ربه) وقوله وأما إذا ما ابتلاه وحق التوازن أن يتقابل الواقعان بعد أما وأما تقول أما الإنسان فكفور وأما الملك فشكور أما إذا أحسنت إلى زيد فهو محسن إليك وأما إذا أسأت إليه فهو مسىء إليك (قلت) هما متوازنان من حيث إن التقدير وأما هو إذا ما ابتلاه ربه وذلك أن قوله (فيقول ربى أكرمن) خبر المبتدأ الذى هو الإنسان ودخول الفاء لما فى أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر فى تقدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربى أكرمن وقت الابتلاء فوجب أن يكون فيقول الثانى خبر المبتدإ واجب تقديره (فإن قلت) كيف سمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء (قلت) لأن كل واحد منهما اختبار للعبد فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر إذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فإن قلت) هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه (قلت) لأن البسط إكرام من الله لعبده بإنعامه عليه متفضلا من غير سابقة وأما التقدير فليس بإهانة له لأن الإخلال بالتفضل لا يكون إهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده مهينا له وغير مكرم ولا مهين وإذا أهدى لك زيد هدية قلت أكرمنى بالهدية ولا تقول أهاننى ولا أكرمنى إذا لم يهد لك (فإن قلت) فقد قال فأكرمه فصحح إكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ربى أكرمن وذمه عليه كما أنكر قوله أهانن وذمه عليه (قلت) فيه جوابان أحدهما أنه إنما أنكر قوله ربى أكرمن وذمه عليه لأنه قال على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده إلى أن الله أعطاه ما أعطاه إكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة أقدارهم عندهم كقوله إنما أوتيته على علم عندى وإنما أعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله إلا به وهو التقوى دون الأنساب والأحساب التى كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من أجلها والثانى أن ينساق الإنكار والذم إلى قوله ربى أهانن يعنى أنه إذا تفضل عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله وإكرامه وإذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الإكرام فى قوله فأكرمه وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد وأكرمن وأهانن بسكون النون فى الوقف فيمن ترك الياء فى الدرج مكتفيا منها بالكسرة

الفاسد سليم العجز ۞ عاد كلامه (قال فإن قلت كيف توازن قوله فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه وقوله وأما إذا ما ابتلاه) قال أحمد يريد أنه صدر ما بعد أما الأولى بالاسم وما بعد أما الثانية بالفعل ومقصود السائل أن يكونا مصدرين إما باسمين أو بفعلين ۞ عاد كلامه أجاب عن السؤال بأن التقدير بعد الثانية اسم واقع مبتدأ مخبرا عنه بقوله فيقول ربى أهانن حتى يوازن الأول فإنه كذلك (قال فإن قلت هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه وأجاب بأن البسط إكرام من الله تعالى للعبد من غير سابقة) قيد زائد تفريعا على أصله الفاسد والحق أن كل نعمة من الله كذلك ۞ عاد كلامه (قال) وأما التقدير فليس بإهانة فإن ترك التفضل لا يعد إهانة إلا تراك تقول أكرمن زيد بالهدية ولا تقول أهاننى ولا أكرمنى إذا لم يهد إليك شيئا (قال فإن قلت فقد قال فأكرمه فصحح إكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ربى أكرمن وذمه عليه كما أنكر قوله ربى أهانن وذمه عليه وأجاب بأمرين أحدهما أن المنكر عليه اعتقاده أن إكرام الله تعالى له عن استحقاق لمكان نسبه وحسبه وجلالة قدره كما كانوا يعتقدون الاستحقاق بذلك على الله كله كما قال: إنما أوتيته على علم) قال أحمد والقدرى لا يبعد عن ذلك لأنه يرى أن النعيم الأعظم فى الآخرة حق للعبد على الله واجب له عليه ليس بتفضل ولا ممنون ۞ عاد كلامه (قال الثانى أن سياق الإنكار والذم إلى قوله ربى أهانن بمعنى أنه إذا تفضل عليه بالخير اعتراف بتفضيل الله تعالى وإذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الإكرام فى قوله فأكرمه) قال أحمد كأنه يجعل قوله فأكرمه توطئة لذمه على قوله أهانن لا أنه مذموم معه ۞ عاد كلامه قوله تعالى ۞ كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام

ٱلْمِسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝
وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِاىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ يَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ

(كلا) ردع الإنسان عن قوله ۝ ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه أكل الأنعام ويحبونه فيشحون به ۝ وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء ۝ وقرئ تحاضون أى يحض بعضكم بعضاً وفى قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة (أكلا لما) ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة إذا كان لما يتبع الذم ربه ۝ فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا يعنى أنهم يجمعون فى أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم فى الأكل بين حلاله وحرامه ويجوز أن يذم الوارث الذى ظفر بالمال سهلا مهلا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف فى إنفاقه ويأكله أكلا واسعاً جامعاً بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون (حبا جما) كثيراً شديداً مع الحرص والشره ومنع الحقوق (كلا) ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم ۝ ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة ويومئذ بدل من (إذا دكت الأرض) وعامل النصب فيهما يتذكر (دكا دكا) دكا بعد دك كقوله حسبته بابا بابا أى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا (فإن قلت) ما معنى إسناد المجىء إلى الله والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان فى جهة (قلت) هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله فى ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم (صفاً صفاً) ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفاً بعد صف محدقين بالجن والإنس (وجىء يومئذ بجهنم) كقوله وبرزت الجحيم وروى أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف فى وجهه حتى اشتد على أصحابه فأخبروا علياً رضى الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبله بين عاتقيه ثم قال يا نبى الله بأبى أنت وأمى ما الذى حدث اليوم وما الذى غيرك فتلا عليه الآية فقال على له كيف يجاء بها قال يجىء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ۝ أى يتذكر ما فرط فيه أو يتعظ (وأنى له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف وإلا فبين يوم يتذكر وبين وأنى له الذكرى تناف وتناقض (قدمت لحياتى) هذه وهى حياة الآخرة أو وقت حياتى فى الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان فى أيديهم ومعلقا بقصدهم وإرادتهم وأنهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصى كمذهب أهل الأهواء والبدع وإلا فما معنى التحسر ۝ قرئ بالفتح يعذب ويوثق وهى قراءة

المسكين الآية (قال فيه إنما أضرب عن الأول للإشعار بأن هنا ما هو أشر من القول الأول الخ قال أحمد وفى هذه الآية إشعار بإبطال الجواب الثانى من جوابى الزمخشرى فإنه جعل قوله أكرمن غير مذموم ودلت هذه الآية على أن المعنى أن للمكرم بالبسط بالرزق حالتين إحداهما اعتقاده أن إكرام الله عن استحقاق الثانية أشد من الأولى وهى أن لا يعترف بالإكرام أصلا لأنه يفعل أفعال جاحدى النعمة فلا يؤدى حق الله الواجب عليه فى المال من إطعام اليتيم والمسكين عاد كلامه (قال) وقوله وتأكلون التراث أكلا لما يجوز فيه وجوه منها أنهم يجمعون إلى نصيبهم من الميراث نصيب غيرهم الخ

(قوله لما يتبع الذم ربه) يروى أهله (قوله كمذهب أهل الأهواء) إن كان المراد بهم أهل السنة لقولهم بأن الله هو الخالق لفعل العبد فهم يثبتون له الاختيار فيه لأنهم يثبتون له الكسب فيه وإن كان المراد بهم من قال بالجبر المحض وهم القائلون بأن العبد لا دخل له فى فعله أصلا بل هو كالريشة المعلقة فى الهواء فكلامه مسلم لظهور بطلان مذهبهم

إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۝

سورة البلد مكية وآياتها ٢٠ نزلت بعد قٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ

رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبي عمرو أنه رجع إليها فى آخر عمره . والضمير للإنسان الموصوف وقيل هو أبى بن خلف أى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده أو لا يحمل عذاب الإنسان أحد كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى أى لا يتولى عذاب الله أحد لأن الأمر لله وحده فى ذلك اليوم أو للإنسان أى لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه (ياأيتها النفس) على إرادة القول أى يقول الله للمؤمن ياأيتها النفس إما أن يكلمه إكراماله كما كلم موسى صلوات الله عليه أو على لسان ملك و (المطمئنة) الآمنة التى لا يستفزها خسوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة أو المطمئنة إلى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الأول قراءة أبىّ بن كعب ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة (فإن قلت) متى يقال لها ذلك (قلت) إما عند الموت وإما عند البعث وإما عند دخول الجنة على معنى ارجعى إلى موعد ربك (راضية) بما أوتيت (مرضية) عند الله (فادخلى فى عبادى) فى جملة عبادى الصالحين وانتظمى فى سلكهم (وادخلى جنتى) معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى أجساد عبادى وقرأ ابن عباس فادخلى فى عبدى وقرأ ابن مسعود فى جسد عبدى وقرأ أبىّ ائتى ربك راضية مرضية ادخلى فى عبدى وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة فقال اللهم إن كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحوله والظاهر . العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة

﴿ســـورة البلد مكية وهى عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الإنسان خلق مغموراً فى مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) يعنى ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيداً ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم فى عداوته أو سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده بفتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد يعنى وأنت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وذلك أن الله فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء . قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلى ولن تحل لأحد بعدى ولم تحل لى إلا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد فقال العباس يارسول الله إلا الإذخر فإنه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم إلا الإذخر (فإن قلت) أين نظير قوله وأنت حل فى معنى الاستقبال (قلت) قوله عزوجل إنك ميت وإنهم ميتون ومثله واسع

﴿القول فى سورة البلد﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد (قال) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الإنسان خلق مغموراً الخ

(قوله فإنه لقيوننا) القيون جمع قين وهو الحداد كذا فى الصحاح

فِى كَبَدٍ ۞ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۞ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۞ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۞ أَلَمْ نَجْعَل
لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۞ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ ۞

فى كلام العباد تقول لمن تعده الإكرام والحباء أنت مكرم محبو وهو فى كلام الله واسع لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على أنه للاستقبال وأن تفسيره بالحال محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح ۞ (فإن قلت) ما المراد بوالد وما ولد (قلت) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده أقسم ببلده الذى هو مسقط رأسه وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسمعيل وبمن ولده وبه (فإن قلت) لم نكر (قلت) للإبهام المستقل بالمدح والتعجب (فإن قلت) هلا قيل ومن ولد (قلت) فيه ما فى قوله والله أعلم بما وضعت أى بأى شىء وضعت يعنى موضوعا عجيب الشأن وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد ۞ والكبد أصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو أكبد إذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل فى كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وأصله كبده إذا أصاب كبده قال لبيد

يا عين هلا بكيت أربد إذ ۞ قمنا وقام الخصوم فى كبد

أى فى شدة الأمر وصعوبة الخطب ۞ والضمير فى (أيحسب) لبعض صناديد قريش الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى أيظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه ۞ ثم ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم وأنه يقول (أهلكت مالا لبدا) يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالى ومفاخر (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارا بينهم يعنى أن الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز أن يكون الضمير للإنسان على أن يكون المعنى أقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه أنك حل به مما يقترفه أهله من المآثم متحرج برىء فهو حقيق بأن أعظمه بقسمى به لقد خلقنا الإنسان فى كبد أى فى مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذى يحسب أن لن يقدر عليه أحد هو أبو الأشد وكان قويا يبسط له الأديم العكاظى فيقوم عليه ويقول من أزالنى عنه فله كذا فلا ينزع إلا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة ۞ لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولسانا) يترجم عن ضمائره (وشفتين) يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك (وهديناه النجدين) أى طريقى الخير والشر وقيل الثديين (فلا اقتحم العقبة) يعنى فلم يشكر تلك الأيادى والنعم بالأعمال الصالحة من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين ثم بالإيمان الذى هو أصل كل طاعة وأساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه هو الإنفاق المرضى النافع عند الله لا أن يهلك مالا لبدا فى الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم الآية (فإن قلت) قلما تقع لا الداخلة على الماضى إلا مكررة ونحو قوله فأى أمر سيئ لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر فى الكلام الأفصح (قلت) هى متكررة فى المعنى لأن معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن ۞ والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما فى ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان ۞ وفك الرقبة تخليصها من رق أو غيره وفى الحديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على عمل يدخلنى الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال أو ليسا سواء قال لا إعتاقها أن تنفرد بعتقها وفكها أن تعين فى تخليصها من قود أو غرم والعتق والصدقة من أفاضل

(قوله بل غمط النعم) أى استحقرها

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ۝

سورة الشمس مكية وآياتها ١٥ نزلت بعد القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝

الأعمال وعن أبى حنيفة رضى الله عنه أن العتق أفضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة أفضل والآية أدل على قول أبى حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبى فى رجل عنده فضل نفقة أيضعه فى ذى قرابة أو تعتق رقبة قال الرقبة أفضل لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقرئ فك رقبة أو إطعام على هى فك رقبة أو إطعام وقرئ فك رقبة أو أطعم على الإبدال من اقتحم العقبة وقوله (وما أدراك ما العقبة) اعتراض ومعناه أنك لم تدركنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله ۝ والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب فى النسب يقال فلان ذو قرابتى وذو مقربتى وترب إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى أى صار ذا مال كالتراب فى الكثرة كما قيل أثرى وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ذا متربة الذى مأواه المزابل ووصف اليوم بذى مسغبة نحو مايقول النحويون فى قولهم هم ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه بإطعام ومعناه أو إطعام فى يوم من الأيام ذا مسغبة (ثم كان من الذين آمنوا) جاء بثم لتراخى الإيمان وتباعده فى الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا فى الوقت لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به ۝ والمرحمة الرحمة أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان والثبات عليه أو بالصبر عن المعاصى وعلى الطاعات والمحن التى يبتلى بها المؤمن وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين أو بما يؤدى إلى رحمة الله ۝ الميمنة والمشأمة اليمين والشمال أو اليمن والشؤم أى الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن ۝ قرئ موصدة بالواو والهمزة من أوصدت الباب وآصدته إذا أطبقته وأغلقته وعن أبى بكر بن عياش لنا إمام يهمز مؤصدة فأشتهى أن أسد أذنى إذا سمعته. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة

﴿سورة الشمس مكية وهى خمس عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ضحاها ضوؤها إذا أشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكأن وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وقرب أن ينتصف (إذا تلاها) طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك فى النصف الأول من الشهر وقيل إذا استدار فتلاها فى الضياء والنور (إذا جلاها) عند انتفاخ النهار وانبساطه لأن الشمس تنجلى فى ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقولهم أصبحت باردة يريدون الغداة وأرسلت يريدون السماء إذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق (فإن قلت) الأمر فى نصب إذا معضل لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع فى العطف على عاملين فى نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو وإما أن تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه (قلت) الجواب فيه أن واو القسم مطرح معها إبراز الفعل إطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه

(قوله عند انتفاخ النهار) فى الصحاح انتفخ النهار أى علا

وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۞ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۞ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۞ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۞ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ

الواو فحقهن أن يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالداً فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما ۞ جعلت ما مصدرية فى قوله وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فألهمها وما يؤدى إليه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذى سواها وفى كلامهم سبحان ما سخركن لنا (فإن قلت) لم نكرت النفس (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس والثانى أن يريد كل نفس وينكر للتكثير عن الطريقة المذكورة فى قوله علمت نفس ۞ ومعنى إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما وأن أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه عن اختيار ما شاء منهما بدليل قوله (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الإنماء والإعلاء بالتقوى والتدسية النقص والإخفاء بالفجور وأصل دسى دسس كما قيل فى تقضض تقضى وسئل ابن عباس

﴿القول فى سورة الشمس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها (قال) فيه جعلها بعضهم مصدرية فى الثلاث وليس بالوجه الخ ۞ قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها (قال فيه معنى إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما وأن أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه الخ) قال أحمد بين فى هذا الكلام نوعين من الباطل أحدهما فى قوله معنى إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما وأن أحدهما حسن والآخر قبيح والذى يكنه فى هذه الكلمات اعتقاد أن الحسن والقبح مدركان بالعقل ألا ترى إلى قوله إعقالها أى خلق العقل الموصل إلى معرفة حسن الحسن وقبح القبيح وإنما اغتنم فى هذا فرصة إشعار الإلهام بذلك فإنه ربما يظن أن إطلاقه على العلم المستفاد من السمع بعيد والذى يقطع دابر هذه النزغة أنا وإن قلنا إن الحسن والقبح لا يدركان إلا بالسمع لأنهما راجعان إلى الأحكام الشرعية التى ليست عندنا بصفات الأفعال فإنا لا نلغى حظ العقل من إدراك الأحكام الشرعية بل لابد فى علم كل حكم شرعى من المقدمتين عقلية وهى الموصلة إلى العقيدة وسمعية مفرعة عليها وهى الدالة على خصوص الحكم على أن تعلقه بظاهر لو سلم ظهوره فى قاعدة قطعية بمعزل عن الصواب ۞ النزغة الثانية وهى التى كشف القناع فى إبرازها أن التزكية وقسيمها ليسا مخلوقين لله تعالى بل لشركائه المعتزلة وإنما نعارضه فى الظاهر من فحوى الآية على أنه لم يذكر وجهاً فى الرد على من قال إن الضمير لله تعالى وإنما اقتصر على الدعوى مقرونة بسفاهته على أهل السنة فنقول لامراء فى احتمال عود الضمير إلى الله تعالى وإلى ذى النفس لكن عوده إلى الله تعالى أولى لوجهين أحدهما أن الجمل سيقت سياقة واحدة من قوله والسماء وما بناها وهلم جرا والضمائر فيما تقدم هذين الفعلين عائدة إلى الله تعالى بالاتفاق ولم يجر لغير الله تعالى ذكر وإن قيل بعود الضمير إلى غيره فإنما يتمحل لجوازه بدلالة الكلام ضمناً واستلزاما لا ذكراً ونطقاً وما جرى ذكره أولى أن يعود الضمير عليه الثانى أن الفعل المستعمل فى الآية التى استدل بها فى قوله قد أفلح من تزكى تفعل ولاشك أن تفعل مطاوع فعل فهذا بأن يدل لنا أولى من أن يدل له لأن الكلام عندنا نحن قد أفلح من زكاه الله فتزكى وعنده الفاعل فى الاثنين واحد أضاف إليه الفعلين المختلفين ويحتاج فى تصحيح الكلام إلى تعديد اعتبار وجهه ونحن عنه فى غنية على أنا لا نأبى أن تضاف التزكية والتدسية إلى العبد على طريقة أنه الفاعل كما يضاف إليه الصلاة والصيام وغير ذلك من

(عوامل على الفعل) لعله عمل الفعل (قوله فجعله فاعل التزكية) مبنى على مذهب المعتزلة من أن العبد هو الفاعل لأفعاله الاختيارية وذهب أهل السنة إلى أن الفاعل لها فى الحقيقة هو الله تعالى كما تقرر فى علم التوحيد

وَسُقْيَاهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝

سورة الليل مكية وآياتها ٢١ نزلت بعد الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝

عنه فقال أتقرأ قد أفلح من تزكى وقد خاب من حمل ظلما وأما قول من زعم أن الضمير فى زكى ودسى لله تعالى وأن تأنيث الراجع إلى من لأنه فى معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يورّكون على الله قدراً هو برىء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم فى تمحل فاحشة ينسبونها إليه (فإن قلت) فأين جواب القسم (قلت) هو محذوف تقديره ليدمدمنّ الله عليهم أى على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحاً وأما قد أفلح من زكاها فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شىء ۝ الباء فى (بطغواها) مثلها فى كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة فى فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واواً فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعنى فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى فى المصادر (إذ انبعث) منصوب بكذبت أو بالطغوى و (أشقاها) قدار بن سالف ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك فى أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها كما تقول أفاضلهم ۝ والضمير فى (لهم) يجوز أن يكون للأشقين والتفضيل فى الشقاوة لأن من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ و (ناقة الله) نصب على التحذير كقولك الأسد الأسد والصبى الصبى بإضمار ذروا أو احذروا عقرها (وسقياها) فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا (فدمدم عليهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم (بذنبهم) بسبب ذنبهم وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر (فسوّاها) الضمير للدمدمة أى فسوّاها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) أى عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقى بعض الإبقاء ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى فسوّاها بالأرض أو فى الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفى مصاحف أهل المدينة والشأم فلا يخاف وفى قراءة النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يخف . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شىء طلعت عليه الشمس والقمر

﴿سورة والليل مكية وهى إحدى وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ المغشى إما الشمس من قوله والليل إذا يغشاها وإما النهار من قوله يغشى الليل النهار وإما كل شىء يواريه بظلامه من قوله إذا وقب (تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس (وما خلق) والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء ۝ وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم

أفعال الطاعات لأن له عندنا اختياراً وقدرة مقارنة وإن منعنا البرهان العقلى الدال على وحدانية الله تعالى ونفى الشريك أن نجعل قدرة العبد مؤثرة خالقة فهذا جوابنا على الآية تنزلا وإلا فلم يذكر وجهاً من الرد فيلزمنا الجواب عنه وأما جوابنا عن سفاهته على أهل السنة فالسكوت والله الموفق ۝ عاد كلامه (قال) وجواب القسم محذوف تقديره ليدمدمن عليهم أى على أهل مكة الخ

(قوله الذين يورّكون على الله قدراً) فى الصحاح ورّك فلان ذنبه على غيره إذا قرفه به اه أى اتهمه ومراده بالقدرية أهل السنة حيث قالوا كل ما وقع فى الكون هو بقضائه تعالى وقدره خيراً كان أو شراً وبخلقه تعالى وإرادته قبيحاً كان أو حسنا من أفعال العباد أو من غيرها كما تقرر فى التوحيد

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٭ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٭ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ٭ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٭ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ٭ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ٭ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ٭ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ٭ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ٭ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ٭ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ٭ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ٭ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ٭ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ٭

والذكر والأنثى وقرأ ابن مسعود والذى خلق الذكر والأنثى وعن الكسائى وماخلق الذكر والأنثى بالجر على أنه بدل من محل ماخلق بمعنى وماخلقه الله أى ومخلوق الله الذكر والأنثى وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم لانفراده بالخلق إذ لاخالق سواه وقيل إن الله لم يخلق خلقا من ذوى الأرواح ليس بذكر ولا أنثى والخنثى وإن أشكل أمره عندنا فهو عندالله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الأنوثة فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكرا ولا أنثى وقد لقى خنثى مشكلا كان حانثا لأنه فى الحقيقة إما ذكر أو أنثى وإن كان مشكلا عندنا (شتى) جمع شتيت أى إن مساعيكم أشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على أثره (أعطى) يعنى حقوق ماله (واتقى) الله فلم يعصه (وصدق بالحسنى) بالخصلة الحسنى وهى الإيمان أو بالملة الحسنى وهى ملة الإسلام أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة (فسنيسره لليسرى) فسنهيؤه لها من يسر الفرس للركوب إذا أسرجها وألجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه وأهونها من قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام (واستغنى) وزهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لأنه فى مقابلة واتقى (فسنيسره للعسرى) فسنخذله ونمنعه الألطاف حتى تكون الطاعة أعسر شىء عليه وأشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء أو سمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر وطريقة الشر العسرى لأن عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقى الجنة والنار أى فسنهديهما فى الآخرة للطريقين وقيل نزلتا فى أبى بكر رضى الله عنه وفى أبى سفيان بن حرب (ومايغنى عنه) استفهام فى معنى الإنكار أو نفى (تردى) تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت أو تردى فى الحفرة إذا قبر أو تردى فى قعر جهنم (إن علينا للهدى) إن الإرشاد إلى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وإن لنا للآخرة والأولى) أى ثواب الدارين للمهتدى كقوله وآتيناه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ٭ وقرأ أبو الزبير تتلظى (فإن قلت) كيف قال (لايصلاها إلا الأشقى ٭ وسيجنبها الأتقى) وقد علم أن كل شقى يصلاها وكل تقى يجنبها لايختص بالصلى أشقى

﴿القول فى سورة الليل﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ٭ قوله تعالى وماخلق الذكر والأنثى (قال فيه) يدل على أن الخنثى المشكل عندنا لابد أن يكون عندالله من أحد القبيلين ولا يكون عنده نوعا ثالثا الخ ٭ قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى (قال فيه التيسير لليسرى خلق الألطاف الخ) قال أحمد لايطيل لسانه ههنا على أهل السنة ولكن قصره الحق فتراه يؤول الكلام بل يبطله لأنه يحمله مالا يحتمله وعلى كلامه فى أمثالها روعة السارق الخائف ٭ قوله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى لايصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الأتقى الذى الخ (قال فإن قلت كيف قال لايصلاها إلا الأشقى وسيجنبها الأتقى وقد علم أن كل شقى يصلاها الخ) قال أحمد لاشك أن السائل بنى سؤاله على التمسك بمفهوم الآية لورودها بصيغة التخصيص فحاصل جواب الزمخشرى أن التخصيص ههنا لفائدة أخرى غير النفى عماعدا المخصص وتلك الفائدة المقابلة وحيث تمحض لك السؤال والجواب فهو يلاحظ نظر الشافعى رحمه الله فى قوله تعالى قل لاأجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه فإنه لم يقل بمفهوم حصرها وحملها على أن الحصر لفائدة المقابلة بالرد لأحكام الجاهلية لالنفى ماعدا المحصور على أن الزمخشرى إنما ضيق عليه الخناق

(قوله واجب علينا بنصب الدلائل) وجوب شىء على الله تعالى مذهب المعتزلة ولايجب عليه شىء عند أهل السنة ولكن شأن الكريم تأكيد الوعد

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۞ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۞ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۞

سورة الضحى مكية وآياتها ١١ نزلت بعد الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالضُّحَى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۞ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ

الأشقياء ولا بالنجاة أتقى الأتقياء وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارا بعينها مخصوصة بالأشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الأتقى فقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة (قلت) الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ فى صفتيهما المتناقضتين فقيل الأشقى وجعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق إلا له وقيل الأتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له وقيل هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر رضى الله عنه (يتزكى) من الزكاء أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة (فإن قلت) ما محل يتزكى (قلت) هو على وجهين إن جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لأنه داخل فى حكم الصلة والصلاة لا محل لها وإن جعلته حالا من الضمير فى يؤتى فمحله النصب (ابتغاء وجه ربه) مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أى ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه كقولك ما فى الدار أحد إلا حمارا وقرأ يحيى بن وثاب إلا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما فى الدار أحد إلا حمار وأنشد فى اللغتين قول بشر بن أبى حازم   أضحت خلاء قفارا لا أنيس بها ۞ إلا الجآذر والظلمان تختلف

وقول القائل   وبلدة ليس بها أنيس ۞ إلا اليعافير وإلا العيس   ويجوز أن يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لأن معنى الكلام لا يؤتى ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

﴿سورة والضحى مكية وهى إحدى وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حتى ترتفع الشمس وتلقى شعاعها وقيل إنما خص

فى هذه الآية حتى التزم ورود السؤال المذكور التفاته إلى قاعدته الفاسدة وحذره أن تنقض ويأبى الله إلا نقضها ورفضها وإذا نزلت الآية على قواعد أهل السنة وضح لك ما قلته فتقول المصلى فى اللغة أن يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا إلى شاة فيدسوها وسطه بين أطباقه فأما ما يشوى فوق الجمر أو على المقلى أو على التنور فليس بمصلى وهذا التفسير بعينه نص عليه الزمخشرى ونقله عن أهل اللغة فى سورة الغاشية أيضا وأنا وقفت عليه فى كتبهم فإذا عرفت معنى التصلية لغة وأنها أشد أنواع الإحراق بالنار وفى علمك أن الناس عند أهل السنة ثلاثة أصناف مؤمن صالح فائز ومؤمن عاص وكافر وأن المؤمن الفائز يمر على النار فيطفىء نوره لهبها ولا يؤلم بمسها البتة وإنما يردها تحلة القسم والعاصى إن شاء الله تعذيبه ومجازاته فإنما يعذب على وجه النار فى الطبقة الأولى باتفاق حتى أن منهم من تبلغ النار إلى كعبه وأشدهم من تبلغ النار إلى موضع سجوده فيحبسه ولا يعذب أحد من المؤمنين بين أطباقها البتة بوعد الله تعالى والكافر هو المعذب بين أطباقها تبين لك أن النار لا يصلاها أى يعذب بين أطباقها كما علمت تفسيره فى اللغة إلا الكافر وهو الأشقى لأن المؤمن العاصى لا يبلغ مبلغه فى الشقاء وأن المؤمن الفائز وهو الأتقى بالنسبة إلى المؤمن العاصى يجنب النار بالكلية لأن وروده تحلة القسم لا يصل إليه مسها ولا ألمها وأن المؤمن العاصى الذى ليس بالأتقى ولا بالأشقى لا يصلاها ولا يجنبها بالكلية لأن وروده تحلة القسم لا يعذب فيها إلا بالصلى فهذا أحسن ما حملت الآية عليه لكن إنما ينزل على جادة السنة وأما الزمخشرى فينحرف عنها فلا جرم أنه فى عهدة الجواب يفكر ويقدر والله أعلم

(قوله فقد علم أن أفسق المسلمين) لعله وقد (قوله أضحت خلاء قفارا) يروى خلايا وهو جمع خلية (قوله إلا الجآذر والظلمان) فى الصحاح الجوذر ولد البقرة الوحشية والجمع جآذر وفيه الظليم الذكر من النعام والجمع ظلمان وفيه اليعافير بنوس الظباء وفيه العيس بالكسر الإبل البيض يخالط بياضها شقرة

الْأُولَىٰ ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۞ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَائِلًا

وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التى كلم فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا لقوله وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد بالضحى النهار بيانه قوله أن يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا (سجى) سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والأصوات فيه وسجا البحر سكنت أمواجه وطرف ساج ساكن فاتر (ماودعك) جواب القسم ومعناه ماقطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعنى ماتركك قال

وثم ودعنا آل عمرو وعامر ۞ فرائس أطراف المثقفة السمر

والتوديع مبالغة فى الودع لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك روى أن الوحى قد تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال المشركون إن محمداً ودعه ربه وقلاه وقيل أن أم جميل امرأة أبى لهب قالت له يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت ۞ حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف (فإن قلت) كيف اتصل قوله (والآخرة خير لك من الأولى) بما قبله (قلت) لما كان فى ضمن نفى التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحى إليك وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه أخبره إن حاله فى الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية (ولسوف يعطيك ربك فترضى) موعد شامل لما أعطاه فى الدنيا من الفلج والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس فى الدين أفواجا والغلبة على قريظة والنضير وأجلائهم وبث عساكره وسراياه فى بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين فى أقطار الأرض من المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهبهم من كنوز الأكاسرة وما قذف فى قلوب أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الإسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذى لا يعلم كنهه إلا الله قال ابن عباس رضى الله عنهما له فى الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك (فإن قلت) ما هذه اللام الداخلة على سوف (قلت) هى لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك كما ذكرنا فى لأقسم أن المعنى لأنا أقسم وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التأكيد فبقى أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك (فإن قلت) مامعنى الجمع بين حرفى التوكيد والتأخير (قلت) معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما فى التأخير من المصلحة ۞ عدد عليه نعمه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيه وابتداء نشئه ترشيحاً لما أراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره و (ألم يجدك) من الوجود الذى بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى ألم تكن يتيما وذلك أن أباه مات وهو جنين قد

﴿القول فى سورة الضحى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ قوله تعالى والآخرة خير لك من الأولى (قال إن قلت كيف اتصل بما قبله وأجاب بأنه لما كان فى ضمن التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحى إليك الخ) قال أحمد وإخراج أهل الكبائر من النار بشفاعته مضاف إلى ذلك ۞ عاد كلامه (قال) ثم وعده بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وعدا شاملا لجميع ما أعطاه فى الدنيا من الفتوحات والنصر وغير ذلك

(قوله وعامر فرائس أطراف) فى الصحاح فرس الأسد فريسته وافترسها أى دق عنقها اهـ والمثقفة الرماح وتثقيفها تسويتها كما فى الصحاح (قوله من الفلج والظفر) الفلج أى الظهور والفوز والقهر كما يفيده الصحاح (قوله وتهيب الإسلام) أى تخوف كما فى الصحاح أى تخوف الناس من أهل الإسلام (قوله فى لأقسم أن المعنى) قوله لأقسم له لاقسم كما مر فى سورة القيامة (قوله من أول تربية وابتداء) لعله تربيته

فَأَغْنَى ۞ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۞ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۞

سورة الشرح مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۞ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۞

أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبوطالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درّة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحداً فى قريش عديم النظر فآواك ۞ وقرئ فأوى وهو على معنيين أما من أواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول أين آوى هذه الموقسة وإما من أوى له إذا رحمه (ضالا) معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ماكنت تدرى ماالكتاب وقيل ضلّ فى صباه فى بعض شعاب مكة فرده أبوجهل إلى عبدالمطلب وقيل أضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبدالمطلب وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبوطالب ۞ فهداك فعرفك القرآن والشرائع أو فأزال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فإن أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وإن أراد أنه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء وكفى بالنبى نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر (عائلا) فقيراً وقرئ عيلا كما قرئ سيحات وعديما (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقى تحت ظل رمحى وقيل قنعك وأغنى قلبك (فلاتقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفى قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو أن يعبس فى وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث فبأبى وأمى هو ماكهرنى النهر والنهم الزجر عن النبى صلى الله عليه وسلم إذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره وقيل إما أنه ليس بالسائل المستجدى ولكن طالب العلم إذا جاء فلا تنهره ۞ التحديث بنعمة الله شكرها وإشاعتها يريد ماذكره من نعمة الإيواء والهداية والاغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث أقرئه وبلغ ماأرسلت به وعن عبدالله بن غالب أنه كان إذا أصبح يقول رزقنى الله البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا فإذا قيل له ياأبا فراس مثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لاتحدث بنعمة الله وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد به اللطف وأن يقتدى به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن فيه إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى به وفى قراءة على رضى الله عنه فخبر والمعنى أنك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شىء وعلى ماخليت فلا تنس نعمة الله عليك فى هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهو أنه ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله فى أن هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

﴿سورة ألم نشرح مكية وهى ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح وإيجابه فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة

﴿القول فى سورة ألم نشرح﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك

(قوله يقول ابن آوى هذه الموقسة) الموقسة الإبل الجربى من الوقس وهو ابتداء الجرب اه من هامش والذى فى الصحاح يقال وقسه وقسا أى قرفه إن بالبعير لوقسا إذا قارفه شىء من الجرب فهو موقوس (قوله فلا عليك أن تزبره) تزبره أى تزجره وتمنعه أفاده الصحاح

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝

الثقلين جميعا أوحتى احتمل المكاره التى يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم أوفسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم وأزلنا عنه الضيق والحرج الذى يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملىء حكمة وعلما وعن أبى جعفر المنصور أنه قرأ ألم نشرح لك بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء وأشبعها فى مخرجها فظن السامع أنه فتحها ۝ والوزر الذى انقض ظهره أى حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من جهله بالأحكام والشرائع أومن تهالكه على إسلام أولى العناد من قومه وتلهفه ۝ ووضعه عنه أن غفر له أوعلم الشرائع أومهد عذره بعد مابلغ وقرأ أنس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك ۝ ورفع ذكره أن قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب وفى غير موضع من القرآن والله ورسوله أحق أن يرضوه ومن يطع الله ورسوله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفى تسميته رسول الله ونبى الله ومنه ذكره فى كتب الأولين والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به (فإن قلت) أى فائدة فى زيادة لك والمعنى مستقل بدونه (قلت) فى زيادة لك مافى طريقة الإبهام والإيضاح كأنه قيل ألم نشرح لك ففهم أن ثم مشروحا ثم قيل صدرك فأوضح ماعلم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك (فإن قلت) كيف تعلق قوله (فإن مع العسر يسرا) بما قبله (قلت) كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكره ماأنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فإن مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ماخولناك فلا تيأس من فضل الله فإن مع العسر الذى أنتم فيه يسرا (فإن قلت) إن مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر (قلت) أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذى كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة فى التسلية وتقوية القلوب (فإن قلت) مامعنى قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روى مرفوعا أنه خرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين (قلت) هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى مايحتمله اللفظ وأبلغه والقول فى أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرا للأولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها فى النفوس وتمكينها فى القلوب وكما يكرر المفرد فى قولك جاءنى زيد زيد وأن تكون الأولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وإنما كان العسر واحدا لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذى كانوا فيه فهو هو لأن حكمه حكم زيد فى قولك إن مع زيد مالا إن مع زيد مالا وإما أن يكون للجنس الذى يعلمه كل أحد فهو هو أيضا وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فإذا كان الكلام الثانى مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الأول بغير إشكال (فإن قلت) فما المراد باليسرين (قلت) يجوز أن يراد بهما ماتيسر لهم من الفتوح فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم فى أيام الخلفاء وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب (فإن قلت) فما معنى هذا التنكير (قلت) التفخيم كأنه قيل إن مع العسر يسرا عظيما وأى يسر وهو مصحف ابن مسعود مرة واحدة (فإن قلت) فإذا ثبت فى قراءته غير مكرر فلم قال والذى نفسى بيده لو كان العسر فى حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين (قلت) كأنه قصد باليسرين مافى قوله يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران فى الحقيقة

وزرك الذى انقض ظهرك (قال فيه إن قلت مافائدة لك مع أن الإضافة تغنى عنها الخ) قال أحمد وقد تقدم عند الكلام على نظيرها فى قوله قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى قريب من هذا المعنى والله أعلم

(قوله المكاره التى يتعرض لك) لعله تعرض بصيغة الماضى (قوله وما تيسر لهم فى أيام الخلفاء) لعله وما يتيسر بصيغة المضارع

سورة التين مكية وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞

(فإن قلت) فكيف تعلق قوله (فإذا فرغت فانصب) بما قبله (قلت) لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لايخلى وقتا من أوقاته منها فإذافرغ من عبادة ذنبها بأخرى وعن ابن عباس فإذافرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء وعن الحسن فإذا فرغت من الغزو فاجتهد فى العبادة وعن مجاهد فإذا فرغت من دنياك فانصب فى صلاتك وعن الشعبى أنه رأى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا أمر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل أو اشتغاله بمالا يعنيه فى دينه أودنياه من سفه الرأى وسخافة العقل واستيلاء الغفلة، ولقد قال عمر رضى الله عنه إنى لأكره أن أرى أحدكم فارغا سهلا لا فى عمل دنيا ولافى عمل آخرة وقرأ أبو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة (ومن البدع ماروى عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أى فانصب عليا للإمامة ولوصح هذا للرافضى لصح للناصى أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذى هو بغض على وعداوته (وإلى ربك فارغب) واجعل رغبتك إليه خصوصا ولاتسأل إلا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب أى رغب الناس إلى طلب ماعنده عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عنى

(سورة والتين مكية وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۞ أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار المثمرة وروى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت أن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك وقال به سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هى سواكى وسواك الأنبياء قبلى وعن ابن عباس رضى الله عنه هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طورتينا وطورزيتا لأنهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال مابين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لأنها منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون ۞ وأضيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهى البقعة ونحو سينون بيرون فى جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب ۞ والبلد مكة حماها الله ۞ والأمين من أمن الرجل أمانة فهو أمين وقيل أمان كما قيل كرام فى كريم وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين مايؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن فى قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذى أمن ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وماظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذى نودى منه موسى ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه (فى أحسن تقويم) فى أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه ۞ ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمته تلك الخلقة الحسنة القويمة لسوية أن رددناه

(القول فى سورة والتين) (بسم الله الرحمن الرحيم) ۞ قوله تعالى لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين (قال فيه) خلقناه فى أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه الخ

(قوله هو بغض علىّ وعداوته) فى الصحاح نصبت لفلان نصبا إذا عاديته

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝

سورة العلق مكية وآياتها ١٩ وهى أول مانزل من القرءان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝

أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل وحسن الصورة والشكل حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شىء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرأ عبد الله أسفل السافلين (فإن قلت) فكيف الاستثناء على المذهبين (قلت) هو على الأول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثانى منقطع يعنى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم ۝ (فإن قلت) (فما يكذبك) من المخاطب به (قلت) هو خطاب الإنسان على طريقة الالتفات أى فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل يعنى أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب فأى شىء يضطرك إلى أن تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء ۝ والباء مثلها فى قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوى ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر لاترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الإنسان على هذا كله لم يعجز عن إعادته فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم (أليس الله بأحكم الحاكمين) وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين مادام فى دار الدنيا وإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة

﴿ سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ عن ابن عباس ومجاهد هى أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول مانزل ثم سورة القلم ۝ محل (باسم ربك) النصب على الحال أى اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ (فإن قلت) كيف قال (خلق) فلم يذكر له مفعولا ثم قال (خلق الإنسان) (قلت) هو على وجهين إما أن لايقدر له مفعول وأن يراد أنه الذى حصل منه الخلق واستأثر به لاخالق سواه وإما أن يقدر ويراد خلق كل شىء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله خلق الإنسان تخصيص للإنسان بالذكر من بين مايتناوله الخلق لأن التنزيل اليه وهو أشرف ماعلى الأرض ويجوز أن يراد الذى خلق الإنسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الإنسان فقيل الذى خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الإنسان تفخيما لخلق الإنسان ودلالة على عجيب فطرته ۝ (فإن قلت) لم قال (من علق) على الجمع وإنما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة (قلت) لأن الإنسان فى معنى الجمع كقوله إن الإنسان لفى خسر (الأكرم) الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التى لاتحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهى وإطراحهم الأوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الأكرم (الذى علم

(قوله وتشن جلده) فى الصحاح التشنن التشنج واليبس فى جلد الإنسان والبضاضة رقة الجلد ورخوصته
(قوله فمشيه دليف) أى مشى رويد متقارب الخطو (قوله وشهامته خرف) لعله خوف

ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۞ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۞ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۞
أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۞ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۞ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۞ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۞ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۞ سَنَدْعُ

بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) فدلّ على كمال كرمه بأنه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولاهي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به ولبعضهم فى صفة القلم

وروافم رقش كمثل اراقم ۞ قطف الخطا نيالة أقصى المدى
سود القوائم مايجد مسيرها ۞ إلا إذا لعبت بها بيض المدى

وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه (أن رآه) ان رأى نفسه يقال فى افعال القلوب رأيتنى وعلمتنى وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين و(استغنى) هو المفعول الثانى (إن إلى ربك الرجعى) واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديداً له وتحذيراً من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت فى أبى جهل وكذلك (أرأيت الذى ينهى) وروى أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم مافعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء إبقاء عليهم وروى عنه لعنه الله أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فوالذى يحلف به لئن رأيته توطأت عنقه فجاء ثم نكص على عقبيه فقالوا له مالك ياأبا الحكم فقال إن بينى وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت أرأيت الذى ينهى ومعناه أخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله أو كان آمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد (فإن قلت) مامتعلق أرأيت (قلت) الذى ينهى مع الجملة الشرطية وهما فى موضع المفعولين (فإن قلت) فأين جواب الشرط (قلت) هو محذوف تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وإنما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى (فإن قلت) فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط (قلت) كما صح فى قولك إن أكرمتك أتكرمنى وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه (فإن قلت) فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعول أرأيت (قلت) هى زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة (كلا) ردع لأبى جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وأمره بعبادة اللات ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار والسفع القبض على الشىء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدى كرب ۞ قوم إذا يقع الصريخ رأيتهم ۞ من بين ملجم مهره أو سافع وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود لأسفعا وكتبتها فى المصحف بالألف على حكم الوقف ولما علم أنها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الإضافة (ناصية) بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهى نكرة لأنها وصفت

﴿القول فى سورة اقرأ﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى إن الإنسان ليطغى ان رآه استغنى (قال) الرؤية ههنا من رؤية القلب وذلك على ذلك أنها لو كانت بمعنى الأبصار لامتنع الخ

الزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝

سورة القدر مكية وآياتها ٥ نزلت بعد عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝

فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ۝ ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازى وهما فى الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ماليس فى قولك ناصية كاذب خاطئ ۝ والنادى المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون والمراد أهل النادى كما قال جرير : ۝ لهم مجلس صهب السبال أذلة ۝ وقال زهير : ۝ وفيهم مقامات حسان وجوههم ۝ والمقامة المجلس روى أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ وهو يصلى فقال ألم أنهك فأغاظ له رسول الله ﷺ فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت ۝ وقرأ ابن أبى عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية فى كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبنى وكأنه نسب إلى الزبن ثم غير للنسب كقولهم إمسى وأصله زبانى فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبى صلى الله عليه وسلم لودعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع لأبى جهل (لاتطعه) أى اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلاتطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة (واقترب) وتقرب إلى ربك وفى الحديث أقرب مايكون العبد إلى ربه إذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الأجر كأنما قرأ المفصل كله

﴿سورة القدر مختلف فيها وهى خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ عظم القرآن من ثلاثة أوجه أحدها أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصا به دون غيره والثانى أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذى أنزل فيه روى أنه أنزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وعن الشعبى المعنى إنا ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر واختلفوا فى وقتها فأكثرهم على أنها فى شهر رمضان فى العشر الأواخر فى أوتارها وأكثر القول أنها السابعة منها ولعل الداعى إلى إخفائها أن يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وأن لايتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرطوا فى غيرها ۝ ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها من قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالى (وما أدراك ما ليلة القدر) يعنى ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ۝ ثم بين ذلك بأنها خير من ألف شهر وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية مايوجد فيها من المصالح الدينية التى ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر فى تخصيص هذه المدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى وقيل إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد (تنزل) إلى السماء الدنيا وقيل إلى الأرض (والروح) جبريل وقيل خلق من الملائكة لاتراهم الملائكة إلا تلك الليلة (من كل أمر) أى تتنزل من أجل كل أمر

﴿القول فى سورة القدر﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إنا أنزلناه فى ليلة القدر (قال فيه) عظم الله القرآن فيها من ثلاثة أوجه الأول أنه أحال تنزيله إليه وجعله مختصا به الخ

سورة البينة مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد الطلاق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۞ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۞ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۞ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

قضاه الله لتلك السنة إلى قابل وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل إنسان قيل لايلقون مؤمناً ولامؤمنة إلا سلموا عليه فى تلك الليلة (سلام هى) ماهى إلا سلامة أى لايقدر الله فيها إلا السلامة والخير ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة أوماهى إلا سلام لكثرة مايسلمون على المؤمنين ۞ وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

﴿سورة القيمة مكية وقيل مدنية وهى ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم لاننفك مما نحن عليه من ديننا ولانتركه حتى يبعث النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والإنجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب يعنى أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول ثم مافرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر إلا مجىء الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره فى الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقنى الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقاً فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وماغمست رأسك فى الفسق إلا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخاً وإلزاما ۞ وانفكاك الشىء من الشىء أن يزايله بعد التحامه به كالعظم إذا انفك من مفصله والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لايتركونه إلا عند مجىء البينة و (البينة) الحجة الواضحة و (رسول) بدل من البينة وفى قراءة عبدالله رسولا حالا من البينة (صحفاً) قراطيس (مطهرة) من الباطل (فيها كتب) مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه أو تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند (فإن قلت) لم جمع بين أهل الكتاب والمشركين أولا ثم أفرد أهل الكتاب فى قوله (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) (قلت) لأنهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف (وما أمروا) يعنى فى التوراة والإنجيل إلا بالدين الحنيفى ولكنهم حرفوا وبدلوا (وذلك دين القيمة) أى دين

﴿القول﴾ فى سورة القيمة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين» الآيات (قال فيه كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأوثان يقولون قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه الخ

(قوله والبينة الحجة الواضحة) البينة الحجة إلى قوله قيمة فى نسخة بدل والبينة القرآن أولم تأتهم بينة مافى الصحف الأولى ورسول من الله جبريل صلوات الله عليه وهو التالى للصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التى ذكرت فى سورة عبس ولابد من مضاف محذوف وهو الوحى ويجوز أن يراد النبى عليه السلام فإن قلت كيف نسبة تلاوة الصحف المطهرة إليه وهو أمى قلت إذا تلا مثل المذكور فيها كان تاليا لها اه

أُولَـٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ أُولَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ *

سورة الزلزلة مدنية و آياتها ٨ نزلت بعد النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ * إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنسَـٰنُ مَالَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَـٰلَهُمْ * فَمَن

الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة (فإن قلت) ماوجه قوله وما أمروا إلا ليعبدوا الله (قلت) معناه وما أمروا بما فى الكتابين إلا لأجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ ابن مسعود إلا أن يعبدوا * بمعنى بأن يعبدوا قرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والنبيّ والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل * وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب فى جمع جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

﴿سورة الزلزلة مختلف فيها وهى تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (زلزالها) قرئ بكسر الزاى وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس فى الأبنية فعلال بالفتح إلا فى المضاعف (فإن قلت) مامعنى زلزالها بالإضافة (قلت) معناه زلزالها الذى تستوجبه فى الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده ونحوه قولك أكرم التقى إكرامه وأهن الفاسق إهانته تريد مايستوجبانه من الإكرام والإهانة أو زلزالها كله وجميع ماهو ممكن منه * الأثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل أثقالكم جعل مافى جوفها من الدفائن أثقالا لها (وقال الإنسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت مافى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لايؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون (فإن قلت) مامعنى تحديث الأرض والإيحاء لها (قلت) هو مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال مايقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول مالها إلى تلك الأحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات وأن هذا ماكانت الأنبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها (فإن قلت) إذا ويومئذ ماناصبهما (قلت) يومئذ بدل من إذا وناصبهما تحدث ويجوز أن ينتصب إذا بمضمر ويومئذ بتحدث (فإن قلت) أين مفعولا تحدث (قلت) قد حذف أولهما والثانى إخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها إلا أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لاذكر الخلق تعظيما لليوم (فإن قلت) بم تعلقت الباء فى قوله (بأن ربك) (قلت) بتحدث معناه تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث ويجوز أن يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها كما تقول نصحتنى كل نصيحة بأن نصحتنى فى الدين ويجوز أن يكون بأن ربك بدلا من أخبارها كأنه قيل يومئذ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها لأنك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا و (أوحى لها) بمعنى أوحى إليها وهو مجاز كقوله أن نقول له كن فيكون قال * أوحى لها القرار فاستقرت * وقرأ ابن مسعود تنبئ أخبارها وسعيد بن جبير تنبئ بالتخفيف . يصدرون

(قوله جمع ثقل وهو متاع) فى الصحاح الثقل واحد الأثقال مثل حمل وأحمال والثقل بالتحريك متاع المسافر وحشمه (قوله قال أوحى لها) فى الصحاح قال العجاج وحى لها القرار فاستقرت ويروى أوحى لها اه (قوله فقال خذا بطن هرشى) فى الصحاح هرشى ثنية فى طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر ولها طريقان قال الشاعر * خذى أنف هرشى * الخ

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۞

سورة العاديات مكية وآياتها ١١ نزلت بعد العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۞ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۞ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۞ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۞

عن مخارجهم من القبور إلى الموقف (أشتاتا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء أعمالهم وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح ۞ وقرأ ابن عباس وزيد بن على يره بالضم ويحكى أن أعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال: خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه ۞ كلا جانبى هرشى لهن طريق والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء (فإن قلت) حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر (قلت) المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الأشقياء لأنه جاء بعد قوله يصدر الناس أشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

﴿سورة العاديات مختلف فيها وهى إحدى عشر آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ۞ والضبح صوت أنفاسها إذا عدون وعن ابن عباس أنه حكاه فقال أح أح قال عنترة ۞ والخيل تكدح حين تضبح فى حياض الموت ضبحا

وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا أو بالعاديات كأنه قيل والضابحات لأن الضبح يكون مع العدو أو على الحال أى ضابحات (فالموريات) تورى نار الحباحب وهى ما ينقدح من حوافرها (قدحا) قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والإيراء إخراج النار تقول قدح فأورى وقدح فأصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا (فالمغيرات) تغير على العدو

﴿القول فى سورة الزلزلة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ قوله تعالى «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» (قال فيه إن قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر الخ) قال أحمد السؤال مبنى على قاعدتين إحداهما أن حسنات الكافر محبطة بالكفر وهذه فيها نظر فإن حسنات الكافر محبطة أى لا يثاب عليها ولا ينعم وأما تخفيف العذاب بسببها فغير منكر فقد وردت به الأحاديث الصحيحة وقد ورد أن حاتما يخفف الله عنه لكرمه ومعروفه وورد ذلك فى حق غيره كأبى طالب أيضا فحينئذ لحسنات الكافر أثرما فى تخفيف العذاب فيمكن أن يكون المرئى هو ذلك الأثر والله أعلم وأما القاعدة الثانية وهى القول بأن اجتناب الكبائر يوجب تمحيص الصغائر ويكفرها عن المؤمن فمردود عند أهل السنة فإن الصغائر عندهم حكمها فى التكفير حكم الكبائر تكفر بأحد أمرين إما بالتوبة النصوح المقبولة وأما بالمشيئة لا غير ذلك وإما اجتناب الكبيرة عندهم فلا يوجب التكفير للصغيرة فالسؤال المذكور إذا ساقط عن أهل السنة ولكن الزمخشرى التزم الجواب عنه لزومه على قاعدته الفاسدة والله الموفق ﴿القول فى سورة والعاديات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى والعاديات ضبحا الآية (قال أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها الخ) قال أحمد ولم يذكر حكمة الإتيان بالفعل معطوفا على الاسم فنقول إنما عطف أثرن على الاسم الذى هو العاديات وما بعده لأنها أسماء فاعلين تعطى معنى الفعل وحكمة مجىء هذا المعطوف فعلا عن اسم فاعل تصوير هذه الأفعال فى النفس فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف وهو أبلغ من التصوير بالأسماء المتناسقة وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضى وقد تقدمت له شواهد أقربها قول ابن معديكرب

(قوله تورى نار الحباحب) الحباحب اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلا نارا ضعيفة مخافة الضيفان فضربوا به المثل حتى قالوا نار الحباحب لما تقدحه الخيل بحوافرها اه من الصحاح (قوله فأصلد وانتصب) فى الصحاح صلد الزند إذا صوت ولم يخرج نارا وأصلد الرجل أى صلد زنده اه

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۞ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۞ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۞ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۞

(صبحا) فى وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت أو بالنقع أى وسطن النقع الجمع أو فوسطن ملتبسات به (جمعا) من جموع الأعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذى دلّ عليه والعاديات ويجوز أن يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ۞ مالم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد ۞ فمتى ينقع صراخ صادق أى فهيجن فى المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لأن التأثير فيه معنى الإظهار أو قلب ثورن إلى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله وأتوا به وهى مبالغة فى وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا فى الحجر فجاء رجل فسألنى عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب إلى على وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ماقلت فقال ادعه لى فلما وقفت على رأسه قال تفتى الناس بما لاعلم لك به والله إن كانت لأول غزوة فى الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الإبل من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى فإن صحت الرواية فقد استعير الضبح للإبل كما استعير المشافر والحافر للإنسان والشفتان للمهر والثفر للثورة وما أشبه ذلك وقيل الضبح لايكون إلا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الإبل وضبعت إذا مدت أضباعها فى السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة (فإن قلت) علام عطف فأثرن (قلت) على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لأن المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن ۞ الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمى كندة لأنه كند أباه ففارقه وعن الكلبى الكنود بلسان كندة العاصى وبلسان بنى مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعنى أنه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لأن تفريطه فى شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لأن أجل ما أنعم به على الإنسان من مثله نعمة أبويه ثم إن عظمها فى جنب أدنى نعمة الله قليلة ضئيلة (وإنه) وإن الإنسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره وقيل وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (الخير) المال من قوله تعالى إن ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ۞ عقيلة مال الفاحش المتشدد

يعنى وإنه لأجل حب المال وأن إنفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك أو أراد بالشديد القوى وأنه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الأمر وقوى له إذا كان مطيقا له ضابطا أو أراد أنه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض (بعثر) بعث وقرئ بحثر وبحث وبحثر وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ۞ ومعنى حصل جمع فى الصحف أى أظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ۞ ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم لأن ذلك أثر خبره بهم وقرأ أبو السمال إن ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

بأنى لقيت الغول تهوى ۞ بسهب كالصحيفة صحصحان فاضربها بلادهش فخرت ۞ صريعا لليدين وللجران

(قوله صياحا وجلبة) فى الصحاح الجلب والجلبة الأصوات (قوله للمهر والثغر للثورة) الثغر للسباع كالحياء للناقة وربما استعير بغيرها والثورة تأنيث الثور قال الأخطل جزى الله عنا الأعورين ملاحة ۞ وفروة ثغر الثورة المتضاجم وفروة اسم رجل والمتضاجم المعوج الفم اه من هامش (قوله أرى الموت يعتام الكرام) فى الصحاح العيمة المال وأعتام الرجل إذا أخذ العيمة

سورة القارعة مكية وآياتها ١١ نزلت بعد قريش

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلۡقَارِعَةُ ۞ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۞ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۞ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۞ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۞ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۞ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۞

سورة التكاثر مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الكوثر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۞ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۞ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ

﴿سورة القارعة مكية وهى عشر آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة أى تقرع (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار قال جرير

إن الفرزدق ماعلمت وقومه ۞ مثل الفراش غشين نار المصطلى

وفى أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره ۞ وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لأنها ألوان وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها وقرأ ابن مسعود كالصوف ۞ الموازين جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان ۞ وثقلها رجحانها ومنه حديث أبى بكر لعمر رضى الله عنهما فى وصيته لهو إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها فى الدنيا وحق لميزان لا توضع فيه إلا الحسنات أن يثقل وإنما خفت موازين من خفت موازينه لاتباعهم الباطل وخفتها فى الدنيا وحق لميزان لا توضع فيه إلا السيآت أن يخف (فأمه هاوية) من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لأنه إذا هوى أى سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا قال هوت أمه مايبعث الصبح غاديا ۞ وماذا يرد الليل حين يؤوب

فكأنه قيل وأما من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية من أسماء النار وكأنها النار العميقة لهوى أهل النار فيها مهوى بعيدا كما روى يهوى فيها سبعين خريفا أى فمأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لأن الأم مأوى الولد ومفزعه وعن قتادة فأمه هاوية أى فأم رأسه هاوية فى قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوسا (هيه) ضمير الداهية التى دل عليها قوله فأمه هاوية فى التفسير الأول أو ضمير هاوية والهاء للسكت وإذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لا يندرج لئلا يسقطها الادراج لأنها ثابتة فى المصحف وقد أجيز إثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

﴿سورة التكاثر مكية وهى ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ ألهاه عن كذا وأقهاه إذا شغله و (التكاثر) التبارى فى الكثرة والتباهى بها وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف

﴿القول فى سورة القارعة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ قوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث (قال فيه) شبهوا حينئذ بالفراش لكثرتهم وانتشارهم الخ) قوله تعالى فأمه هاوية (قال فيه إذا دعوا على الرجل بالهلكة قالوا هوت أمه الخ) قال أحمد والأول أظهر لأنه مثل معروف كقولهم لأمه الهبل

(قوله يرد الليل) فى الصحاح يؤدى الليل (قوله وأقهاه إذا شغله) مضروب عليه بخط المصنف فى نسخة اه من هامش وفى الصحاح أقهى الرجل من الطعام إذا اجتواه والقهوة الخمر يقال سميت بذلك لأنها تقهى أى تذهب بشهوة الطعام

تَعْلَمُونَ ۞ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۞ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ

فقالت بنوسهم إن البغى أهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثرتهم بنوسهم والمعنى أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات ۞ عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لايعنيكم ولا يجدى عليكم فى دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذى هو أهم وأعنى من كل مهم أو أراد ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم فى طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها إلى أن أتاكم الموت لاهم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعى لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبور عبارة عن الموت قال

لن يخلص العام خليل عشرا ۞ ذاق الضماد أو يزور القبرا وقال: زار القبور أبومالك ۞ فأصبح الأم زوارها

وقرأ ابن عباس أألهاكم على الاستفهام الذى معناه التقرير (كلا) ردع وتنبيه على أنه لاينبغى للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سوف تعلمون) إنذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم ۞ والتكرير تأكيد للردع والإنذار عليهم و (ثم) دلالة على أن الإنذار الثانى أبلغ من الأول وأشد كما تقول المنصوح أقول لك ثم أقول لك لاتفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ماقدامكم من هول لقاء الله وإن هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ۞ ثم كرر التنبيه أيضا وقال (لو تعلمون) محذوف الجواب يعنى لو تعلمون مابين أيديكم علم الأمر اليقين أى كعلمكم ماتستيقنونه من الأمور التى وكلتم بعلمها همكم لفعلتم مالا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال (لترون الجحيم) فبين لهم ماأنذرهم منه وأوعدهم به وقدمر مافى إيضاح الشىء بعد إبهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وأن ماأوعدوا به مالا مدخل فيه الريب وكرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهى مستكرهة (فإن قلت) لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد (قلت) ذاك فى الواو التى ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين ۞ وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية العلم والإبصار (عن النعيم) عن اللهو والتنعم الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه (فإن قلت) ماالنعيم الذى يسئل عنه الإنسان ويعاتب عليه فما من أحد إلا وله نعيم (قلت) هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لايعبأ بالعلم والعمل ولايحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التى لم يخلقها إلا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذاك بمعزل وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى أنه أكل هو وأصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آية

القول فى سورة التكاثر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون (ذكر) فيه مبالغة من وجوه يجمعها ستة أوجه الأول أنه كرر الإنذار الخ

(قوله لن يخلص العام خليل عشرا) الذى فى الصحاح المعاشرة والمخالطة والاسم العشرة، وفيه الضمد بالتحريك الحقد

سورة العصر مكية و آياتها ٣ نزلت بعد الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۞

سورة الهمزة مكية و آياتها ٩ نزلت بعد القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۞ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۞

﴿ســـورة والعصر مكية وهى ثلاث آيات﴾

﴿بسم الرحمن الرحيم﴾ أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر فى مصحف حفصة وقوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولأن التكليف فى أدائها أشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشى كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما فى مروره من أصناف العجائب ۞ والإنسان للجنس ۞ والخسر الخسران كما قيل الكفر فى الكفران والمعنى أن الناس فى خسران من تجاراتهم إلا الصالحين وحدهم لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا فى الخسارة والشقاوة (وتواصوا بالحق) بالأمر الثابت الذى لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

﴿ســـورة الهمزة مكية وهى تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال ۞ وإن أغيب فأنت الهامز اللمزة ۞ وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى يأتى بالأوابد والأضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت فى الأخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فإن ذلك أزجر له وأنكى فيه (الذى) بدل من كل أو نصب على الذم ۞ وقرئ جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر ۞ وقرئ وعدده أى جمع المال وضبط عدده وأحصاه أو جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد إذا كان له عدد وافر من الأنصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعده على فك الإدغام نحو ضننوا (أخلده)

﴿القول فى ســـورة الهمزة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة (قال المراد بالهمزة المكثر من الطعن على الناس والقدح فيهم الخ) قال أحمد وما أحسن مقابلة الهمزة اللمزة بالحطمة فإنه لما وسمه بهذه السمة بصيغة أرشدت إلى أنها راسخة فيه ومتمكنة منه أتبع المبالغة بوعيده بالنار التى سماها بالحطمة لما يأتى فيها وسلك فى تعيينها صيغة مبالغة على وزن الصيغة التى ضمنها الذنب حتى يحصل التعادل بين الذنب والجزاء فهذا الذى ضرى بالذنب

(قوله أعراض الناس والغض منهم) فى الصحاح غض منه إذا وضعه ونقص من قدره
(قوله الذى يأتى بالأوابد) فى الصحاح جاء فلان بآبدة أى بداهية يبقى ذكرها على الأبد

كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۞ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۞ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۞ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۞

سورة الفيل مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الكافرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۞ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۞ وَأَرْسَلَ

وخلده بمعنى أى طول المال أمله ومناه الامانى البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب أن المال تركه خالدا فى الدنيا لايموت أو يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله أبقاه حيا أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه وروى أنه كان للأخنس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن الحسن أنه عاد موسرا فقال ماتقول فى ألوف لم أفتدبها من لئيم ولاتفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال إذن تدعه لمن لايحمدك وترد على من لايعذرك (كلا) ردع له عن حسبانه ۞ وقرئ لينبذان أى هو وماله ولينبذن بضم الذال أى هو وأنصاره ولينبذنه (فى الحطمة) فى النار التى من شأنها أن تحطم كل مايلقى فيها ويقال للرجل الأكول إنه لحطمة وقرئ الحاطمة ۞ يعنى أنها تدخل فى أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهى أوساط القلوب ولاشىء فى بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولاأشد تألما منه بأدنى أذى يمسه فكيف إذا أطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى إطلاع النار عليها أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها أو تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها (مؤصدة) مطبقة قال: تحن إلى أجبال مكة ناقتى ۞ ومن دونها أبواب صنعاء مؤصده

وقرئ فى عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى أنه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد فتؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمد استيثاقا فى استيثاق ويجوز أن يكون المعنى أنها عليهم مؤصدة موثقين فى عمد ممددة مثل المقاطر التى تقطرفيها اللصوص اللهم أجرنا من النار ياخير مستجار. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه

﴿سورة الفيل مكية وهى خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ روى أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه ألف فيل وكان وحده فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول فأرسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران

جزاؤه هذه الحطمة التى هى ضارية بحطم كل مايلقى إليها ۞ عاد كلامه (قال) وخص الأفئدة لأنها ألطف مافى الإنسان والألم عليها أشد منه الخ

(قوله مثل المقاطر التى تقطر فيها) فى الصحاح المقطرة الفلق وهى خشبة فيها خروق تدخل فيها أرجل المحبوسين
(قوله وسماها القليس) بالتشديد مثل القبيط بيعة كانت بصنعاء للحبشة بناها أبرهة وهدمها حمير كذا فى الصحاح
(قوله فقعد فيها ليلا) كناية عن التغوط وفى الخازن فتغوط فيها ولطخ قبلتها بالعذرة

عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝

فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه رأى منها عند أم هانىء نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفارى فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا فى كل طريق ومنهل ودوى أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائره يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان أبرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وعن عائشة رضى الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان وفيه أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج إليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذلك فقال أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول لاهم إن المرء ۝ يمنع أهله فامنع حلالك ۝ لايغلبن صليبهم ۝ ومحالهم أبدا محالك

إن كنت تاركهم وكعـ ۝ بتنا فأمر ما بدالك يارب لاأرجو لهم سواكا ۝ يارب فامنع منهم حماكا

فالتفت وهو يدعو فإذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله إنها لطير غريبة ماهى بنجدية ولاتهامية وفيه أن أهل مكة قد احتووا على أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجرور وكان سبب يساره وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من أصابته جدرته وهو أول جدرى ظهر ۝ وقرئ ألم تر بسكون الراء للجد فى إظهار أثر الجازم والمعنى أنك رأيت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة و (كيف) فى موضع نصب بفعل ربك لا بألم تر لما فى كيف من معنى الاستفهام (فى تضليل) فى تضييع وإبطال يقال ضلل كيده إذا جعله ضالا ضائعاً ومنه قوله تعالى وما كيد الكافرين إلا فى ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لأنه ضلل ملك أبيه أى ضيعه يعنى أنهم كادوا البيت أولا ببناء القليس وأرادوا أن ينسخوا أمره بصرف وجوه الحاج إليه فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه وكادوه ثانياً بإرادة هدمه فضلل بإرسال الطير عليهم (أبابيل) حزائق الواحدة إبالة وفى أمثالهم ضغث على إبالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير فى تضامها بالإبالة وقيل أبابيل مثل عباديد وشماطيط لاواحد لها ۝ وقرأ أبو حنيفة رحمه الله يرميهم أى الله تعالى أو الطير لأنه اسم جمع مذكر وإنما يؤنث على المعنى ۝ وسجيل كأنه علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجيناً علم لديوان أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال لأن العذاب موصوف بذلك وأرسل عليهم طيراً فأرسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس رضى الله عنهما من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب من سنككل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل ۝ ضربا تواصت به الأبطال سجيلا ۝ وإنما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة فى ديوانه وشبهوا بورق الزرع إذا أكل أى وقع فيه الأكال وهو أن يأكله

﴿القول﴾ فى سورة الفيل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى «ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل» (قال معناه فى ضياع وسمى امرئ القيس الملك الضليل الخ

(قوله ودوى أبرهة) أى مرض وآرابه أى أعضاؤه (قوله بأربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين) لعله وكان قبله بأربعين سنة وفى الخازن اختلفوا فى عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة اه (قوله فخرج إليه فيها فجهره وكان) قوله فجهره فى القاموس جهر الرجل عظم فى عينه وراعه جماله كأجهره انتهى (قوله ماهى بنجدية ولا تهامية) بنجدية فى أبى السعود بنجدية (قوله وذهبهم الجرور) لعله الجرب جمع جراب مثل كتب جمع كتاب

سورة قريش مكية وآياتها ٤ نزلت بعد التين

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۞ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۞

الدود أو بتبن أكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ماعليه آداب القرآن كقوله كانا يأكلان الطعام أو أريد أكل حبه فبقى صفراً منه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ

﴿سورة قريش مكية وهى أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (لإيلاف قريش) متعلق بقوله (فليعبدوا) أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين (فإن قلت) فلم دخلت الفاء (قلت) لما فى الكلام من معنى الشرط لأنّ المعنى إمالا فليعبدوه لإيلافهم على معنى أن نعم الله عليهم لاتحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة وقيل المعنى عجبوا لإيلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله أى فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين فى الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقاً لا يصح إلا به وهما فى مصحف أبىّ سورة واحدة بلا فصل وعن عمر أنه قرأهما فى الثانية من صلاة المغرب وقرأ فى الأولى والتين والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن فى رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والإيلاف من قولك آلفت المكان أولفه إيلافا إذا ألفته فأنا مؤلف قال من المؤلفات الزهو غير الأوراك وقرئ لئلاف قريش أى لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته إلفا وإلافا وقرأ أبو جعفر لإلف قريش وقد جمعهما من قال

زعمتم أنّ إخوتكم قريش ۞ لهم إلف وليس لكم إلاف

وقرأ عكرمة ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف ۞ وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار وعن معاوية أنه سأل ابن عباس رضى الله عنهما بم سميت قريش قال بدابة فى البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد :

وقريش هى التى تسكن البحـــر بها سميت قريش قريشا

والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد ۞ أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيراً بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولا به كما نصب يتيما إطعام وأراد رحلتى الشتاء والصيف فأفرد لأمن الإلباس كقوله كلوا فى بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهى الجهة التى يرحل إليها والتنكير فى جوع وخوف لشدتهما يعنى أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وأمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم صلوات الله عليه ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة فى غيرهم وقرئ من خوف بإخفاء النون . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لإيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

﴿القول﴾ فى ســـورة قريش ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى « لإيلاف قريش » (قال) فيه اللام متعلقة بقوله فليعبدوا أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين فإن قلت لما دخلت الفاء الخ

(قوله من المؤلفات الزهو) فى الصحاح يقال إبل زاهية إذا كانت لا ترعى الحمض وفيه أيضاً أركست الإبل إذا رعت الأراك وهو شجر من الحمض (قوله كلوا فى بعض بطنكم) بقيته تعفوا

سورة الماعون : مكية ثلاث آيات الأول . مدنية البقية . وآياتها ٧ نزلت بعد التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۞

﴿سورة أرأيت مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قرئ أريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لأن حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام ونحوه :

صاح هل ريت أو سمعت براع ۞ ردّ في الضرع ماقرى في العلاب

وقرأ ابن مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب كقوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو إن لم تعرفه (فذلك الذي) يكذب بالجزاء هو الذي (يدع اليتيم) أي يدفعه دفعاً عنيفاً بجفوة وأذى ويرده ردّاً قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع أي يترك ويجفو (ولا يحض) ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف يعني أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين قدم عليه علم أنه مكذب فما أشده من كلام وما أخوفه من مقام وما أبلغه في التحذير من المعصية وأنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله (فويل للمصلين) كأنه قال فإذا كان الأمر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقراً من غير خشوع وإخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور ، كما ترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم والمعنى أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام علماً على أنهم مكذبون بالدين ، كم ترى من المتسمين بالإسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفاً على الذي يكذب إما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة ويكون جواب أرأيت محذوفاً لدلالة ما بعده عليه كأنه قيل أخبرني ، ما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين أنعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين أي إذا علم أنه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم إلا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لأنهم كانوا مع التكذيب وما أضيف إليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين أموالهم (فإن قلت) كيف جعلت المصلين قائماً مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد (قلت) معناه الجمع لأن المراد به الجنس (فإن قلت) أي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم (قلت) معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس ، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلاً عن غيره ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن أنس رضي الله عنه الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم وقرأ ابن مسعود لاهون (فإن قلت) ما معنى المراءاة (قلت) هي مفاعلة من الإراءة لأن المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به ولا يكون الرجل مرائياً بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها لقوله عليه الصلاة والسلام ولا غمة في فرائض الله لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ولأن

﴿القول في سورة الماعون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم (قال) فيه المعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء الخ

(قوله ماقرئ في العلاب) في الصحاح العلبة محلب من جلد والجمع علب وعلاب

سورة الكوثر مكية وآياتها ٣ نزلت بعد العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۞

تاركها يستحق الذم والمقت فوجب إماطة التهمة بالإظهار وإن كان تطوعا فحقه أن يخفى لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فإن أظهره قاصداً للاقتداء به كان جميلا وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فيثنى عليه بالصلاح وعن بعضهم أنه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك. إنما قال هذا لأنه توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب الرياء صعب إلا على المرتاضين بالإخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود (الماعون) الزكاة قال الراعي قوم على الإسلام لما يمنعوا ۞ ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود ما يتعاور في العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الأشياء محظورا في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروءة في غير حال الضرورة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر الله له إن كان للزكاة مؤديا

﴿سورة الكوثر مكيه وهى ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا أنطيناك بالنون وفى حديثه صلى الله عليه وسلم وأنطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال وأنت كثير يا ابن مروان طيب ۞ وكان أبوك ابن العقائل كوثرا وقيل الكوثر نهر فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال أتدرون ما الكوثر إنه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير وروى فى صفته أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير إن ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير ۞ والنحر نحر البدن وعن عطية هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هى جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذى لم يعطه أحد غيرك ومعطى ذلك كله أنا إله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان إصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم فاعبد ربك الذى أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفا لهم فى النحر للأوثان (إن) من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم (هو الأبتر) لا أنت لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر وإنما الأبتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة وإن ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون إن محمدا صنبور إذا مات مات ذكره وقيل

﴿القول فى سورة الكوثر﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر (قال أى جمعنا لك الغبطتين السنيتين أحدهما إصابة أشرف عطاء وهو الكوثر الخ) قال أحمد جعل الزمخشرى توسط الضمير بين الجزءين مفيدا للاختصاص لأن إفادته ههنا لذلك بينة مكشوفة عاد كلامه (قال) لأن النبى صلى الله عليه وسلم ذكره مرفوع على المنابر وعلى لسان عالى أمته الذين هم فى الحقيقة أعقابه الخ)

(قوله وأنطوا الثبجة) فى القاموس الثبجة محركة المتوسطة بين الخيار والرذال اه (قوله وكان أبوك ابن العقائل) جمع عقيلة وفى الصحاح العقيلة كريمة الحى (قوله إن محمدا صنوبر) صنوبر ذكر فى القاموس معانيه الرجل الفرد الضعيف الذليل بلا أهل وعقب وناصر اه

سورة الكافرون مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞
وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۞

نزلت فى العاص بن وائل وقد سماه الأبتر والأبتر الذى لاعقب له ومنه الحمار الأبتر الذى لاذنب له . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر أو يقربونه

سورة الكافرون مكية

وهى ست آيات ويقال لها ولسورة الإخلاص المقشقشتان أى المبرئتان من النفاق

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ۞ المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم لايؤمنون روى أن رهطا من قريش قالوا يامحمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا (لاأعبد) أريدت به العبادة فيما يستقبل لأن لا لاتدخل إلا على مضارع فى معنى الاستقبال كما أن مالا تدخل إلا على مضارع فى معنى الحال ألا ترى أن لن تأكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل فى لن أن أصله لا أن والمعنى لاأفعل فى المستقبل ماتطلبونه منى من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ماأطلب منكم من عبادة إلهى (ولا أنا عابدماعبدتم) أى وما كنت قط عابداً فيما سلف ماعبدتم فيه يعنى لم تعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الإسلام (ولاأنتم عابدون ماأعبد) أى وما عبدتم فى وقت ما أنا على عبادته (فإن قلت) فهلا قيل ماعبدت كما قيل ماعبدتم (قلت) لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى فى ذلك الوقت (فإن قلت) فلم جاء على مادون من (قلت) لأن المراد الصفة كأنه قال لاأعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل أن مامصدرية أى لاأعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى (لكم دينكم ولى دين) لكم شرككم ولى توحيدى والمعنى أنى نبى مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة فإذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فدعونى كفافا ولا تدعونى إلى الشرك . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الأكبر

﴿ القول فى سورة الكافرون ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قل ياأيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون (قال معناه فى المستقبل لأن لاتنفى المستقبل ولا أنتم عابدون ماأعبد كذلك ولا أنا عابد ماعبدتم أى فيما سلف الخ) قال أحمد هذا الذى قاله خطأ على الأصل والفرع جميعاً إما على أصله القدرى فإنه وإن كان مقتضاه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن قبل البعث على دين نبى قبله لاعتقاد القدرية أن ذلك غميزة فى منصبه ومنفر من اتباعه فيستحيل وقوعه للمفسدة إلا أنهم يعتقدون أن الناس كلهم متعبدون بمقتضى العقل بوجوب النظر فى آيات الله تعالى وأدلة توحيده ومعرفته وأن وجوب النظر بالعقل لابالسمع فتلك عبادة قبل البعث يلزمهم أن لايظنوا به صلى الله عليه وسلم الإخلال بها فحينئذ يقتضى أصلهم أنه كان قبل البعث يعبد الله تعالى فالزمخشرى حافظ على الوفاء بأصله فى عدم اتباعه لنبى سابق فأخل بالتفريع على أصله الآخر فى وجوب العبادة بالعقل والحق أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعبد قبل الوحى ويتحنث فى غار حراء فإن كان مجىء قوله أعبد لأن الماضى لم يحصل فيه هذه العبادة المرادة فى الآية فيحمل الأمر فيها والله أعلم على مجموع العبادات الخاصة التى لم تعلم إلا بالوحى لاعلى مجرد توحيد الله تعالى ومعرفته فإن ذلك لم يزل ثابتاً له صلى الله عليه وسلم قبل البعث والله أعلم أو يكون مجيئه مضارعا لقصد تصوير عبادته فى نفس السامع وتمكينها من فهمه كقوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة والأصل فأصبحت وإنما عدل عنه للمعنى المذكور وهو وجه حسن فتأمله والله أعلم

سورة النصر

نزلت بمنى فى حجة الوداع فتعد مدنية وهى آخر ما نزل من السور وآياتها ٣ نزلت بعد التوبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا *
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا *

﴿سورة النصر مدنية وهى ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (إذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة وروى أنها نزلت فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع (فإن قلت) ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه (قلت) النصر الإغاثة والإظهار على العدو ومنه نصر الله الأرض غاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب أو على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج إلى هوزان وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ما ترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيأ فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الإسلام (فى دين الله) فى ملة الإسلام التى لا دين له يضاف إليه غيرها ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه (أفواجا) جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا وقيل أراد بالناس أهل اليمن قال أبو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال أجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما إذ ظفر بأهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل وعن كل من أرادهم فكانوا يدخلون فى الإسلام أفواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر * وقرئ يدخلون على البناء للمفعول (فإن قلت) ما محل يدخلون (قلت) النصب إما على الحال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو هو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامدا له أى فتعجب لتيسير الله مالم يخطر ببالك وبال أحد من أن يغلب أحد على أهل الحرم واحمده على صنعه أو فاذكره مسبحا حامدا زيادة فى عبادته والثناء عليه لزيادة أنعامه عليك أو فصل له روت أم هانىء أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمانى ركعات وعن عائشة كان عليه الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك وأتوب إليك والأمر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للأمر بما هو قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون أمره بذلك مع عصمته لطفا لأمته ولأن الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة فى نفسه وعن النبى صلى الله عليه وسلم إنى لاستغفر فى اليوم والليلة مائة مرة وروى أنه لما قرأها

﴿القول فى سورة النصر﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا (قال معناه فتعجب من تيسير الله لك مالم يخطر ببالك الخ

(قوله إنه ذات يوم فقيل له فقال سمعت) لعله فقيل له فى ذلك

سورة المسد مكية و آياتها ٥ نزلت بعد الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ

رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه استبشروا و بكى العباس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت إليك نفسك قال إنها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل إن ابن عباس هو الذى قال ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أوتى هذا الغلام علما كثيرا وروى أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم أبو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا وعن ابن عباس أن عمر رضى الله عنهما كان يدنيه ويأذن له مع أهل بدر فقال عبد الرحمن أتأذن لهذا الفتى معنا وفى أبنائنا من هو مثله فقال إنه ممن قد علمتم قال ابن عباس فأذن لهم ذات يوم وأذن لى معهم فسألهم عن قول الله تعالى إذا جاء نصر الله ولا أراه سألهم إلا من أجلى فقال بعضهم أمر الله نبيه إذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب إليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت إليه نفسه فقال عمر ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونى عليه بعد ما ترون . وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه إنه نعيت إلىّ نفسى فبكت فقال لا تبكى فإنك أول أهلى لحوقا بى وعن ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع (كان توابا) أى كان فى الأزمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم إذا استغفروا فعلى كل مستغفر أن يتوقع مثل ذلك . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إذا جاء نصر الله أعطى من الأجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

﴿سـورة تبت خمس آيات وهى مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أى هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لأنه فيما يروى أخذ حجر ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتب) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله تعالى «بما قدمت يداك» ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله

جزانى جزاه الله شر جزائه ۞ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروى أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقى الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع إليه الناس من كل أوب فقال يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر إن أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فإنى نذير لكم بين يدى الساعة فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت (فإن قلت) لم كناه والكنية تكرمة (قلت) فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون مشتهراً بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا بأحدهما ولذلك تجرى الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية عطف بيان فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له ذكر الأشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان لئلا يغير منه شىء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم أمير مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبدالله بالنصب وكان بمكة رجل يقال له عبدالله بجرة الدال لا يعرف إلا هكذا والثانى أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى كنيته والثالث أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديراً بأن يذكر بها ويقال أبو لهب كما يقال أبو الشر للشرير وأبو الخير

﴿القول فى سورة تبت﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ تبت يدا أبى لهب وتب قال هذا دعاء عليه بالتباب وهو الخسران والهلاك (قال ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب) قال أحمد وفى هذا دليل لأن الرفع أسبق وجوه الاعراب وأولها الالتزام إنما حافظوا على صيغته التى بها اشتهر الاسم وكانت أول أحواله ۞ عاد كلامه (قال) ولأمير مكة ولدان أحدهما عبد الله بالنصب والآخر عبد الله بالجر فلا يعرف كل واحد منهما إلا بذلك الخ

لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد *

للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا المهلب أبا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كنى بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما فيجوز أن يذكر بذلك تهكما به و بافتخاره بذلك وقرئ أبي لهب بالسكون وهو من تغيير الأعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم (ماأغنى) استفهام في معنى الإنكار ومحله النصب أو نفى (وما كسب) مرفوع وما موصولة أو مصدرية بمعنى ومكسوبه أو وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعنى رأس المال والأرباح أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذاسابياء أو ماله الذى ورثه من أبيه والذى كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكى أن بنى أبي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عنى الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وأن ولده من كسبه وعن الضحاك ماينفعه ماله وعمله الخبيث يعنى كيد في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن قتادة عمله الذى ظن أنه منه على شيء كقوله وقدمنا إلى ماعملوا من عمل وروى أنه كان يقول إن كان مايقول ابن أخى حقاً فأنا افتدى منه نفسى بمالى وولدى (سيصلى) قرئ بفتح الياء وبضمها مخففاً ومشددا والسين للوعيد أى هو كائن لامحالة وإن تراخى وقته (وامرأته) هى أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشى بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أى يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال : من البيض لم تصطد على ظهر لامة * ولم تمش بين الحيّ بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذى هو زيادة في الشر ورفعت عطفاً على الضمير في سيصلى أى سيصلى هو وامرأته و(في جيدها) في موضع الحال أو على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريئته بالتصغير * المسد الذى فتل من الحبال فتلا شديداً من ليف كان أو جلداً أو غيرهما قال * ومسد أمر من أيانق * ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيساً لحالها وتحقيراً لها وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس ابن عتبة ابن أبي لهب بحمالة الحطب فقال

ماذا أردت إلى شتمى ومنقصتى * أم ما تعــيــر من حمالة الحطب
غراء شادخة في المجــد غرتها * كانت سليلة شيخ ناقب الحسب

ويحتمل أن يكون المعنى أن حالها تكون في نار جهنم على الصورة التى كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه .عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لايجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة

(قوله وكان ذاسابياء) قوله سابياء ذكر في القاموس من معانيها المال الكثير والنتاج والإبل للنتاج والغنم التى كثر نسلها وفي الصحاح التالد القديم والطارق المستحدث (قوله من الشوك والحسك) في الصحاح الحسك حسك السعدان وفيه السعدان نبت ولهذا النبت شوك يقال له حسك السعدان (قوله ومسد أمرّ من أيانق) أى أحكم فتله حتى صار قويا والأيانق جمع أينق جمع ناقة أفاده الصحاح (قوله من المواهن لتمتعض) جمع ماهن وهى الخادم والامتعاض الغضب أفاده الصحاح (قوله أم ماتعير من حمالة) كذا في الأصل ويروى أما تعير وفي الصحاح شدخت الغرة إذا اتسعت في الوجه

سورة الإخلاص مكية وآياتها ٤ نزلت بعد الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

﴿سورة الإخلاص مكية وقيل مدنية وهى أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (هو) ضمير الشأن و(الله أحد) هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثانى له (فإن قلت) ما محل هو (قلت) الرفع على الابتداء والخبر الجملة (فإن قلت) فالجملة الواقعة خبر الأبد فيها من راجع إلى المبتدإ فأين الراجع (قلت) حكم هذه الجملة حكم المفرد فى قولك زيد غلامك فى أنه هو المبتدأ فى المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذى هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فإن زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا إليه فنزلت يعنى الذى سألتمونى وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله أو على هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد وقرأ عبد الله وأبىّ هو الله أحد بغير قل وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم الله أحد بغير قل هو وقال من قرأ الله أحد كان بعدل القرآن وقرأ الأعمش قل هو الله الواحد وقرئ أحد الله بغير تنوين أسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ۝ ولا ذاكرا الله إلا قليلا ۝ والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين و(الصمد) فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده وهو السيد المصمود إليه فى الحوائج والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد متوحد بالإلهية لا يشارك فيها وهو الذى يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغنى عنهم (لم يلد) لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لأن كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده وليس بجسم . ولم يكافئه أحد أى لم يماثله ولم يشاكله ويجوز أن يكون من الكفاءة فى النكاح نفيا للصاحبة سألوه أن يصفه لهم فأوحى إليه ما يحتوى على صفاته فقوله هو الله إشارة لهم إلى من هو خالق الأشياء وفاطرها وفى طىّ ذلك وصفه بأنه قادر عالم لأن الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية إحكام واتساق وانتظام وفى ذلك وصفه بأنه حى سميع بصير وقوله أحد وصف بالوحدانية ونفى الشركاء وقوله الصمد وصف بأنه ليس إلا محتاجا إليه وإذا لم يكن إلا محتاجا إليه فهو غنى وفى كونه غنيا مع كونه عالما أنه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله لم يولد وصف بالقدم والأولية وقوله لم يلد نفى للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا أحد تقرير لذلك وبت للحكم به (فإن قلت) الكلام العربى الفصيح أن يؤخر الظرف الذى هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك فى كتابه فما باله مقدما فى أفصح كلام وأعربه (قلت) هذا الكلام إنما سيق لنفى المكافأة عن ذات البارى سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شىء وأعناه وأحقه بالتقدم وأحراه وقرئ كفؤا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء (فإن قلت) لم كانت هذه السورة عدل

﴿القول فى سورة الاخلاص﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد (قال إن قلت الكلام العربى الفصيح أن يؤخر الظرف وقد نص سيبويه على ذلك) قال أحمد نقل سيبويه أنه سمع بعض الجفاة من العرب يقرأ ولم يكن أحد كفوا له وجرى هذا الجلف على عادته لجفا طبعه عن لطف المعنى الذى لأجله اقتضى تقديم الظرف مع الخبر على الاسم وذلك أن الغرض الذى سيقت له الآية نفى المكافأة والمساواة عن ذات الله تعالى فكان تقديم المكافأة المقصود وبأن يسلب عنه أولى ثم لما قدمت لتسلب ذكر معها الظرف ليبين الذات المقدسة بسلب المكافأة والله أعلم

(قوله أنه عدل غير فاعل للقبائح) هذا مذهب المعتزلة وذهب أهل السنة إلى أنه تعالى هو الخالق لجميع الأشياء خيرها وشرها قبيحها وحسنها قال تعالى : «الله خالق كل شىء» وعلمه بقبح القبيح لا يمنعه من خلقه لأنه لحكمة وإن لم يعلمها غيره

سورة الفلق مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ

القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها (قلت) لأمر مايسود من يسود وماذاك إلالاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أنّ علم التوحيد من الله تعالى بمكان وكيف لايكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضيعه ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى وصفاته ومايجوز عليه ومالا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وإنافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلو من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا فى زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الأساس لاشتمالها على أصول الدين وروى أبيّ وأنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد يعنى ماخلقت إلالتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت قيل يارسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

﴿سورة الفلق مختلف فيها وهى خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الفلق والفرق الصبح لأنّ الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال فى المثل هو أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان إذا طلع الفجر وقيل هو كل مايفلقه الله كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغيرذلك وقيل هو واد فى جهنم أو جب فيها من قولهم لما اطمأنّ من الأرض الفالق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة أنه قدم الشأم فرأى دور أهل الذمة وماهم فيه من خفض العيش وماوسع عليهم من دنياهم فقال لأبالى أليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت فى جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره (من شر ماخلق) من شر خلقه وشرهم مايفعله المكلفون من الحيوان من المعاصى والمآثم ومضارة بعضهم بعضاً من ظلم وبغى وقتل وضرب وشتم وغيرذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الأكل والنهس واللدغ والعض كالسباع والحشرات وماوضعه الله فى الموات من أنواع الضرر كالإحراق فى النار والقتل فى السم ۞ والغاسق الليل إذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى إلى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعاً وغسقت الجراحة امتلأت دما ۞ ووقوبه دخول ظلامه فى كل شىء ويقال وقبت الشمس إذا غابت وفى الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعنى صلاة المغرب وقيل هو القمر إذا امتلأ وعن عائشة رضى الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فأشار إلى القمر فقال تعوذى بالله من شرهذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه دخوله فى الكسوف واسوداده ويجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لأنّ انبثاثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب ومنه قولهم الليل أخفى للويل وقولهم أغدر الليل لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر

﴿القول فى سورة الفلق﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى « قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق » (قال معناه من شر خلقه أى من شر مايفعله المكلفون الخ) قال أحمد لايسعه على قاعدته الفاسدة التى هى من جملة مايدخل تحت هذه الاستعاذة إلاصرف الشر إلى مايعتقده خالقاً لأفعاله أو لما هو غير فاعل له البتة كالموات وأما صرف الاستعاذة إلى مايفعله الله تعالى بعباده من أنواع المحن والبلايا وغيرذلك فلا لأنه يعتقد أنّ الله لايخلق أفعال الحيوانات وإنما هم يخلقونها لأنها شر والله تعالى لايخلقه لقبحه كل ذلك تفريع على قاعدة الصلاح والأصلح التى وضح فسادها حتى حرّف بعض

(قوله من شر خلقه وشرهم) لعله وشرّه أى شر خلقه حيواناً أو مواتا

النفّٰثٰت فى العقد ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾

سورة الناس مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴿ ملك الناس ﴿ إله الناس ﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾

وأسند الشر إليه لملابسته له من حدوثه فيه (النفاثات) النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقداً فى خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير لذلك اللهم إلا إذا كان ثم إطعام شيء ضار أو سقيه أو إشمامه أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذى يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع إليهن وإلى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبئون به (فإن قلت) فما معنى الاستعاذة من شرهن (قلت) فيها ثلاثة أوجه أحدها أن يستعاذ من عملهن الذى هو صنعة السحر ومن إثمهن فى ذلك والثانى أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله إن كيدكن عظيم تشبيهاً لكيدهن بالسحر والنفث فى العقد أو اللاتى يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك (إذا حسد) إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغى الغوائل للمحسود لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه وسماجة حاله فى وقت حسده وإظهاره أثره (فإن قلت) قوله من شر ما خلق تعميم فى كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد (قلت) قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجى الذى يكيدك من حيث لا تشعر (فإن قلت) فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه (قلت) عرفت النفاثات لأن كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد فى الخيرات ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا حسد إلا فى اثنتين وقال أبو تمام ﴿ وما حاسد فى المكرمات بحاسد ﴿ وقال : إن العلا حسن فى مثلها الحسد ﴿ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى كلها

﴿ سورة الناس مختلف فيها وهى ست آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قرئ قل أعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام ونحوه فخذ أربعة (فإن قلت) لم قيل

القدرية الآية فقرأ من شر ما خلق بتنوين شر وجعل ما نافية قوله تعالى « ومن شر النفاثات فى العقد » (قال هن السواحر اللاتى يعقدن الخيوط وينفثن عليها الخ) قال أحمد وقد تقدم أن قاعدة القدرية إنكار حقيقة السحر على أن الكتاب والسنة قد وردا بوقوعه والأمر بالتعوذ منه وقد سحر صلى الله عليه وسلم فى مشط ومشاطة فى جف طلعة ذكر والحديث مشهور وإنما الزمخشرى استفزه الهوى حتى أنكر ما عرف وما به إلا أن يتبع اعتزاله ويغطى بكفه وجه الغزالة عاد كلامه (قال فإن قلت ما معنى الاستعاذة من شرهن وأجاب الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الأول فعد عنه جانبا ولو فسر غيره النفاثات فى العقد بالمتخيلات من النساء ولسن ساحرات حتى يتمم إنكار وجود السحر لعده من بدع التفاسير

﴿ القول فى سورة الناس ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ قوله تعالى قل أعوذ برب الناس (قال إن قلت لم أضاف

(قوله ولا تأثير لذلك اللهم إلا) مبنى على مذهب المعتزلة من أنه لا حقيقة للسحر ولا تأثير له وذهب أهل السنة إلى إثباته وإثبات تأثيره لظاهر الكتاب والسنة (قوله فينسب الحشوية والرعاع) فى الصحاح الرعاع الأحداث الطغام وفيه الطغام أوغاد الناس وفيه الوغد الرجل الدنىء الذى يخدم بطعام بطنه

الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۞

(برب الناس) مضافا اليهم خاصة (قلت) لأنّ الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالى إذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالى أمرهم (فإن قلت) (ملك الناس إله الناس) ما هما من رب الناس (قلت) هما عطف بيان كقولك سيرة أبى حفص عمر الفاروق. بين بملك الناس ثم زيد بيانا بإله الناس لأنه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية البيان (فإن قلت) فهلا اكتفى بإظهار المضاف اليه الذى هو الناس مرة واحدة (قلت) لأنّ عطف البيان للبيان فكان مظنة للإظهار دون الإضمار (الوسواس) اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كأنه وسوسة فى نفسه لأنها صنعته وشغله الذى هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى و(الخناس) الذى عادته أن يخنس منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى فإذا غفل وسوس اليه (الذى يوسوس) يجوز فى محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن أن يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذى يوسوس على أحد هذين الوجهين (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس على أن الشيطان ضربان جنى وإنسى كما قال شياطين الإنس والجن وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الإنس ويجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وأن اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال فى سورة الجن وما أحقه لأن الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الإيناس وهو الإبصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع وأجود منه أن يراد بالناس الناسى كقوله يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث أفاض الناس ثم يبين بالجنة والناس لأنّ الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علىّ سورتان ما أنزل مثلهما وإنك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعنى المعوذتين ويقال للمعوذتين المقشقشتان ۞ قال عبد الله الفقير اليه وأنا أعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة، وألوذ بكنف رحمته الشاملة العامة. من كل ما يكلم الدين، ويثلم اليقين، أو يعود فى العاقبة بالندم. أو يقدح فى الإيمان المسوط باللحم والدم. وأسأله بخضوع العنق وخشوع البصر، ووضع الخد لجلاله الأعظم الأكبر. مستشفعا إليه بنوره الذى هو الشيبة فى الإسلام متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام ۞ وبما عنيت به من مهاجرتى اليه ومجاورتى ۞ ومرابطتى بمكة ومصابرتى ۞ على توكل من القوى ۞ وتخاذل من الخطا ۞ ثم أسأله بحق صراطه المستقيم ۞ وقرآنه المجيد الكريم ۞ وبما لقيت من كدح اليمين ۞ وعرق الجبين ۞ فى عمل الكشاف عن حقائقه ۞ المخلص عن مضايقه ۞ المطلع على غوامضه ۞ المثبت فى مداحضه ۞ الملخص لنكته ولطائف نظمه ۞ المنقر عن فقره وجواهر علمه ۞ المكتنز بالفوائد المفتنة التى لا توجد إلا فيه ۞

اسمه تعالى إليهم خاصة وهو رب كل شىء الخ) قال أحمد وفى التخصيص جرى على عادة الاستعطاف فإنه معه أتم عاد كلامه (قال) وإله الناس عطف بيان لملك الناس أو كلاهما عطف بيان للأول والثانى أبين لأنّ ملك الناس قد يطلق لغير الله تعالى وأما إله الناس فلا يطلق إلا له عز وجل فجعل غاية للبيان وزيد البيان بتكرار ظاهر غير مضمر والله سبحانه وتعالى أعلم هذا ما يسر الله من القول وإنى أبرأ إلى الله تعالى من القوة والحول والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قوله كالعواج والبتات) بائع العاج وبائع البتوت وهى ضرب من الثياب (قوله وما أحقه لأنّ الجن سمول) فى الصحاح حققت الأمر وأحققته إذا تحققته وصرت منه على يقين (قوله المسوط باللحم والدم) أى المخلوط أفاده الصحاح

المحيط بما لايكتنه من بدع ألفاظه ومعانيه * مع الإيجاز الحاذف للفضول * وتجنب المستكره المملول * ولو لم يكن فى مضمونه إلا إيراد كل شىء على قانونه * لكفى به ضالة ينشدها محققة الأحبار * وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار * وبما شرفنى به ومجدنى واختصنى بكرامته وتوحدنى * من ارتفاعه على يدى فى مهبط بشاراته ونذره * ومتنزل آياته وسوره * من البلد الأمين بين ظهرانى الحرم * وبين يدى البيت المحرم * حتى وقع التأويل * حيث وجد التنزيل * أن يهب لى خاتمة الخير ويقينى مصارع السوء ويتجاوز عن فرطاتى يوم التناد * ولا يفضحنى بها على رؤس الأشهاد * ويحلى دار المقامة من فضله * بواسع طوله وسابغ نوله * إنه الجواد الكريم الرؤف الرحيم

﴿فى نسخة مانصه﴾

فى أصل المصنف بخطه رحمه الله تعالى : وهذه النسخة هى نسخة الأصل الأولى التى نقلت من السواد وهى أم الكشاف الحرمية المباركة المتمسح بها المحقوقة أن تستنزل بها بركات السماء ويستمطر بها فى السنة الشهباء فرغت منها يد المصنف تجاه الكعبة فى جناح دار السليمانية التى على باب أجياد الموسومة بمدرسة العلامة : ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر فى عام ثمانية وعشرين وخمسمائة وهو حامد لله على باهر كرمه ومصل على عبده ورسوله وعلى آله وأصحابه أجمعين

(قوله من بدع ألفاظه) فى الصحاح شىء بدع بالكسر أى مبتدع وفلان بدع فى هذا الأمر أى بديع

نبذة من ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى

قد ذكر الأستاذ الفاضل الشيخ إبراهيم الدسوقى مصحح دار الطباعة المصرية الميرية سابقاً رحمه الله جملة من ترجمة مؤلف الكشاف ذيل بها النسخة التى جرى عليها الطبع فاستحسن نقلها بنصها لتكون مرآة للاطلاع على بعض ماللمؤلف من رفيع المزايا وحميد السجايا ولسان صدق فى الآخرين وأنموذجا لفضله المتين ونصها : هو إمام الأئمة وهادى هداة هذه الأمة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى من هو بأحاسن النعوت حرى صاحب التآليف الزاهرة والتصانيف الفائقة الباهرة فهو الإمام الكبير فى الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعانى والبيان وغيرها بلامعانى كان إمام عصره من غير مدافع ، تشد إليه الرحال من كل مكان شاسع ، أخذ الأدب عن شيخه منصور أبى مضر ، وصنف التصانيف البديعة الغرر ، منها هذا الكتاب فى تفسير القرآن، ولم يدرك شأوه فيه إنسان؛ والمحاجاة بالمسائل النحوية، والمفرد والمركب فى العربية ، والفائق فى تفسير الحديث ، ولم ير مثله فى القديم ولا فى الحديث ، وأساس البلاغة فى اللغة ، ولم يبلغ كتاب قبله فى التميز مبلغه ، وربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ومتشابه أسامى الرواة والنصائح الكبار، والنصائح الصغار، وضالة الناشد والرائض ، فى علم الفرائض، والمفصل فى النحو وهو كتاب كبير، وقد اعتنى بشرحه خلق كثير، والأنموذج فى علم العربية ، والمفرد والمؤلف فى المسائل النحوية ، ورؤس المسائل الفقهية ، والمستقصى فى الأمثال العربية ، والبدور السافرة . فى الأمثال السائرة : والكتاب الجليل: المسمى بديوان التمثيل، وشقائق النعمان : فى حقائق النعمان، وشافى العى: من كلام الشافعى ، والقسطاس فى العروض ومعجم الحدود والمنهاج فى الأصول ومقدمة الأدب فى اللغة وديوان الرسائل وديوان الشعر والرسائل الناصحة والأمالى الواضحة فى كل فن وغير ذلك وكان شروعه فى تأليف المفصل فى غرة شهر رمضان سنة ٥١٣ ثلاث عشرة وخمسمائة وفرغ منه فى غرة المحرم سنة ٥١٥ خمس عشرة وخمسمائة وكان قد سافر إلى مكة حرسها الله تعالى وجاور بها زمانا فصار يقال له جار الله لذلك وكان هذا الاسم علما عليه وقد اشتهر أن إحدى رجليه كانت ساقطة وأنه كان يمشى فى جارن من خشب واختلف فى سبب سقوطها فقيل إنه كان فى بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد فى الطريق فسقطت منه رجله وأنه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفا

من أن يظن من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة والثلج والبرد كثيراً ما يؤثر فى الأطراف فى تلك البلاد فتسقط به خصوصاً خوارزم فإنها فى غاية البرودة ومنها خلق كثير سقطت أطرافهم بهذا السبب فلا يستبعده من لا يعرفه وقيل إن الزمخشرى لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفى الدامغانى سأله عن سبب قطع رجله فقال دعاء الوالدة وذلك أنى كنت فى صباى أمسكت عصفوراً وربطته بخيط فى رجله فأفلت من يدى فأدركته وقد دخل فى خرق فجذبته فانقطعت رجله فى الخيط فتألمت والدتى لذلك وقالت قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله فلما وصلت إلى سن الطالب رحلت إلى بخارى أطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلى وعملت على عملا أوجب قطعها والله أعلم بالصحة وكان الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفى قد كتب إليه من الإسكندرية وهو يومئذ مجاور مكة حرسها الله يستجيزه فى مسموعاته ومصنفاته فرد جوابه بما لا يشفى الغليل فلما كان فى العام الثانى كتب إليه أيضا مع الحجاج استجازة أخرى اقترح فيها مقصوده ثم قال فى آخرها ولا يحوج أدام الله توفيقه إلى المراجعة فالمسافة بعيدة وقد كاتبته فى السنة الماضية فلم يجب بما يشفى الغليل وله فى ذلك الأجر الجزيل فكتب إليه الزمخشرى مالم يكن له فى حساب ولولا خوف التطويل لذكرت الاستدعاء والجواب لكن لا بأس بذكر بعض الجواب وهو ما مثلى مع أعلام العلماء إلا كمثل السها مع مصابيح السماء والجهام الصفر من الرهام مع الغوادى الغامرة للقيعان والآكام والسكيت المخلف مع خيل السباق والبغاث مع الطير العتاق وما التلقيب بالعلامة إلا شبه الرقم بالعلامة والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثانى الرواية وأنا فى كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ظلى فيه أقلص من ظل حصاة أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الإسناد لم تستند إلى علماء نحارير ولا إلى أعلام مشاهير وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواها وبرض ما يبل شفاها ولا يغرنكم قول فلان فىّ وفلان وعدد جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بمقاطيع من الشعر وأوردها كلها ولو سردناها لطال الحال ثم قال فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه وجهل بالباطن المشوه ولعل الذى غرهم منى ما رأوا من حسن النصح للمسلمين وإيصال الشفقة إلى المستفيدين وقطع المطامع عنهم وإفاضة المبار والصنائع عليهم وعزة النفس والربء بها عن السفاسف الدنيات والإقبال على خويصتى والاعراض عما لا يعنينى فجللت فى عيونهم وغلطوا فىّ ونسبونى إلى مالست منه فى قبيل ولا دبير وما أنا فيما أقول بهاضم لنفسى كما قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى فى قول أبى بكر الصديق رضوان الله عليه وليتكم ولست بخيركم إن المؤمن ليهضم نفسه وإنما صدقت الفاحص عنى وعن كنه روايتى ودرايتى ومن لقيت وأخذت عنه وما بلغ علمى وقصارى فضلى وأطلعته طلع أمرى وأفضيت إليه بخبية سرى وألقيت إليه عجرى وبجرى وأعلمته نجمى وشجرى وأما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر وسمعت أبى رحمه الله تعالى يقول اجتاز بها أعرابى فسأل عن اسمها واسم كبيرها فقيل له زمخشر فقال لا خير فى شر ورد ولم يلمم بها ووقت الميلاد شهر الله الأصم فى عام سبع وستين وأربعمائة والله المحمود والمصلى على سيدنا محمد وآله وأصحابه هذا آخر الاجازة وقد أطال الكلام فيها ولم يصرح له بمقصوده فيها ولا يعلم هل أجازه بعد ذلك أولا ٭ ومن شعره السائر قوله وقد ذكره السمعانى فى الذيل قال أنشدنى أحمد بن محمود الخوارزمى إملاء بسمرقند قال أنشدنا محمود بن عمر الزمخشرى لنفسه بخوارزم

ألا قل لسعدى مالنا فيك من وطر ٭ وما نطلبن النجل من أعين البقر ٭ فإنا اقتصرنا بالذين تضايقت عيونهم والله يجزى من اقتصر ٭ مليح ولكن عنده كل جفوة ٭ ولم أر فى الدنيا صفاء بلا كدر ولم أنس إذ غازلته قرب روضة ٭ إلى قرب حوض فيه للماء منحدر ٭ فقلت له جئنى بورد وإنما أردت به ورد الخدود وما شعر ٭ فقال انتظرنى رجع طرف أجىء به ٭ فقلت له هيهات مالى منتظر
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر ٭ فقلت له إنى قنعت بما حضر

(ومن شعره) يرثى شيخه أبا مضر المذكور أولا

وقائلة ماهذه الدرر التى ٭ تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذى كان قد حشا ٭ أبو مضر أذنى تساقط من عينى

(ومما أنشد لغيره) فى كتابه الكشاف عند تفسير قوله تعالى فى سورة البقرة إنّ الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها

يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الأليل * ويرى عروق نياطها فى نحرها
والمخ فى تلك العظام النحل * اغفر لعبد تاب عن فرطاته * ما كان منه فى الزمان الأول

وقيل إنّ الزمخشرى أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الابيات

﴿ ومن كلامه رضى الله عنه ﴾

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لو يذاق * لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

﴿ ومن كلامه ﴾

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى * من وصل غانية وطيب عناق * وتمايلى طربا لحل عويصة
أشهى وأحلى من مدامة ساق * وصرير أقلامى على أوراقها * أحلى من الدوكاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها * نقرى لألقى الرمل عن أوراقى
أأبيت سهران الدجى وتبيته * نوما وتبغى بعد ذاك لحاقى

﴿ ومن كلامه ﴾

إذا سألوا عن مذهبى لم أبح به * وأكتمه كتمانه لى أسلم * فإن حنفيا قلت قالوا بأننى
أبيح الطلا وهو الشراب المحرم * وإن مالكيا قلت قالوا بأننى * أبيح لهم أكل الكلاب وهم هم
وإن شافعيا قلت قالوا بأننى * أبيح نكاح البنت والبنت تحرم * وإن حنبليا قلت قالوا بأننى
ثقيل حلولىّ بغيض مجسم * وإن قلت من أهل الحديث وحزبه * يقولون تيس ليس يدرى ويفهم
تعجبت من هذا الزمان وأهله * فما أحد من ألسن الناس يسلم * وأخرنى دهرى وقدم معشرا
على أنهم لا يعلمون وأعلم * ومذ أفلح الجهال أيقنت أننى * أنا الميم والأيام أفلح أعلم

وكانت ولادة الزمخشرى يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر وتوفى رحمه الله تعالى ليلة عرفة سنة ٥٣٨ ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانيه خوارزم بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى ورثاه بعضهم بأبيات ومن جملتها

فأرض مكة تذرى الدمع مقلتها * حزنا لفرقة جار الله محمود

وزمخشر بفتح الزاى والميم وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وبعدها راء قرية كبيرة من قرى خوارزم وجرجانيه بضم الجيم الأولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الألف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة وهى قصبة خوارزم قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان : يقال لها بلغتهم كركانج فعربت وقيل لها جرجانيه وهى على شاطئ جيحون . انتهى ما ذكره الأستاذ الدسوقى رحمه الله تعالى

﴿ تمّ الجزء الرابع من الكشاف ، وبتمامه تمّ التفسير ﴾

﴿ ويليه كتاب الكافى الشاف ، فى تخريج أحاديث الكشاف ﴾

فهرس

الجزء الرابع من تفسير الكشاف للزمخشري

(تمّ الفهرس)